الدَّفع

عناصر الموضوع

مفهوم الدفع	٨
الدفع في الاستعمال القرآني	١٠
الألفاظ ذات الصلة	١١
أسباب الدفع	١٢
مجالات الدفع	١٨
وسائل الدفع	١٩
عواقب ترك الدفع	٢٢
نتائج الدفع	٢٦

الشاهد القرآني الكبير

مفهوم الدفع

أولاً: المعنى اللغوي:

دفع: الدال والفاء والعين أصل واحد مشهور، يدل على تنحية الشيء، يقال: دفعت الشيء أدفعه دفعاً، ودافع الله عنه السوء دفاعاً(1).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن خلال ما سبق [illegible]

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس [illegible]

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور [illegible]

(3) انظر: المصدر السابق.

(4) [illegible]

(5) انظر: لسان العرب، ابن منظور [illegible]

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص٢٧١.
(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٠١/٢.
(٣) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٤/...

الطلع في الاستعمال القرآني

وردت مادة (طلع) في القرآن الكريم (١٩) مرة [1].
والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١	[illegible]
الفعل المضارع	١	[illegible]
فعل الأمر	[illegible]	[illegible]
المصدر	[illegible]	[illegible]
اسم الفاعل	[illegible]	[illegible]

وجاء الطلع في الاستعمال القرآني بمعناه اللغوي، وهو: [illegible] [2] [illegible]

[illegible] [3]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

الاصطلاحات الهامة

1 الجهاد

الجهاد لغة:

الجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء، ومنه الاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود[1].

الجهاد اصطلاحاً:

بذل الجهد واستفراغه في مدافعة العدو[2].

الصلة بين الجهاد والدفع:

جهاد الدفع نوع من أنواع الجهاد، والجهاد أعم منه.

قال الراغب: الجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس.

وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: 78]

وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 41]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 72]

والمجاهدة تكون باليد واللسان[3].

2 الشجاعة

الشجاعة لغة:

والشجاع لغة: الشاجع يقال: شجع شجاعاً وشجاعة: اشتد عند البأس، وجمعه ... [illegible] ... يعني الصحيح: (شجع أم موسى)[4]، والجمع ... [illegible]

(1) لسان العرب، ابن منظور 3/ 133.
(2) انظر المفردات، الراغب الأصفهاني ص 101.
(3) المصدر السابق ص 101.
(4) أخرجه البخاري ... [illegible]
(5) ... [illegible]

المسامحة [illegible]:

المسامحة إذًا هي: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المسامحة [illegible]

[illegible]

أسباب الفتح

تحدث القرآن الكريم عن أسباب الفتح عند المؤمنين وعند الكافرين، وسوف نتناول في النقاط الآتية:

أولاً: أسباب الفتح عند المؤمنين:

[illegible]

1. [illegible]

[illegible]

2. نصرة الدين، وأن يكون الدين كله لله.

[illegible]

[illegible]

ثانياً: أسباب الفتح عند الكافرين:

[illegible]

ومن أهم تلك الأسباب:

١- محاولة إطفاء نور الله تعالى بإشاعة الكفر، وإفساد عقيدة المسلمين.

[illegible]

(البقرة: ١٠٩)

[illegible]

(البقرة: ٢١٧)

[illegible]

المقدس فقد سبحانه في قتال الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ۝ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ۝ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ۝ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ۝ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة: ٢٩-٣٣).

فأمر سبحانه بقتالهم؛ لكفرهم وظلمهم الباطلة في عبادة غير الله تعالى، كعزير والمسيح عليه السلام، حيث يريدون إطفاء نور الإسلام الواضح المبين الذي أرسل الله به رسله أجمعين، ويصروا الناس للكفر الواضح المبين من عبادة غير رب العالمين.

ويبين في مقابل ذلك أنه ما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم إلا ليتم الخير والهدى، وليظهر دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون.

وجاء نحو ذلك في سورة الصف كذلك، قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ۝ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (الصف: ٧-٩).

فبعد أن أخبر سبحانه عن أسباب وغايات القتال ضد هؤلاء الكافرين، أمر أيضا بتحريض المؤمنين على دفع مكرهم وإعلائهم جهادا في سبيل الله.

٧. إنشاء أخلاق المؤمنين:

من الثابت لدى أهل الإسلام ارتباط الأخلاق بالعقيدة الصحيحة، فالإيمان بالله ورسوله هو القاعدة والأساس الذي تنطلق منه جميع الأعمال الصالحة عند المسلم، وذلك أن الدين كله عقيدة وشريعة وأخلاقا، وأنها تنطلق منطلقا واحدا هو عقيدة التوحيد والخضوع لله رب العالمين.

ومما ورد ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان

يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»(1).

فقرن صلى الله عليه وسلم بربط وثيق بين الأخلاق والإيمان بالله واليوم الآخر، وبين أن هذا الخلق هو الخلق الحسن الذي يدعو إليه الإسلام، وهي واسطة عقد لعقيدة لا تنشأ بهذا الظاهر بل يتخرج عليه هذا الطالب، ومن ثم جهد أبناء الإسلام على إحداث خلل الخير في آخر الظاهرة عند كثير من الناس، على كثير من المجتمعات الإسلامية مما يؤدي ذلك إلى ترضي أخلاق هؤلاء الذين أسلموا الخلق في طبيعتهم، ومن ثم يظهر بذلك المجتمع بأكمله.

وليس عجبًا أن يربط الله تعالى في سورة من قصار السور بين الوصف بالتكذيب بالدين وبين القسوة على اليتيم والمسكين، ليلفتنا إلى أثر العقيدة في سلامة الخلق.

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: 1-7].

فإن الإيمان بالدين، يوم الحساب

والجزاء، يلزم الرفق باليتيم والحض على طعام المسكين، والمحافظة على الصلاة في أوقاتها، وتقديم الماعون للأهل، كل ذلك تنشئه عقيدة واحدة متكاملة، ويرجع إلى أصل واحد من الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر.

ولذلك تجد أغلب الآثار والمراضي التي تدعو إلى جميل الخصال، وتنهى عن رذيل الأخلاق، تصدر كلها بنداء الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وذلك كما في سورة الحجرات على سبيل المثال.

ولذا نستعيد أغلب المجتمعات اليوم -بفعل بعد أبناء الإسلام بكثير من صور الإفساد الأخلاقي- تعج بمظاهر القطاعة والقطة والقسارة وسوء الأخلاق، وصار من الأمور المألوفة في ديار المسلمين وسكانهم ما يؤذي الأكثر من السب والقذف والسخرية بالناس، وما يؤذي الآخرين من مظاهر الترع والتنفير والسكر والتهور والاختلاط المسرف، وكثرة الأذى في سبيل الناس والحرص بروية المحتدين من مخالفي الطهور والمتظاهرين، وما يلزم الأطراف من دخان التبغ وغيره، وما يؤذي الصغار والآنسين من أسماء المخالفات والقمار والرشوة والربا والغيبة، وأكل أموال الناس بالباطل، وما يلي الفلوب من الخوف، وقطع الأرحام، والتي الصغار والقطائع بين

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ... رقم ...

الأهل والجيران وسائر الأقرباء.

كل ذلك يستدعي ضرورة المسارعة [illegible] لإنقاذ مجتمعات المسلمين من [illegible] الفساد الخلقي [illegible] المجتمعات وإظهارها [illegible] [illegible] في مجتمعات المسلمين [illegible] [illegible].

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

لذا أمر أن [illegible] الألباب [illegible] [illegible] وصرفهم [illegible] عن [illegible] الحق [illegible] [illegible] إلى سبيل [illegible] والفجور.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾ [النساء: ٢٧]

ومن لم يرحمه الله تعالى على ذلك يطلب [illegible] فقال سبحانه: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

٣. الحرص على التحكم في الحياة ومقدرات الشعوب واستعمال ملذات الحياة الدنيا.

الكافر لا يؤمن بالآخرة ومن لم يؤمن لا يطلب إلا الحياة الدنيا، ولا يريد سواها، وفي سبيل ذلك يدافع [illegible] [illegible] [illegible].

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: ٢١٢]

وقال سبحانه: ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمران: ١٤]

وفي سبيل تحقيق تلك الشهوات والمآرب الدنيئة يطغى [illegible] ويفسد في الأرض [illegible] والله لا يحب الفساد.

مجالات الصراع

أولًا: الكفر والإيمان:

[illegible]

الأخرى.

لا جرم من أن يعين إبليس وجنده أهل الكفر والضلال من بني آدم المفسدين في الأرض من الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله [illegible]

[illegible]

ومن لم صار الناس حزبين لا ثالث لهما: حزب الله وحزب الشيطان [illegible]

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

ثالثاً: الخير والشر:

لقد خلق الله الإنسان [illegible] الخير والشر [illegible]

[illegible]

والموحدة [illegible] من أهل [illegible]

[illegible]

[illegible] أهل الإيمان وأهل الكفر [illegible]

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

ومن ثم [illegible] أهل [illegible] المؤمنين [illegible]

[illegible]

[illegible] من أهل [illegible]

[illegible]

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

فالموجود هم دعاة الخير المطيعون لله، هم المصلحون بإذنه، لأن الإيمان بالله تعالى يأخذ بيد العبد إلى الخير كله، ولا يزال المرء على عصمة من الفجور حتى يأخذ بناصيته إلى البر كله، ولا يزال المرء على عصمة من الشر حتى تأخذ بناصيته إلى الخير كله.

وعن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»(1).

ويتصارع الفريقان: أهل الخير وأهل الشر في إرادة الناس أو الشر بالناس، ولكنه يبدو أن الموجود أهل الخير مختلف أمر

ويوم أنهم في ذلك بمعرفة الناس إلى الخير، وعليهم طلب ونشر ينهب والكافرون أهل الشر عند الشهوات همهم ورغباتهم أن يحولوا المجتمعات إلى مجتمعات إلهاء يستمتع فيها الأفراد حتى من ترب الإنسانية ليتحولوا إلى حالة من البهيمية خالين من كل ملك ديني أو أخلاقي أو اجتماعي مكتفين بإشارات خادعة من الحرية والتحلل والتحضر وغيرها من الشعارات الكاذبة، والتي هي في حقيقتها ليست سوى أسماء أخرى للعبودية للدنيا(1).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27].

وهم لا يريدون سوى إشاعة الفواحش والفسق في مجتمع المؤمنين بشتى الصور والوسائل، ومن ثم توعدهم الله تعالى على ذلك بعذاب أليم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19].

وانظر كيف صور سبحانه حال عباد الرحمن، وأثنى عليهم، يوم يجمعهم على الله ... [illegible]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله [illegible] رقم (2607).

(1) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب [illegible].

أهل النار الكافرين، الذين أبوا السجود لأمر الرحمن الرحيم، قال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ (الفرقان: ٦٠).

فعباد الرحمن هم خير الناس الذين عرفوا ليعرف بعبوديته من كل الخير وكل خصال وخطايا، قال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ (الفرقان: ٦٣).

وبعد هذا الفرق الذي يوم القيامة فريق يجب الخير للناس ويدعو إليه، وهم الرسل وأتباع الرسل، وفريق يريد الشر للناس ويدعو إليه، وهم أولياء الشيطان وأعداء الرسل.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ (الأنعام: ١١٢-١١٣).

الحق والباطل

ففي الله بحكمته وعدله أن يبتلي الناس ليعلم أهل الحق من أهل الباطل، وأهل الحق من [illegible] ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: ٣٠).

واقتضى سبحانه أن الإنسان هو أهل الحق: ﴿[illegible]﴾ (محمد: ٣).

والكون كله يقوم بأهل الحق والباطل بيد الله [illegible] والسعادة وصلاح الحال والمؤمنين أهل الحق، وكسب الشر والضلال وسوء الأعمال للباطل وأهله، وأوجب على المؤمنين مقاتلتهم [illegible] حتى لا تكون فتنة [illegible] القتال وضرب الرقاب [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

والحق عز سلاح المؤمنين في صراعهم [illegible] كما أن الباطل هو [illegible] الكافرين [illegible] الحق.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] سبحانه أن يصارع الحق والباطل [illegible] إلى يوم القيامة [illegible] الغلبة والنصر والبقاء للحق وأهله، وضرب لذلك مثلاً فقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾

[illegible] ﴾ [illegible]

فالباطل لا يبقى ولا يدوم بل الحق هو الذي يعلوه [illegible] عليه فهو لا يثبت أمام الحق، [illegible] سبحانه [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

سنة الله [illegible] أن تكون الغلبة للحق وأهله، وأن يندحر الباطل وأهله [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] بد من اندحار الباطل وأهله، وإن كان ذلك في الحياة الأخرى فهم محشورون لا محالة [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ ([illegible]: ٢١)

رابعًا: الظلم والعدل:

صراع الظلم والعدل ليس خصوصًا على صراع الكافرين مع أهل الإيمان، وإنما هو من أثر الظلم [illegible]، وإنما قد يقع من بعض الفسقة والمبتدعة والعصاة من أهل الإيمان.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «إن الإمام أحمد [illegible] [illegible] من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر [illegible] لم يجز الاستغفار لهم؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع»(١).

والحق أن الظلم [illegible] من جميع الخلق [illegible] بل [illegible] العدل لأن الإنسان [illegible] الظلم [illegible] على الحق والعدل [illegible](٢).

ولأجل الظلم في [illegible] قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «[illegible] الناس [illegible] الظلم [illegible] في أنواع الإثم أكثر [illegible] من الظلم في الحقوق [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible]: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. [illegible] في الدنيا [illegible] في الآخرة [illegible] [illegible](٣).

وليس معنى ذلك أن يخرج الناس على حكامهم [illegible] [illegible](٤).

وإنما كان الظلم والبغي قد يقع من أهل الإيمان حتى يحصل الاقتتال بين الطائفتين من المؤمنين أمر الله تعالى أهل العدل والإصلاح [illegible] على الإصلاح بين الطائفتين: ﴿[illegible]﴾ (الحجرات: ٩) [illegible]

(١) [illegible] ص ١٤.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية [illegible].
(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص ٢٩.
(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز [illegible].

أمر بقتال ﴿[illegible]﴾ [illegible] بسبب الإصلاح ﴿[illegible]﴾ والقسط.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الحجرات: 9].

وقد تكلم العلماء في أحكام منع البغي ومقاتلة البغاة [illegible] في كتب الأحكام [illegible]

[illegible]

وقد أمر الحق سبحانه بإقامة العدل والحق والقسط والميزان في كل شيء؛ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ [illegible]﴾ [الحديد: 25].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ [illegible]﴾ [الشورى: 17].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: 152].

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [الرحمن: 7-9].

وقد أمر بالكيل بالقسطاس المستقيم

قال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [الإسراء: 34-35].

وقد توعد المطففين في الكيل والميزان

(1) الاستقامة، لابن تيمية [illegible]

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [القصص: [illegible]]

[illegible]

ثانياً: الفساد والصلاح

أمر الله عباده بطاعته التي فيها صلاح [illegible] ونهاهم عن الإفساد في الأرض [illegible] قال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: [illegible]]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [القصص: [illegible]]

[illegible] الفساد في الأرض [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

التدافع والصراع بين الفساد والصلاح

[illegible] من صور سنة التدافع [illegible] بين الكافرين والمؤمنين [illegible]

[illegible]

[illegible] بين شعيب وقومه: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٤-٨٨)

فقد [illegible] الإفساد في الأرض [illegible]

[illegible]

[illegible] (الأعراف: [illegible])

ومن أعظم الناس [illegible] المنافقون [illegible] القرآن [illegible] فقال سبحانه في سورة البقرة: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ۝ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ۝ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (البقرة: ٨-١٠).

[illegible] الله [illegible] والمؤمنين [illegible] حال الدولة الإسلامية [illegible] المسلمين من القوة والضعف [illegible] في بداية العهد المدني أمر الله تعالى رسوله [illegible] والإعراض [illegible]

قال تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ۝ [illegible]﴾ [illegible]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقد اختلف الحال بعد استقرار دولة المسلمين وظهورها في المدينة آخر الأمر [illegible] الأمر [illegible] [illegible] [illegible] ويحصل ذلك [illegible] في يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ۝ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ۝ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ (الأحزاب: ٦٠-٦٢).

وقال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ (التحريم: ٩).

وسائل [illegible]

تختلف صور [illegible] ووسائله بين المؤمنين (والكافرين والمنافقين)؛ فيجتهد الكافرون والمنافقون كل وسيلة من الوسائل غير مكترثين [illegible] ولا شريعة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشهوات [illegible] [illegible] الأخلاق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في مواضع [illegible].

أما المؤمنون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا غدر ولا [illegible] [illegible] ما شرع الله وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم.

أولاً: وسائل [illegible] لدى الكافرين والمنافقين:

١. [illegible] بإثارة اللغط والتشويش:

إثارة اللغط والتشويش على الدعوة الإسلامية هي [illegible] الكافرين والمنافقين في كل زمان ومكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أعداء الإسلام في اعتراضهم [illegible] [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ويستطيع القارئ أن أعداء الإسلام [illegible] [illegible] من أيامهم بكل صور [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بين حزب

(٢) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

المؤمنين وحرب المشركين، فعمدت قريش على مجابهة هذه الدعوة بأساليب شتى منها:

- السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.
- إثارة الشبهات والدعايات الكاذبة.
- المساومة بين الناس [illegible].
- اضطهاد المؤمنين وتعذيبهم.
- الاعتداءات على النبي صلى الله عليه وسلم.
- مساومة النبي صلى الله عليه وسلم على ترك دعوته.
- مقاطعتهم للمسلمين ثلاثة أعوام في الشعب (أبي طالب)[1].

٢. التشكيك وإثارة الفتن والشبهات.

[illegible] من المكر والتشكيك [illegible] أهل الكتاب [illegible] الإسلام [illegible] المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ... قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران ٧٢-٧٤].

وفي الآية أن اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار ثم اكفروا به آخره، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه ارتياب في دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم، ويقولوا: إن أهل الكتاب أعلم به منا[1].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران ١٨٦].

فهذه الآية وما بعدها من الآيات إنما نزلت لتعليم المؤمنين كيف يصبرون [illegible] على الدين، وكيف يردون شبهاتهم [illegible] المسلمين في عقائدهم.

قال الإمام ابن كثير: [illegible] والآية عامة في [illegible] أهل الكتاب[2].

٣. التشكيك وإثارة الشبهات وإشاعة [illegible].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

(١) انظر الرحيق المختوم ص [illegible].

من أصناف صور [illegible] لدى الكافرين الذي [illegible] المؤمنين وإشاعة الفواحش فيهم [illegible] من [illegible] الذي [illegible] إلى سبيل الفواحش والشهوات.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النساء: ٢٧]

ومن ثم [illegible] الله تعالى على ذلك [illegible] فقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [النور: ١٩]

٤. [illegible] المؤمنين [illegible] والطعن فيهم.

[illegible] من صور [illegible] حكاه القرآن من المشركين [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] في [illegible] هذا الأمر [illegible] الكريم في ذلك [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه [illegible] الأذى من المشركين [illegible] التوجيهات القرآنية [illegible] والصفح [illegible] الله [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٨٦]

ومن ذلك الأذى [illegible] الكافرون والمنافقون المؤمنين [illegible] أتباع الرسل من [illegible] في كل [illegible] و[illegible] بالسوء أو الإيذاء.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢١٢]

في هذه الآية يحكي لنا القرآن الكريم ما يجري بين المؤمنين والكافرين من [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] المؤمنين [illegible] هؤلاء المنافقين [illegible] من [illegible] أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] سبيل المؤمنين.

[illegible] المنافقين [illegible] المؤمن [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible]

لكن الناس - أصحاب محمد وأتباعه من المؤمنين المصدقين به من أهل الإيمان واليقين، والتصديق بالله، وبما فرض عليهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا ألهام[1].

بل راحوا على ذلك يتهمون الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه بالسحر والشعوذة والضلالة والسفاهة وغير ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة معروفة.

بل أعظم من ذلك تطاولوا على شرف النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

ه- التبلع بالسخرية من المؤمنين.

من وسائل التبلع لدى الكافرين التي يرمزون بها [illegible] المؤمنين السخرية اللاذعة من المؤمنين، وما هم عليه من الحق والهدى [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible])

وقديما سخر الكافرون من نوح عليه السلام، وحكى الله ذلك عنهم فقال: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ (هود: 38-39).

ومن ذلك استهزاء بني إسرائيل بنبيهم موسى عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: 67).

فالحقيقة أنهم هم الذين استهزأوا بنبي الله عليه السلام [illegible]

(1) جامع البيان للطبري (1/ 293).

ومن جواز الاستعطاف استعطاف فرعون بقربه في [illegible] [illegible] في نبي الله موسى عليه السلام من [illegible] بمظاهر الزخرف والزينة الفارغة.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الزخرف: [illegible]).

وقد سخر المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الصافات: [illegible]).

والأمثلة كثيرة في القرآن منها ما حكاه القرآن من جواز المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿[illegible]﴾ (الفرقان: [illegible]).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] (سبأ: [illegible]).

قال الألوسي: [illegible]

[illegible]

٦- التمتع بالمبالغة في المتعة المادية.

[illegible]

إعداد العدة المادية إلى أبعد الحدود وقد أمر الله من المقاتلين الذين يخافون الكفر بقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

٧. التخلي بالمبالغة في العدة البشرية.

ويتفرع عما سبق من عدم الإيمان والتعويل على الأسباب المادية: المبالغة في الحشد، وإعداد العدة البشرية، [illegible] (١) لما [illegible] عليهم من هلع وفزع، [illegible].

قال تعالى عن فرعون، وحشده السحرة لمواجهة موسى عليه السلام: ﴿[illegible]﴾ [الشعراء: [illegible]].

ويقول تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ولأن أعداء الحق [illegible] في مفهوم على الأسباب المادية وقوة العدة و[illegible] لكثرة الباطل وأهله، فهم يحاربون بتلك الكثرة، [illegible] عليها. قال: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ومع هذا الحشد والجمع من الكافرين؛ لا ينبغي للمؤمنين إلا الاعتصام بالله، [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: [illegible]].

٨. التخلي بالمحالفات السياسية.

ويتفرع عما سبق من عدم الإيمان والتعويل على المبالغة في الحشد وإعداد العدة البشرية: عقد المحالفات السياسية لمناهضة الإسلام وأهله، [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

(١) جامع البيان للطبري [illegible].

(١٠٠٨)

حمن بن إسحاق قال: في يزيد بن رومان في قول الله: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ والمراد قريش وخطابهم لأبي طالب، وكانت الملأ الذين أرسل الله عليهم مع الروح المطلقة[1].

٩. الدفع بالمقاطعة الاقتصادية.

من وسائل الدفع لدى الكافرين المعروفين ما حكاه كتب السيرة من المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وحصارهم في شعب أبي طالب؛ وذلك أنه: حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة أتاه قومه وهموا به فقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه، ورأت قريش أنه لا سبيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم معهم، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم.

وعمد أبو طالب فأدخلهم الشعب شعب أبي طالب، وآذوا النبي صلى الله عليه وسلم، على الله من أمرهم في بني هاشم وبني المطلب، فلبثوا حتى جهدوا جهداً شديداً،

فشكوا ذلك إلى الله تعالى، وسلط أرسل على صحيفة قريش الأرضة فلم تدع فيها اسماً لله إلا أكلته، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، وأخبر بذلك رسوله، وأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طالب، واستبشر به أبو طالب على قومه[2].

ويتضح من هذه المقاطعة أن هدفها هو إرغام المسلمين على التراجع عن دينهم ودعوتهم أو على الأقل إضعافهم، ومحاصرتهم كيلا يخش عليهم، كما رأوا من أثر الدعوة الإسلامية على القلوب والعقول والفطر السليمة.

وهذا هو ما يتوقع أحد الإصلاح في كل زمان ومكان، لتحقيق تلك الأهداف الخبيثة.

١٠. الدفع بالمقاطعة الاجتماعية.

لم تكن مقاطعة الكافرين للمسلمين في شعب أبي طالب مجرد مقاطعة اقتصادية فقط، بل كانت مقاطعة اجتماعية شاملة، تنص على ألا ينكحوهم ولا ينكحوا منهم، وذلك لما يعلمونه من أثر ذلك في زيادة عزة المسلمين وحصارهم.

وفي أيامنا من ذلك وغيره المقاطعة الاجتماعية، التي تعدت مجرد المقاطعة

---

(١) ابن إسحاق ... (٢/٢٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/٣٦٥)، وأصله في صحيح البخاري رقم (١٥٨٩)، وصحيح مسلم رقم (١٣١٤) من حديث أبي هريرة.

www.mobsee.com

إلى الإيذاء والاضطهاد النفسي في محيط الأسرة حيث يشير القرآن إلى معاناة الأبناء المؤمنين الذين أسلموا [illegible] من [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت: ٨]

قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه [illegible]﴾ [لقمان: ١٤-١٥]

١١. التنكيل بقتال المؤمنين وإهلاكهم والقضاء عليهم.

من أعظم وسائل التنكيل لدى الكافرين للمؤمنين هو القتال، [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢١٧]

[illegible] لا يكتفون في ذلك [illegible] القتال والقتل بل [illegible] بالمؤمنين وإهلاكهم والقضاء عليهم [illegible]

ثالثاً: وسائل الدفع لدى المؤمنين:

١. لزوم الإيمان والتقوى.

٢. الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٣. الاجتماع ونبذ الفرقة.

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible] (آل عمران: ١٠٠-١٠٥)

والمتأمل في هذه الآيات يجد أن الله تعالى قد بين فيها أهم سبل النفع [illegible] ورتب [illegible] التي ينبغي أن يلزم عليها [illegible] هي:

١. لزوم الإيمان بالتقوى والمحافظة على الإسلام والتمسك به والموت عليه.
٢. الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم [illegible] والتمسك بهما [illegible] من سبل البدعة والضلالة.
٣. الاعتصام [illegible] الكتاب والسنة [illegible] الاجتماع والاعتصام.
٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [illegible]

والتمسك بالكتاب والسنة، ولا يجمع [illegible] إلا [illegible] الأمر بعد الرسول [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومن المعلوم أن تغيير الفساد والمنكر أصل عظيم من أصول هذا الدين له أثره [illegible] في صلاح المجتمع [illegible] صور الفساد التي يراها أهل الإسلام في مجتمعاتنا [illegible] أحد أركان أسس يلزم عليها بناء المجتمع المسلم.

ونستطيع أن نبين ذلك إذا أخذنا سورة قصيرة من سور القرآن كسورة العصر؛ حيث نبين أن معالم النجاح والصلاح للفرد والمجتمع المسلم إنما ترجع إلى أربعة أركان أساسية هي: الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

والتواصي بالحق إنما هو لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو [illegible] بالإصلاح، وهو قرين الإيمان بالله تعالى، ودليل عليه، ولذلك جعله النبي صلى الله عليه وسلم في علاقة [illegible] مع

الإيمان بالله تعالى قوة وضعفاً، فمثل قوته من قوة الإيمان وضعفه من ضعف الإيمان.(١)

وأعظم هذا الأمر والأهمية وخطورته لله تعالى في وصف هذه الأمة على [illegible] بالإيمان بالله تعالى، [illegible] بالإصلاح [illegible] والمنكر [illegible] بالله تعالى.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

فجعل الله تعالى خيرية الأمة [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ في الآية الأخرى [illegible] في تفسير الآية.

ولما قال [illegible]

الحق بالإصلاح بوسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [illegible] مسلم بالطريقة [illegible] والنهي [illegible] العلم والحكمة [illegible] على العلماء والمحتسبين [illegible] بالصلاة والصيام [illegible]

وذلك على [illegible] القرآن في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولما نجد النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] عن أبي سعيد [illegible] ﴿[illegible]﴾ [المائدة: ٧٨].

قال عن [illegible] سمعنا النبي صلى

(١) [illegible] أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٤٩) [illegible]

الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه». وقال جرير: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب» قال أبو داود: ... «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله»[1].

٤- الدفع بالتي هي أحسن.

إن من أصول ما يجب أن يكون ... الإسلام ... بالتي هي أحسن ... ثم لا يجوز ... بالوسيلة إلى ... كما هو ... الإسلام والدعوة.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

وذلك في حال السلم أما في حال الحرب فالله نهى رسوله الكريم عن قتل الطفل أو المرأة أو الشيخ الكبير أو من لا يقاتل.

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، ...

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ... وصححه الألباني في صحيح أبي داود ...

أيها المسلمون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع»(2).

فترى كيف ينهى النبي صلى الله عليه وسلم عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

كيف يجعل النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام صورة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الإسلام والمسلمين.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

بل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ويصدح الله في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

قال ابن جرير رحمه الله: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، [illegible] [illegible] [illegible]

(2) أخرجه أحمد في مسنده [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] (1).

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (النحل: 125).

[illegible]

وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿[illegible]﴾ (طه: 44).

[illegible]

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد، ويقاتلون بما [illegible] ﴿[illegible]﴾

(1) جامع البيان، الطبري [illegible].

ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعني: أهل الحرب، ومن امتنع منهم من أداء الجزية.

وقوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ يعني: إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا نقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقا، ولا على تصديقه فلعله أن يكون باطلا(1).

فالصواب أن جدال أهل الكتاب وغيرهم بالتي هي أحسن ثابت ومحكم غير منسوخ، [illegible] من أنفسهم وحسن الأدب في حوارهم [illegible] يشهد لأخبارهم أو إنكاره، [illegible] والإنصاف في المحاورة.

فتحصل: قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الالتزام كل خلق حسن جميل مع المحاور، والتجنب كل خلق رذيل، وهذا مع كل محاور [illegible] بنص الآية الأولى، فالمسلم أولى بلا خلاف من الكافر بإحسان محاورته، [illegible] في إحسان محاورته لا تلغي أحقية غيره من الكفار والمشركين والملحدين في إحسان حوارهم ومجادلتهم.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

www.modoee.com

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، أحدٌ ليسمع كلام الله منك -وهو القرآن الذي أنزله الله عليه- ﴿فَأَجِرْهُ﴾، يقول: فأمِّنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾، يقول: ثم رده بعد سماعه كلام الله -إن هو أبى أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن- إلى مأمنه، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾، يقول: تفعل ذلك بهم من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن، وردك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله[1].

فالواجب إبلاغه ممن يتعرض له بسوء وتأمينه حتى يستطيع أن يسمع ويعقل كلام الله بأسلوب من أساليب الدعوة -بعد إسماعه وسماعه- إلى المكان الذي يأمن فيه على نفسه ويشعر بالأمان فيه من المشركين.

٦. الدفاع عن طريق رد الشبه وكشف حقيقة الباطل من طريق وسائل الإعلام المختلفة والحوار والمحاجة والمناظرة.

معرفة سبيل المجرمين بهدف الحذر منه وكشفها وبيانها وجعلها من أوجب الواجبات لمن انتصب للدفاع عن الإسلام والعباد.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] [illegible][2].

ولما كانت استبانة سبيل المجرمين من واجبات الدين، ومن مهمات الدفاع وجب على المسلمين الإفادة من كل وسيلة متاحة لذلك سواء عن طريق الكلمة المكتوبة، أو المسموعة، أو المرئية، سواء بكتابة أو بمقالة أو حلقة أو إصدارات ونشرات ومواقع الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وغير ذلك من الوسائل الإعلامية المتعددة التي يتيح بها العصر الحديث، ويروج أعداء الإسلام في استخدامها بالإفادة منها لمحاربة الدين الحق وأهله.

ولذا فإننا سنبين سبيل في التعريف بمصطلح الدفاع والمصطلحات القريبة ما هو قريب

---

[1] جامع البيان، الطبري (١٤/ ١٣٨).

[2] جامع البيان الطبري (١١/ ٣٩٥).

من مصالح الخلق، كالأسرار والسعادة والهجاء والمناظرة وذكر الفروق بينها يخفى ما يحتاجه على ذلك من كتاب الله تعالى.

والشعر مما يعد أحد الوسائل في من وسائل الدفع الهجوم بل لعلها أكثرها في وسيلة الدفع الإعلامية السائدة حينما تعجز الآلة العسكرية لضعف الإمكانات أو لعدم تهيؤ الظروف لها.

وقد امتدح القرآن الشعراء الذين يلتزمون بأمر الله تعالى حيث استثناهم من الذم الذي ألحقه بالشعراء حيث تحلوا بالعقيدة والعمل والإصلاح: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾، أي انتصروا لدينهم وعقيدتهم وأعراض المسلمين بشعرهم.

قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧).

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ينافح، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢).

٧. الأخذ بما أمكن من أسباب القوة البشرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

مما لا شك فيه أن الأخذ بأسباب القوة المختلفة لا سيما القوة العسكرية من أهم آليات الدفع في معركة الإسلام مع قوى الشر المختلفة، ولا تكون مقابل [illegible] كثيراً من صور الانحراف الفكري لدى كثير من مفكري المسلمين إنما يرجع سببه إلى الهزيمة النفسية التي ترجع إلى الهزائم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [illegible]، رقم [illegible]؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم [illegible].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، رقم [illegible]؛ قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، رقم [illegible].

بالقوة المادية والعسكرية التي عليها أعداء الإسلام.

وقد أمرنا الله تعالى أن نأخذ بكل ما نستطيع، ويمكن أن تصل إليه أيدينا من وسائل القوة.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ [illegible] وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»(١).

والقوة تشمل القوة المادية والقوة العسكرية وسائر أنواع القوة [illegible].

٨. التحالفات السياسية:

لا يستطيع المسلمون [illegible] أعدائهم [illegible] إلا [illegible] بعضهم [illegible] في الدين [illegible].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا [illegible]﴾ (الأنفال: ٧٢).

[illegible]

٩. القتال:

القتال [illegible] من [illegible] ولذلك أمر الله [illegible] القتال [illegible] المسلمين [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ٢١٦).

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ١٩٠).

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة [illegible] رقم ٢٦٦٤.

(٢) [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

وبهكذا كان [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

ولما أنزل الله تعالى في سورة [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

وصالح النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

بالعدو، واحتمال الأكثر من أعباء الدعوة في مرحلة الجهاد حتى تكتب للداعي الشهادة في سبيل الله، من الحقوق والقدرة إلى الحق، وحتى لا يكون بها القلوب بإيجاد نوع من المقاطع النفسية، ومع ذلك فهي مأمورة بالأخذ بأسباب القوة في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).

ولكن في مرحلة الجهاد لا يجوز الأمر من إعداد القوة دون استخدامها، أو إظهارها بخلاف مرحلة السكون، واستقرار الدولة الإسلامية، فإنها يشرع لها استخدام القوة لتنطلق من الدعوة الإسلامية في وجه أعدائها، والتمكين لها، وصد كل من يقف في سبيل إيصالها إلى الناس، إلى ذلك بما لا يتعارض مع القواعد الحاكمة والنظر في موازين المصالح والمفاسد، وعدم التسبب في أي مفاسد سياسية أو عقدية على الساحة الأوسع من مصلحة الدعوة التي تتبع هذه الفتن.

١٠. المقاطعة الاقتصادية:

وتعد المقاطعة الاقتصادية سلاحًا ووسيلة من أهم وسائل الدفع الاقتصادي، بحسب ما تقتضيه الحاجة والمصلحة الشرعية، كما قال تعالى: ﴿...﴾

﴿...﴾ (النساء: ...).

فهذا ثمامة بن أثال -الصحابي الجليل- بعدما أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ما عاد يمن المسلمين بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم له سنة المقاطعة الاقتصادية للمشركين والكافرين المحاربين للإسلام، وقال لهم: (إنما لهم حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم)[1].

١١. المقاطعة الاجتماعية:

من أهم الأسس التي يقوم الدفع عليها عند المؤمنين، براءتهم من الكافرين، ومما هم عليه من اعتقاد فاسد يبتني على الكفر بالله واليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، (٤٣٧٢) ...

﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة ٢٢).

فبين الله تعالى أن الإيمان بالله واليوم الآخر لا يجتمع مع موادة من حاد الله ورسوله ولو كانوا من الأصول أو الفروع أو غير الأرحام المقربين.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة ٢٣).

والآيات في ذلك كثيرة.

عواقب ترك الدفاع

أولاً: الخذلان:

إذا ترك المسلمون القيام بواجبهم في الدفاع عن إخوانهم والتصدي لأعدائهم فإن ذلك يفضي بالنتيجة لخذلانهم على أنفسهم.

لكن لا بد أن يعرفوا نصرة الله تعالى ...

قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ (محمد ٧).

فإذا نصر المسلمون بعضهم وقاموا بما افترضه الله عليهم بالحمية له والذود عنه نصرهم الله، وإلا فالخذلان المبين لأنه يكلهم لأنفسهم ولن تغني عنهم من الله شيئاً ...

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران ١٦٠).

ثانياً: الذلة والهوان وتسلط الكافرين على المؤمنين:

من المعلوم أن قيام المسلمين بواجبهم في الدفع إزاء الكافرين يمثل نوعاً من

تولوا القرية فلا يتمادى أهل الكفر في تمادي وطغيانهم واستعلائهم واستذلالهم للمؤمنين، وإلا يأتي الله بأمره وتحقيق سنته في معاقبة القاعدين وضرب الذلة والهوان عليهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ أي [illegible] ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [illegible] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن الطاعة[1].

وعن ابن عمر: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[2].

فقضت سنة الله تعالى على عباده إذا تركوا ما أمرهم به من الدعوة والجهاد الإسلامي أن يضرب عليهم ذلاً لا ينزعه حتى يرجعوا إلى دينهم.

ثالثًا: الاستبدال:

ومن السنن المقررة على ترك الجهاد: استبدال الله تعالى بمن ترك الجهاد والجهاد في سبيله من يقوم مقامه ويعلي [illegible] الإسلام والعباد.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: 54].

---

(1) [illegible]

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة (3462)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم [illegible].

[illegible]

أولاً: حرية المعتقد و حرية العبادة:

إن من أهم أسباب الفتح الإسلامي هو [illegible]

[illegible]

[illegible] (النحل: ٩٧)

[illegible]

ثانياً: حرية العبادة وتحصين أماكنها:

من أعظم الظلم الذي يحارب أهله الإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿...ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا...﴾ (الحج: ٤٠)

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأنبياء: ١٨)

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible] ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ (الأنفال: ٧-٨)

[illegible]

[illegible]: إحقاق الحق ورفع الظلم، وخذلان الباطل وأهله.

[illegible]

[illegible] ﴾ [الحج: ...]

رابعًا: شفاء صدور المؤمنين:

ومن نتائج الجهاد الحسية كذلك شفاء صدور المؤمنين مما حل بهم من كيد الظالمين وظلمهم لهم والنيل من أعراضهم وأموالهم وأنفسهم.

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 14-15]

[illegible]

الآداب الإسلامية الخير الجهاد السياسة الشرعية

الدَّين

عناصر الموضوع

مفهوم الدين	٥٤
الدين في الاستعمال القرآني	٥٥
الألفاظ ذات الصلة	٥٦
مشروعية الدين	٥٩
كتابة الدين	٦١
الإشهاد في الدين	٦٣
تحرير الأمر في الكتابة والإشهاد	٧٢
الرهن في الدين	٧٦

مفهوم الدين

أولاً: المعنى اللغوي:

أصل مادة (دين) تدل على الانقياد والذل، والدين: الطاعة، تقول: دان له يدين دينًا إذا أصحب وانقاد وطاع[1].

ومنه: أخذ الدين، ومنه: [illegible] وقيل: رجل [illegible] يدين [illegible]: هو الذي عليه دين [illegible].

[illegible][2].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

الدين: اسم لجميع ما يعبد به الله[3].

وقيل: [illegible] في الشرع [illegible][4].

وقيل: [illegible] أحد الطرفين [illegible][5].

وقال القرطبي: [illegible] الدين عبارة عن [illegible] أحد الطرفين [illegible] والآخر في اللغة [illegible] الدين عند العرب [illegible][6].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٣١٩-٣٢٠.
(2) انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٩/٣٧٧.
(3) التعريفات للجرجاني ص ١٠٦.
(4) الفروق اللغوية للعسكري ص [illegible].
(5) المصدر السابق ص ٢٣٢.
(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٧٧.

الدين في الاستعمال القرآني

وردت مادة (دين) في القرآن الكريم (١٠١) مرة[1]، والذي يخص موضوع الدَّين (٨) مرات.

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة:٢٨٢)
المصدر	٤	﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (النساء:١١)
اسم المفعول	٦	﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات:٥٣)

وجاء الدين في القرآن على معناه اللغوي، وهو: القرض ذو الأجل، ولم يخرج في الاستعمال القرآني عن هذا المعنى[2].

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٦٧-٢٦٨، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، ص [illegible].

[2] انظر: الصحاح، الجوهري، [illegible]، المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، [illegible]، تهذيب اللغة، الأزهري، [illegible]، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، [illegible]، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، [illegible].

الألفاظ ذات الصلة

١ القرض

القرض لغة:

إعطاء شيء قرضًا ويُقال: أقرضه: أعطاه قرضًا من ماله [1].

القرض اصطلاحًا:

القطعة من الشيء والقطع منه، فكأنه يقطع له من ماله قطعة ليقطع له من أجره قطعة [2].

الصلة بين القرض والدين:

الدين: ما له أجل، والقرض ما لا أجل له، والقرض أكثر ما يستعمل في العين والورق، هو أن تأخذ من مال الرجل درهمًا لترده عليه بعينه من معنى... حتى يكون إلى أجل فهو مسئول فرض مدًى، وليس كل دين قرضًا [3].

٢ السلف

السلف لغة:

من الفعل سلف، والسلف من القرض والسلف: كل شيء قدمه فهو سلف [4].

السلف اصطلاحًا:

وهو المال الذي يقدم لما يشترى نساءً إلى أجل [5].

الصلة بين السلف والدين:

السلف هو ما قدم من الثمن على المبيع، والدين ما ثبت في الذمة من مال الأمر [6].

٣ الإجارة

الإجارة لغة:

وهي اسم للمثابة... أو لعقد الإجارة مسأجرة من عمل إذا كذب وجاء وقيل: من

---

(1) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/٧٢٧.
(2) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٢٦٩.
(3) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/٧٢٧.
(4) انظر: العين، الفراهيدي ٧/٢٤٨.
(5) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/٩٥.
(6) انظر: المفردات، الأصفهاني ص ٢٣٩.

التعريف أيها: التمليك أو التعويض.

الإعارة اصطلاحًا:

«تمليك المنفعة بغير عوض»[1].

الصلة بين الدين والإعارة:

يتضح من خلال التعريف السابقة أن الدين يكون في المال والأعيان المعيارية، أما الإعارة فهي في المنافع.

4 الإيجار

الإيجار لغةً:

«الأجرة والكراء ... الأول: الكراء على العمل، والثاني: جبر العظم الكسير، فأما الكراء فالأجر والأجرة، وأما جبر العظم فيقال منه: أجرت اليد»[2].

الإيجار اصطلاحًا:

«عقد على منفعة مقصودة معلومة مباحة من عين معينة أو موصوفة في الذمة، أو على عمل معلوم بعوض معلوم مدة معلومة»[3].

الصلة بين الدين والإيجار:

من التعريفات السابقة يتبين أن الدين ما يعطيه غيره من مال أو غيره على أن يرده إليه، والإيجار هو الأجرة على العمل عند أداء.

5 الهبة

الهبة لغةً:

وهب له الشيء أي: أعطاه إياه بلا عوض، وتصريفها: وهب -يهب- وهبًا[4].

الهبة اصطلاحًا:

«التمليك للعين بلا عوض»[5].

---

(1) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٥٩.
(2) مقاييس اللغة، ابن فارس ١/٦٢-٦٣.
(3) الروض المربع، منصور البهوتي، ١/٣٩٣.
(4) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/١٠٥٩.
(5) أنيس الفقهاء، القونوي، ص ٩٧.

الصلة بين الدين والنية:

الدين السلوك [illegible]

2 الفرح:

الفرح لغة:

[illegible] [1].

الفرح اصطلاحاً:

[illegible] [2].

الصلة بين الدين والفرح:

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [يونس: ٥٨] [3].

3 السداد:

السداد لغة:

الإصلاح والاستقامة والتوفيق [illegible] [4].

السداد اصطلاحاً:

[illegible]

الصلة بين السداد والدين:

الدين [illegible]

(1) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص[illegible].
(2) العين، الفراهيدي، [illegible].
(3) انظر: [illegible].
(4) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص[illegible].

مشروعية الدين

استمد أحكام الدين الإسلامي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132].

وقوله أيضاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

وقد ورد في كتاب الله تعالى ما يبين الأمر بكتابة الدين: الإرشاد والتوجيه للمؤمنين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة 282].

وقد جعل الله تعالى في مشروعية التداين بعض القواعد التي يجب أن يحافظ بها المتعاملون [illegible] في آية الدين من سورة البقرة ومن أهم هذه القواعد ما يأتي:

1. تحديد الزمن:

قال تعالى: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

[illegible] الأجل [illegible] (1).

2. الكتابة:

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾

فقد توجه من الله تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بديون مؤجلة بأن يكتبوها، وذلك لحفظ الدين [illegible] وأضبط للشهادة فيه لقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [البقرة 282].

3. حضور الشهود.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة 282].

لقد أمر الله تعالى بالكتابة والإشهاد على الكتابة لأن الكتابة بغير شهود لا [illegible] بالكتابة [illegible] والشهود حماية على الطرفين حتى لا ينكر أحدهما بالأمر(2).

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم على [illegible] الدين [illegible] اجتماعية وأخلاقية في المجتمع المسلم [illegible] فقد ذكر أحاديث كثيرة تحذر من [illegible] أموال الناس [illegible] ومن هذه الأحاديث:

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

٤. وفاء الدَّين:

يجب على الشخص الوفاء بديونه ويحرم عليه المماطلة في سداد الدين، فقد روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مطل الغني ظلم)(١).

ومعنى مطل الغني: أي: تسويف القادر المتمكن من أداء الدين الحالّ ظلم منه لرب الدين، فهو حرام في ذلك(٢).

ويفهم من ذلك أن المماطلة إنما تكون بعد مطالبة الأصل في الدين، لأن المطل لا يكون إلا بعد المطالبة، وفيه ملازمة المماطل بمنع الغني والوصول إليه بأي طريق، وأخذه منه قهراً(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)(٤).

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه سمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك)(١).

تورّع النبي صلى الله عليه وسلم ألا يصلي على رجل مات وعليه دين، وليس أحد يضمن سداده فإذا تكفله أحد صلى عليه وإلا أمر أن يصلى عليه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين، فيسأل: هل ترك لدينه فضلاً؟ فإن حدث أنه ترك لدينه وفاء صلى، وإلا قال للمسلمين: (صلوا على صاحبكم) فلما فتح الله عليه الفتوح قال: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته)(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحوالات، باب في الحوالة، ٣/٩٤، رقم ٢٢٨٧.
(٢) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ٢/٣٧٧.
(٣) انظر: عمدة القاري، العيني، ١٢/١١٠.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، ٣/١٥٠٢، رقم ١٨٨٦.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، ٣/١٥٠١، رقم ١٨٨٥.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة.

كتابة الدين

إذا تعامل المسلم إلى أجل مسمى فينبغي العمل على حفظ هذا الدين، حتى لا تضيع الحقوق، وتحدث المنازعات بين الناس، فيجب عليهم ... هذه الأحكام فيما يأتي:

أولاً: حكم كتابة الدين:

وقد ورد ذلك واضحًا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

ابتدأت الآية الكريمة بخطاب المؤمنين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو وصف بالإيمان ... ما كلفه الله تعالى به ... وبعد ذلك أمر الله تعالى بالكتابة في الدين لحكمة أرادها بها حماية حركة الحياة عند الناس، ورفع الحرج فيما يتعلق بهذا الأمر ثم سبحانه بالكتابة فقال: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾(١).

والآية تدل في ظاهرها الأمر بالكتابة جميع ... لقوله سبحانه: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ أي: إذا تعاملتم بدين ... أي صنف من أصناف المعاملات فاكتبوا هذا الدين.

(١) ...

واختلف العلماء في هذه الكتابة أهي واجبة أم مستحبة؟

فقال بعضهم بوجوبها؛ لأن الله تعالى يعلم طبيعة البشر، حيث إن فيهم من لا يؤمن على حقوق الآخرين، فأمر بالكتابة لأجل أن يحفظوا، والآخرون قالوا: إنه أمر على الاستحباب، ذلك ... قوله تعالى في الانتشار بعد أداء صلاة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

وقال بعضهم: إن كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضت ثم نسخ الكل بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣)(١)، أي: بدون كتابة، ويبقى الترك للكتابة لأمانة المتعاملين ما دام صاحب ... الله ...

ثانيًا: شروط كاتب الدين:

ولأهمية الكتابة جعل الله تعالى لها شروطًا يحفظ من خلالها حقوق المتعاملين، منها ما يتعلق بالدين نفسه، ومنها ما يتعلق بالمتعاملين، ومنها ما يتعلق بكاتب الدين، ومنها ما يتعلق ... هذه الكتابة، وفيما يأتي نبين بعض الشروط المتعلقة بكاتب

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (١/ ٢٦٩).

هذه الدين:

١. العدل بين المتداينين.

[illegible] الدين له [illegible] في الكتابة من الذي عليه الدين، [illegible] بالمكتوب، [illegible] الله سبحانه [illegible] ... [illegible] الأمر، [illegible] صاحب الحق [illegible] الطرف الآخر [illegible] ... [illegible] الأجل، [illegible] لا [illegible] في الكتابة من حق صاحب الحق [illegible] ([1]).

يقول الزحيلي في تفسيره: [illegible] ... الكاتب [illegible] ... لأحد العاقدين [illegible] ... [illegible] الكتابة [illegible] ... [illegible] ([2]).

٢. [illegible] بكيفية كتابة العقود.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ٢٨٢)

[illegible]: عالم بالأحكام الشرعية [illegible] ... [illegible] الله [illegible] ... [illegible] ([3]).

ثالثاً: شروط كتابة الدين:

إن الله تعالى جعل كتابة الدين [illegible] ... [illegible] سبحانه الكتابة [illegible] ... من أجلها:

١. أن يكون الكاتب من غير المتداينين.

[illegible] ... حتى لا يكتب [illegible] ... [illegible] الكاتب [illegible] ... [illegible] ... [illegible].

([1]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣/٣٨٣.

([2]) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٣/١١٥.

([3]) انظر: المصدر السابق ٣/١٠٩.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

أي: لا يأب [illegible] أن يكتب بالعدل [illegible] قوله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [illegible]

[illegible]

على هذا تكون لفظة ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ في موضع صفة للكاتب [illegible] علمه الله[1].

٢. إملاء الدين:

[illegible]

فكذلك جعل الله [illegible] في قوله تعالى:

﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

أي: يملي الذي عليه الدين، فيملي الصيغة التي أقر بها حقه عليه.

[illegible]

فإن لم يكن المدين قادرا على إملاء الدين فإنه ينوب عنه غيره.

[illegible] في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

[illegible]

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣/ ٣٨٣).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١/ ١٢١).

المطرحي، وكذلك من ضعف في القراءة والكتابة، فكل هذه الأعذار تستوجب من يتولى الإشراف على كتابة هذا الدين، أن يستبدل أمثال هؤلاء بمن يتولى عنهم من يستكمل الأهلية في الكتابة، [illegible] والعدل، [illegible] التسهيل في [illegible][1].

يقول الرازي: إذا إعمال حرف ﴿أَوْ﴾ بين هذه الأنواع الثلاثة، أعني: السفيه والضعيف ومن لا يستطيع أن يمل، يقتضي أن تكون أمورًا متغايرة؛ لأن [illegible] عليه الحق إذا كان موصوفًا بإحدى هذه الصفات الثلاث ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ فيجب في [illegible] أن تكون متغايرة، وإذا ثبت هذا وجب حمل السفيه على الضعيف الرأي، ناقص العقل من البالغين، والضعيف على الصغير والمجنون والشيخ الخرف، وهم الذين فقدوا العقل بالكلية، والذي لا يستطيع أن يمل من يضعف لسانه عن الإملاء لخرس، أو جهل بما له وما عليه، فكل هؤلاء لا يصح منهم الإملاء والإقرار، فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم، فقال تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ والمراد: ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة؛ لأن ولي المحجور السفيه وولي الصبي هو الذي يقر عليه بالدين، كما يقر بسائر أموره[2].

٣. كتابة الأجل:

إذا من شرط كتابة هذا الدين أن يكون الدين لأجل، والأجل يجب تسميته وتحديده بحيث لا يكون مبهمًا، قال تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

يعني الحق سبحانه بذلك أن يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذا تداينتم بدين، أو تبايعتم بدين، أو اشتريتم به، أو تعاطيتم أو أخذتم به إلى مدة محدودة فاكتبوه؛ [illegible] الدين أو البيع [illegible] ولا تتركوه مبهمًا ظاهرًا في أمور مستترة لا تعرفونها، ولا يحدد [illegible] إلا أن كتابة الدين [illegible] يوافق الشرع [illegible] القرض والسلم، [illegible] تأجيل [illegible] في أجل [illegible] بيع [illegible] صحيح، [illegible] بيع الحاضر [illegible] الآجال [illegible] المؤجلة [illegible] أجل مسمى إذا كانت آجالها معلومة بحد موقوت بها[3].

وقد يكون البيع بالدين إلى أجل [illegible] وقد يكون إلى أجل [illegible] فأمر بالكتابة [illegible]

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، [illegible].

(2) مفاتيح الغيب، الرازي: [illegible].

(3) انظر: جامع البيان، الطبري: [illegible].

الأجل له الربك والقصير: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ لا أن يكون الأجل الربك، وهو المراد من التجارة الحاضرة، وإنما رخص الله تعالى في ترك الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فيها، فلو كلف فيها الكتابة والإشهاد لشق الأمر على الخلق، وذلك تنبيه أثر من حكمة الله تعالى ورحمته بخلقه استثناء هذا النوع من الدين من الكتابة(١).

٤. قيمة الدين:

لقد اعتنى الشرع ببيان قيمة الدين المحرر في عقده سواء كانت القيمة صغيرة أو كبيرة، أي: إن الله تعالى لم يحد حدًا محدودًا للكتابة عند الدين، إنما جعله في الكثير والقليل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة ٢٨٢].

قال ابن كثير: "هذا من تمام الإرشاد وهو الأمر بكتابة الحق صغيرًا كان أو كبيرًا، فقال: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ أي: لا تملوا أن تكتبوا الحق على أي حال كان من القلة والكثرة إلى أجله".

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [البقرة ٢٨٢]. أي: هذا الذي أمرناكم به من الكتابة للحق إذا كان مؤجلاً هو ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: أعدل ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أثبت للشاهد إذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة لاحتمال أنه لو لم يكتبه أن ينساه كما هو الواقع غالبًا ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ وأقرب إلى عدم الريبة، بل ترجعون عند التنازع إلى الكتاب الذي كتبتموه فيفصل بينكم بلا ريبة.

رابعًا: مقاصد الكتابة:

إن الملاحظ من سياق الآيات أنه تكرار لفظ الكتابة في آية واحدة مع التأكيد بحرف اللام، فهو دليل على حرص الشرع على المحافظة على حق العباد من الضياع، فقال تعالى في موضع من الآية: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾، وفي ثان: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾، وفي ثالث: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾، وفي رابع: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾، وفي خامس: ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ أي: الكاتب بالعدل إنما يكتب ما يملى عليه، وفي آخر: ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾. والأمر بالنظر بعد تكرار لفظ الكتابة فهو تأكيد لأهمية الكتابة وما تحمل في طياتها من فوائد أهمها:

١. حفظ المال، وعدم إضاعته.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٧/ ١٢٤.

وصونه من الهلاك والبوار بالمماطلة في سداد الدين؛ فالمكاتبة حصن منيع لحفظ المال.

٢. أعدل في الشهادة.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (البقرة ٢٨٢).

أي: أثبت للشهادة، وأقرب ألا يكون الريب في [illegible] الشك فالكتاب يمنع ما قد يعرض لهم من الريب [illegible].

٣. اجتناب سخط الله والموافقة على تقوى الله تعالى.

وذلك يمنع سيئات المماطلة في سداد الدين، حيث إن الكتابة هي من أهم عوامل سد باب المماطلة من المدينين، وذلك أن صاحب الدين إذا علم أن عليه بالكتابة والإشهاد يحذر من خلف زمانه أو تقديم المماطلة قبل حلول الأجل، والشهود يحذر من المحسبة، ويأمن قبل حلول الدين في تحصيل المال، ليتمكن من أدائه وقت المطالبة[1].

١. الحد من الوقوع في المحرمات.

مثل: الربا وغيره من الطرق المحرمة للحصول على المال، حيث إن الكتابة تشجع على فتح باب الدين بدلاً من فتح باب الربا.

٥. إقامة العدل بين المتعاملين.

فالمعاملة التي أمر بها القرآن من الكتابة والإشهاد أعدل في إمضاء حكم الله تعالى، ومن أمري إقامة العدل بين المتعاملين، وأقوم على أداء الشهادة على وجهها الصحيح، وأقرب إلى إزالة الشك في تعيين الدين ومقداره وأجله، وذلك أوثق لهم ولا يقع بينهم اختلاف في الكتابة الدين[2].

ويستدل من الآيات السابقة على أن الشرع اهتم بكتابة الدين، وجعل لها آدابًا وشروطًا تتعلق بالكاتب والشاهد، ومن يترتب عليه، ويعود الأداء، مفاصد، وأهمها الكاتب، الدين والشاهد والإقرار بكتابة الدين.

---

[1] انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٤/٤٨٨.

[2] انظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٣/ ١١٢.

الإشهاد في الدين

الله أعطى الحق سبحانه وتعالى الكون حماية كبرى لأن في دراسة الفكر وقانون الشهادة، والأول أن يضمن سير حركة الحياة الاجتماعية والاقتصادية ... [illegible] ... في الدين، ويصل الكتابة ... [illegible] ... من أنه الشهادة على هذه الكتابة الدين، ويصل الكتابة أيضًا ... [illegible] ... الشروط التي ... [illegible] ... يأتي:

أولًا: عدد الشهداء:

الله تعالى أمر في البداية بأمرين: الكتابة بقوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾، والثاني: الإشهاد بقوله: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾.

والله تعالى لأجل تحصين العقود ... [illegible] ... بحيث لا يمكنه النسيان الذي قد يؤدي ... [illegible] ... العقود ... [illegible] ... على الشهداء ... [illegible] ... من النسيان ... [illegible] ... الطارئة التي قد تؤدي ... [illegible] ...

والله تعالى شرع العدد بأكثر من شاهد وذلك حفظًا للأداء من الحقوق.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ بمعنى: أشهدوا ... [illegible] ... والطلب، أي: اطلبوا شهادة الشاهدين، ويكون ... [illegible] ... الإشهاد ... [illegible] ... حفظ ... [illegible] ... الحق[1].

والشهادة حقيقتها الحضور والمشاهدة ... [illegible] ... أي: الاستشهاد ... [illegible] ... وإطلاق الشهادة أيضًا على الخبر الذي يخبر به صاحبه عن أمر حصل لقصد الاحتجاج به ... [illegible] ... والاحتجاج به على من ... [illegible] ... طلب الشهود على ... [illegible][2].

وقوله: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: من رجال المسلمين ... [illegible] ... والمراد ... [illegible] ... الأحكام ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾.

والرجل في أصل اللغة يفيد وصف الذكورة ... [illegible] ... على ... [illegible] ... من الإضافة ... [illegible] ... الإشهاد ... [illegible] ... وإنما ... [illegible] ... الأحوال والمعاملات

(١) انظر: ... [illegible] ...

(٢) انظر: ... [illegible] ...

بالمخدرات، والآداب، فهذا اقتصاد بين المسلم والكافر، لا يمكن للكفار الإحاطة بأحوال العدول والمرتابين من المسلمين، ولذلك اشترط الشرع في تزكية المسلمين ثمة المخالطة، ولذلك فلا عرف من غالب أهل البلد استخفافهم بحقوق من عاملهم في جنب الله، قال الله تعالى عنهم قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥](١).

ثم بين الشارع الحكيم شهادة النساء وخصص وبالمال شهادتين.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقد بين الله تعالى إذا لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي: فليشهد رجل وامرأتان بشرط أن يكونا ممن ترضون من الشهداء وحكمكم بخالصه، وبين سبحانه الحكمة بالنسبة من اعتبار عدد النساء الذي حافظ الرجل الواحد، وذلك لأجل أن أحدهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى، أي: إن العلة في الحقيقة الشكر عند النسيان ومما لو إنسان باعتبار عقلهن وقلة ضبطهن لا لأمر

كالمائي الرجال(٢).

ثانيًا: صفات الشهداء:

ذكر الله تعالى بين صفات من يشهد على حقوق العباد فقال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فهذه الآية فيها من الدلالة على صفات الشهود ومنها:

١. العدالة:

قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].

أي: رجلين مسلمين عدلين؛ لأنه في الإشهاد المذكور، سدًا لباب المخاصمة والشقاق كل منهما بإشهاده(٣).

والعدالة كل مسلم بالغ عاقل سليم من أسباب الفسق وخوارم المروءة، فخرج بهذا الوصف الكافر، والصبي البالغ، وفي المميز نزاع، والمجنون، والفاسق وهو: من يقيم الكبيرة ويصر على الصغيرة، والفسق نوعان: يتعلق بالاعتقاد والشبهة، ويتعلق بشرب الخمر والزنا، ويخرج من يخالف الآداب الشرعية وعرف المجتمع المسلم(٤).

(١) انظر: المصدر السابق (٣/ ١٠٣).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٢٥٣).

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٨/ ١٥٠).

(٤) انظر: الشرح الكبير على المقنع للعلامة ابن قدامة (٤/ ...).

ومن شروط العدل:

● الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ وقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ فهو دال على أن الشاهد إنما هو من المسلمين دون غيرهم، حيث إنه سبحانه وصف الشهود كونهم منا، ومن ترضى دينه [illegible] على أنه لا يجوز أن نقضي بشهادة غيره من [illegible] حيث إننا لا نرضى بشهادة الكافر، [illegible] لا تقبل شهادته عند أكثر من أهل العلم على الإطلاق، وهو قول مالك والشافعي.

وقد رد الشافعي على بعض من أجاز شهادة الكافر الذمي، فقال: [illegible] [illegible] ولا [illegible] على بعض الأمين، وتجيز شهادة ذمي وهو يكذب على الله [illegible] والمسلم في الحد [illegible] من أهل المشركين، فكيف تجيز شهادة الذي هو شر شيء الذي [illegible] ولا [illegible] ولا أمر [illegible] على [illegible] الفقهاء [illegible] وهو المسلم الذي [illegible] وكذلك [illegible] أهل الذمة [illegible] [illegible] والرهبان الكذبة[1].

ويذهب بعض أصحاب الرأي إلى أن شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض جائزة، وإن اختلفت ملتهم، ويذهب بعضهم إلى أن شهادة بعضهم على بعض تجوز عند اتفاق الملة، أما إذا اختلفت الملة فلا تقبل شهادة يهودي على نصراني أو مجوسي فلا تقبل.

[illegible] الاختلاف في أهل الملل الأخرى، بأن لا تقبل شهادة من خالفهم في مذهب [illegible] المخالفين على المرتدين.

ويذهب أكثر أهل العلم إلى أن شهادة أهل الذمة في حق المسلمين باطلة، ولكن أجاز بعضهم شهادتهم على وصية المسلم في السفر فقط، واحتجوا بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ (المائدة: ١٠٦) [illegible][2].

● البلوغ.

فشهادة من لم يبلغ من الرجال لا تقبل؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

[illegible] بعضهم قبل في أمور معينة [illegible] شهادة الصبيان على الجراح التي تقع في محل اجتماعهم ما لم يتفرقوا، ولا

[1] سيرة [illegible] (٣/ ٢٧٩).

[2] شرح السنة للبغوي (١٠/ ١٢٨).

العقل في غيرها. أيّ: فيوافقهم على بعضهم العقل إلى الشفاعة(1).

ويروى عن ابن عباس في شهادة الصبيان قال: لا تجوز؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، والصبيان لا يُرضى ولا ترضى شهادتهم(2).

● العقل.

فلا تقبل شهادة المجنون؛ لأنه لا حكم لقوله في شيء ما، ولهذا إجماع العلماء، والعقل مناط التكليف، ولأجل ذلك أحكام الشرع لا تجري إلا على ذي عقل.

والعقل لغة: المنع، ولهذا يمنع النفس من فعل ما تهواه، مأخوذ من عقال الناقة، المانع لها من السير حيث شاءت، وهو أصل لكل علم، ولذا يسمى الأصل، ويسمى أم العلم، وكثر الاختلاف فيه حتى قيل: إن فيه ألف قول، وقد تكلم في أصناف العقل من الفلاسفة والأطباء والمتكلمين والفقهاء كل واحد بما يليق بصناعته، فالأطباء تكلموا الغرض فيه بما يصلح الأبدان والعقل سلطان البدن، وقال المتكلمون الذين هم أهل النظر: والنظر أيضًا يقصد العقل، والفقهاء تكلموا فيه من حيث إنه مناط التكليف. قال الشافعي رضي الله عنه: [illegible]

(1) انظر: المصدر السابق.
(2) انظر: المصدر السابق.

وقال في موضع آخر: والعقول التي ركبها الله فيهم ليستدلوا بها على العلامات التي نصبها لهم على القبلة وغيرها [illegible] واحدًا(3).

● الخلو من الفسق وخوارم المروءة.

والمروءة شرط قبول الشهادة، وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء، وهي حسن الهيئة، والسيرة والعشرة والصناعة، فإذا كان الرجل يظهر من نفسه في شيء منها ما يستحيي أمثاله من إظهاره في الأغلب، يعلم به قلة مروءته، ترد شهادته وإن كان تقيًا(4).

وقال الشافعي: إذا كان الأغلب الأظهر من أمره الطاعة والمروءة قبلت الشهادة، وإذا كان الأغلب الأظهر من أمره المعصية وخلاف المروءة ردت الشهادة(5).

ومن خوارم المروءة التطفل، ولذلك [illegible] أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رد شهادة [illegible] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة ولا ذي الغمر على أخيه، ورد شهادة [illegible]

(3) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي [illegible].
(4) انظر: معالم التنزيل، البغوي [illegible]، لباب التأويل، الخازن [illegible].
(5) انظر: الأم، الشافعي [illegible].

القانع لأهل البيت، والخادم لهم منهم. وقوله: «القانع»، أي: هو السائل المستطعم [illegible] [illegible] شهادته [illegible] القانع لأهل البيت [illegible]

[illegible]

٢- الحرية:

[illegible]

[illegible] الحنفية والمالكية والشافعية على أن الشاهد يشترط فيه أن يكون حرًّا، فلا تقبل شهادة [illegible]

ولأن الشهادة فيها معنى الولاية، والرق لا ولاية له.

وقال الحنابلة والظاهرية: تقبل شهادة العبد لعموم آيات الشهادة، ولأن العبودية ليس لها أثر في الرد [illegible]

وسأل رجل أحمد بن حنبل عن شهادة العبد [illegible]

[illegible]

٣- العلم بما يشهد به.

يجب على الشاهد أن يكون على علم [illegible] قال الله تعالى: [illegible]

وقال تعالى: [illegible]

[illegible]

والشهادة مشتقة من المشاهدة، وهي المعاينة؛ لأن الشاهد يخبر عما شاهده وعاينه، ولم يعتمد على مجرد الإخبار عما [illegible] يلفظ أشهد أو شهدت.

والشاهد: حامل الشهادة ومؤديها؛ لأنه شاهد [illegible] لما غاب عن غيره، ولذلك [illegible] لا تجوز الشهادة إلا بما علمه [illegible] ولا يحل لأحد أن يشهد إلا بعلم.

ومن الشروط [illegible] الشهادة [illegible] النقل والانتقال أو باستفاضة فيما يشتهر [illegible] عليه [illegible] ويكتفى فيه بالسماع.

وتصح الشهادة بالاستفاضة [illegible] في النسب والولادة والموت والعتق والولاء والولاية والوقف والعزل والنكاح [illegible] والطلاق.

وقال أبو حنيفة: لا تجوز في خمسة أشياء: النكاح والدخول والنسب والموت وولاية القضاء، وقيل: تصح في ستة: النكاح والنسب والموت والعتق والولاء والوقف [illegible][1].

ثالثًا: مقاصد الإشهاد.

لقد ورد بيان الإشهاد [illegible] من المسلمين [illegible] الحكم ومقاصد أرادها الله تعالى بالكتابة والإشهاد، وبيان بعضها فيما يأتي:

حكمة الكتابة والإشهاد في دين المال، وما ذكر في الأجل:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ وقال في الوصية والرجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾؛ لأن المستشهد [illegible] صاحب الحق [illegible] لم يكن [illegible] من التضييع لحقه[2].

الحكمة من قبول [illegible]:

[illegible] على أن [illegible] مواضع [illegible] الشهادات [illegible] لا يطلع [illegible] في غيرهم[3] [illegible] في بعض التفاصيل، وكذلك الحكم [illegible] الشرع لهذا [illegible] أمر الله سبحانه بالعمل بشهادة الاثنين من غير المسلمين عند الحاجة في الوصية في السفر، وكذلك لحكمة حفظ الحقوق وعدم [illegible] وكقبول شهادة النساء منفردات في الأعراس والحمامات والمواضع التي [illegible] النساء [illegible] لهذا [illegible] أولى من قبول شهادة الكفار على الوصية في السفر، وكذلك لحكمة [illegible] على الجراحات والأعراس، وكذلك [illegible] الصحابة [illegible] بشهادة الصبيان على [illegible] بعضهم

(1) انظر: فقه السنة، سيد سابق ([illegible]).

(2) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ([illegible]).

(3) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم ([illegible]).

بحفظ أسبابهم لحكمة أن الرجال لا يحضرون عندهن في الغيب وإن لم تقبل شهادتهن [illegible] وتعطلت المصالح [illegible] مع قلة الظن، أو القطع بصدقهم ولا سيما إذا جاءوا مجتمعين قبل تفرقهم [illegible] على أمر واحد [illegible] الظن الحاصل [illegible] من شهادة رجلين، [illegible] لا يمكن [illegible] فلا نظن أن الشريعة الكاملة الحريصة على مصالح العباد في معاشهم ومعادهم [illegible] على الحكم بالقرائن في الشهادة على الحقوق والمعاملات والجراحات وعدم تضييعها(1).

ويستفاد من الآيات السابق ذكرها -آية سورة البقرة- أن الله [illegible] الشهادة على [illegible] لما لها من أهمية في حفظ الحقوق للمالكين والمدينين ومن صفات الشهود: الإسلام والبلوغ والعقل والعدالة [illegible] وعوارض المروءة وكذلك الحرية.

تحريم الإضرار في الكتابة والشهادة

شرع الله كتابة الديون المؤجلة [illegible] والشهادة عليها [illegible] ضوابط لضبطها، مع المحافظة على حقوق أخرى متعلقة بالكتابة والشهادة بحيث لا [illegible] عليها، وهي مبينة فيما يأتي:

أولاً: تحريم الإضرار بالكاتب والشهود:

إن كتابة عقد الدين [illegible] شرعه الله تعالى، وكذلك الشهادة عليه [illegible] الكاتب والشاهد والمتعاقدين [illegible] شرعه الله تعالى أن يترتب على [illegible] يحافظوا عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ [البقرة: 282].

فالكاتب والشاهد [illegible] بين المتعاقدين [illegible] الله تعالى [illegible] فمن [illegible] لا يجوز [illegible] والشهادة عليه [illegible] المؤمنين [illegible] الشهادة [illegible] في هذا [illegible] بالإضرار [illegible].

لهذا جاء قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ﴾

(1) انظر: المصدر السابق.

{ولا شهيد} حماية للإنسان والمتعاقدين من أن يكون محل الإنسان بأن يضار [illegible] الله، أي أنه من الأثر الأخير الذي أن الأمر[1].

إن الله تعالى يعلم أن كل إنسان له مصالحه في الحياة، ويجب ألا تتعطل أو تتعطل هذه المصالح أمام قضاء مصالح غيره، فالشاهد أو الكاتب حينما يستدعى إلى الواجب فيجب ألا يكلف المتعاقد غيره، بل يجب ألا تتعطل مصالحه لذلك قال الله تعالى: {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ}.

والله تعالى قد حذر من [illegible] من أن يكون [illegible] أو أحدهما الكاتب أو الشاهد، [illegible] فقد حذرنا الله [illegible] فسوق [illegible] على سنة العدل والإنصاف [illegible] في قوله تعالى: {وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ}[2].

ثالثاً: إضرار الكاتب والشهيد بالمتعاقدين:

وكما أن الله تعالى قد حذر من [illegible] [illegible] بالكاتب والشهيد [illegible] يضار المتعاقد [illegible] فإن الله تعالى قد حذر أيضاً من إضرار الكاتب أو الشهيد لأحد المتعاقدين، فجعله سبحانه وتعالى شروطاً على الكاتب والشهيد، أن أهمها عدم الإضرار بالمتعاقدين، قال تعالى: {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ} [البقرة: ٢٨٢].

ومن أصناف الضرر الواقع في كتابة الدين: إضرار الكاتب والشاهد بأحد المتعاقدين، وبيان ذلك فيما يلي:

في قوله تعالى: {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ} نهي عن المضارة لأحد الطرفين سواء الشاهد والكاتب أو أحد المتعاقدين، [illegible] إضرار الكاتب أو الشاهد أو كليهما بالمتعاقد أو الكاتب، أما إضرار الشاهد والكاتب بالمتعاقدين، فإن أصل لفظ {يُضَارَّ} هو [illegible] بكسر الراء الأولى، ومعناه: لا يضار الكاتب بأن يكتب أو يشهد [illegible] به [illegible] والغرور [illegible] على [illegible] وجوه [illegible]

الوجه الأول: بأن يمتنع الكاتب [illegible] ومن أهل لها [illegible] أن يكتب أو يمتنع الشاهد [illegible] ومن أهل لها [illegible] أن يشهد، فلا يصطلح الرجل العدل الذي يكتب أو يشهد لذلك [illegible] المتعاقدين بكتابة أو شهادة في [illegible][3].

الوجه الثاني: حيث يضار الكاتب [illegible]

(١) انظر: تفسير القرآن [illegible] للقرآن [illegible] الخطيب (٣/ ٣٦٨).
(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١/ [illegible]).
(٣) انظر: [illegible] التنزيل للبغوي (١/ [illegible]).

فيما يملي عليه في نص الصك أو ينقص منه كلامًا أملي عليه الكاتب أو يحرف الكلام الذي أملي عليه بكلام غير شهوده أو كلام فيه غش وحيلة لأحد الطرفين، فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق(١).

وكذلك الشاهد إذا غير وبدل بشهادته أو أنكرها أو أنكر بعضها أو كتب وحلف الأيمان الباطلة على شهادته فهو بذلك قد ضر أحد الطرفين من المتداينين(٢).

يقول القرطبي في قوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ في نهي الكاتب والشاهد بفتح الراء، والمعنى على قراءة الراء وتشديدها لأجل التضعيف لاجتماع الساكنين والفتح أخف الحركات فحركت إليه.

وأما تفسير الآية، فأمرها يحتمل على الفعل المعروف، والمعنى: أنه يضار بكسر الراء ويجعل الفاعل الكاتب والشهيد معناه ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل عليه ويزيد أو ينقص أو يحرف، ولا الشهيد فيشهد بما لم يشهد عليه أو يمتنع من إقامة الشهادة وهذا قول طاوس والحسن وقتادة وابن زيد. والأمر الآخر على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين، وقالوا أصله لا يضارر.

ومعنى الآية: لا يجوز الإضرار بالكاتب والشهيد، وهذا إذا كان الكاتب والشاهد مشغولًا ولا يجوز لطالب الحق أن يضار الكاتب والشهيد بأن يدعوهما وهما مشغولان بحاجة أنفسهما، أو أن يكلفهما في وقت لا يستطيعان فيه الكتابة والشهادة فهو ممنوع.

والنص على ذلك في قوله تعالى أيضًا: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ الذي يعني ما حرم عليكم من إلحاق الضرر بالكاتب والشهيد وعدم المضارة بهما بوجه من الوجوه.

وقرأ أبو جعفر: ولا يضار مخففًا وسكنها ساكنًا.

وقرأ الحسن: (ولا يضار) بكسر الراء مثقلًا(٣).

ويستفاد مما سبق أن الله تعالى كما حفظ حقوق المتداينين من أي ضياع يلحق بهما فقد حفظ أيضًا الكاتب والشاهد من أي ضرر يلحق بهما من شهادته أو كتابته

(١) انظر: المصدر السابق.
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) انظر: الكشاف، ... [illegible]

www.modoee.com

أو يشمل الكاتب أو الشهيد أو ضرر بأحد المتداينين من خلال كتابته أو الشهادة، ثم توجه من قبل مثال ذلك بالخطاب الشديد.

الرهن في الدين

إن من حكمة الله تعالى ورحمته بعباده تيسير أمور حياتهم وتسهيل قيامهم لذلك تخفيف الأحكام التي أنزلها عليهم حيثما يتعسر عليهم القيام بها، ومن هذه الأمور: الرهن، فحينما يتعسر كتابة الدين لأي ظرف طارئ كالسفر، وعدم وجود كاتب أو شهيد لكتابة عقد الدين، يتم البدء عنه بالرهن، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]

والرهن: حبس الشيء بحق يمكن أخذه منه كالدين(١).

وقيل: احتباس العين وثيقة بالحق ليستوفي الحق من ثمنها أو من ثمن منافعها عند تعذر أخذه من الغريم(٢).

والله تعالى جعل للرهن أحكامًا ترتب على المسلمين الأخذ بها نبينها فيما يأتي:

١. القبض.

أي: قبض الشيء المرهون، قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾.

يقول السعدي: (أي: إن كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبًا يكتب بينكم ويحصل به التوثق، فليكن بدلها رهان مقبوضة، أي: يقبضها

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ص ١١٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٣، ٤٠٩.

صاحب الدين، والكتابة وثيقة عنده حتى يأتيه حقه، ويدل هذا على أن الرهن غير المقبوض لا يحصل منه التوثق، ويدل أيضاً على أن الرهن والشهادة والكتابة إذا اجتمعت به كلها فإن الرهن يجوز في ذلك أن الله جعل الرهن عوضاً عن الكتابة في توثق صاحب الحق، فإذا لم يوجد الكاتب فالرهن في كل القول ومتى لم يحصل الحق، المقبوض، ولما كانت المقبوضة بالرهن، الفوائد بدل جعل يستلزم، ولهذا نص الله على السفر؛ لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب، فيه حتى إذا كان صاحب الحق يجب الاستيثاق لحقه[1].

٢. الرهن بالسفر والحضر.

لما ذكر الله تعالى الندب إلى الإشهاد والكتابة لمصلحة حفظ الأموال، عقب ببيان حال الأعذار المانعة من الكتابة، وجعل لها بديلاً وهو الرهن، ونص على أسبق الأعذار، السفر الذي هو غالب على كل الأعذار، وليس معنى ذلك أن الرهن مرهون على السفر، فقط قرب وقت يحصل فيه الكاتب في الحضر فيجب بذلك البينة، وهو الرهن، وأيضاً للطرف على غرابة، فالكريم على يوجب طلب الرهن، وقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه عند يهودي طلب منه

مقابل الشعير[2].

عن عائشة قالت: اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورهنه درعه عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير[3].

فهذا يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أهل، وكان في حضر بيت الطعام لأهل به وليس السفر[4].

٣. الأمانة.

إن حكم الأمانة لا الوقوف على الدين فقط، بل تطلب من المكلف بحفظ الرهن الذي يسترده، وذلك من الشروع أو الخراب، أو التلف، إذا طلب الأمانة لا الوقوف على الدين فقط، فهناك عن الطيش ليس رهن حقاً من ماله يطلب منه الأمانة في حفظ ما عنده من رهن.

يقول القشيري: هذا يشهر أن الذي الأمين من الدين، ونحل الفرق، لا تترك الأمر مستطلعة، فهناك ما يكون ذلك، ما يوجب مسألتين:

المسألة الأولى: في الدين.

والمسألة الثانية: في الرهان المقبوضة.

[1] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٢.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣/٤٠٤.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرهن، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم، ٤/٤٥٩ رقم ٢٩١٦.

[4] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣/٤٠٤.

قال أبو حنيفة: إذا خرج بعارية أو وديعة لم يبطل الرهن، وقال الشافعي: إذا خرج إلى يد الراهن مطلقاً لا يبطل حكم القبض المتقدم ولنا قوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾، فإذا خرج عن يد القابض لم يصدق ذلك اللفظ عليه لغة فلا يصدق عليه حكماً، بطلاً وشرعاً.

الرابعة: إذا رهنه قرضاً ولم يقبضه فعلاً لم يوجب ذلك حكمه لقوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾.

قال الشافعي: لا يحصل له الحكم إلا برهن موصوف بالقبض، فإذا عدمت الصفة وجب أن يعدم الحكم، وهذا ظاهر جداً.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن، وأجمع الناس على صحة قبض المرتهن، وكذلك على قبض وكيله، واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه، فقال مالك وجميع أصحابه وجمهور العلماء: قبض العدل قبض. وقال قتادة وعطاء: ليس بقبض، ولا يكون مقبوضاً إلا إذا كان عند المرتهن، ورأوا الجمهور أصح من جهة المعنى، لأنه إذا صار عند العدل صار مقبوضاً لغة وحقيقة، لأن العدل نائب عن صاحب الحق وبمنزلة الوكيل، وهذا ظاهر.

السادسة: ولو وضع الرهن على يدي عدل فضاع لم يضمن المرتهن، ولا الموضوع على يده، لأن المرتهن لم يكن في يده شيء يضمنه، والموضوع في يده أمين، والأمين غير ضامن.

السابعة: الانتفاع بالرهن من الرهن، روى من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرهن يركب بنفقته إذا كان مرهوناً، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهوناً، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة»[1].

الثامنة: المقدار الذي يكون فيه الرهن ما لم يرد به عن الرهن، بعد سقط ولا عن أخذ الذي، والذي مستفاد منه غير محسوبين، ثم خرج فيها بعد ذلك، وقد أجمعت الأمة على أن الأمة المرهونة لا يجوز للراهن أن يطأها، فكذلك لا يجوز له استخدامها.

التاسعة: ولم يشترط المرتهن الانتفاع بالرهن، فذلك حالان: إن كان من قرض لم يجز، وإن كان من بيع أو إجارة جاز، لأنه يصير بائعاً للسلعة بالثمن المذكور، وبمنافع الرهن مدة معلومة، فكأنه بيع وإجارة، وأما في القرض فلأنه يصير قرضاً جر منفعة، ولأن موضوع القرض أن يكون قربة فإذا دخله نفع صار زيادة في الجنس وذلك ربا.

العاشرة: لا يجوز غلق الرهن، وهو أن يشترط المرتهن أنه له بحقه إن لم يأته به عند أجله، وكان هذا من فعل الجاهلية، فأبطله

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرهن، باب الرهن مركوب ومحلوب (٢٥١٢) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأصل: الشبهات السلف الرزاق الرسمية

(١) انظر: مسند الشافعي ص١٨٦.

الذكر

عناصر الموضوع

مفهوم الذكر	٨٣
الذكر في الاستعمال القرآني	٨٥
الألفاظ ذات الصلة	٨٦
كيفية الذكر	٨٧
أوقات الذكر	١٣٢
فوائد الذكر	١٤٤

مفهوم الذكر

أولاً: المعنى اللغوي:

الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرع كلم الباب.

فالأصل الأول: الذكر (بالفتح): خلاف الأنثى، والأصل الآخر: الذكر (بالكسر): الحفظ للشيء، تذكره، والذكر: جري الشيء على اللسان، وذكرت الشيء: خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان، ويقولون: اجعله منك على ذكر، بضم الذال، أي: لا تنسه، والذكر: العلاء والشرف، وهو قياس الأصل.

فعلى الأصل الثاني (الذكر) بالكسر له معنيان: أحدهما: الحفظ بالقلب، ثم [illegible] في النفس، بحيث لا يغيب عنه، وهو ضد النسيان، و(الذكر) بالقسم المعنى الثاني لا غير، أي: أن الذكر بالكسر ما يكون باللسان، وبالضم ما يكون بالجنان.

[illegible] بالذكر الحاصل بالمصدر جميع على (الأذكار) وهو الأوراد بالأفعال ويراد الترغيب فيها، [illegible] على العمل بما [illegible] إليه، كالطاعة، وقراءة الأحاديث، ودرس العلم، والنفل بالصلاة[1].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

قال ابن علان: أصل وضع الذكر هو ما تعبدنا الشارع بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق، والثناء عليه[2].

والمقصود أن الذكر عند ابن تيمية وابن رجب الحنبلي [illegible] كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله، ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مجلسًا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهًا فهذا أيضًا من أفضل ذكر الله[3].

وعرفه ابن القيم في الوابل الصيب بقوله: الذكر الله على الله عز وجل بجميل أوصافه

[1] انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٦٠)، مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٣٥٨)، تاج العروس للزبيدي (١١/٣٧٧).
[2] الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية (١/١٢).
[3] مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٦٦٠).

والآلاء والنعماء(١).

والمقصود: أن الذكر في الاصطلاح يستعمل بمعنى ذكر العبد لربه عز وجل، سواء بالإخبار المجرد عن ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أحكامه، أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته ودعائه، أو بإنشاء الثناء عليه بتقديسه وتمجيده وتوحيده وحمده وشكره وتعظيمه، ويستعمل الذكر اصطلاحًا بمعنى أخص من ذلك فيكون بمعنى إنشاء الثناء بما تقدم دون سائر المعاني الأخرى المذكورة، ويشير إلى الاستعمال بهذا المعنى الأخص قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فنبه أن ذكر الصلاة وهي ذكر بالمعنى العام، ثم قال بعدها: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي بالمعنى الأخص.

ويلاحظ أن الذكر اصطلاحًا لا مخصوص بذكر العبد ربه عز وجل بالثناء عليه.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص٨٩.

الذكر في الاستعمال القرآني

وردت مادة (ذكر) في القرآن الكريم (٢٩٢) مرة[١].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٣٧	[illegible]
الفعل المضارع	٧١	[illegible]
فعل الأمر	٧٦	[illegible]
اسم الفاعل	١٠	[illegible]
اسم المفعول	١	[illegible]
مصدر	٧٧	[illegible]

وجاء الذكر في القرآن على ثمانية أوجه[٢]:

الأول: الطاعة والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢) يعني: اذكروني بالطاعة [illegible].

الثاني: [illegible]

الثالث: [illegible]

الرابع: [illegible]

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي [illegible].
(٢) انظر: الوجوه والنظائر في القرآن [illegible].

[illegible]:
الخامس: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

السادس: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

السابع: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الثامن: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الألفاظ ذات الصلة

1 التسبيح:

التسبيح لغةً:

أصل مادة (سبح) على التنزيه والبراءة من السوء.

ومعنى: (سبحان الله) تنزيه الله وبراءته من السوء (1).

التسبيح اصطلاحًا:

التنزيه والتعظيم لله تعالى (2).

الصلة بين التسبيح والذكر:

إن الذكر أعم من التسبيح، والتسبيح أخص من الذكر، فكل تسبيح ذكر وليس العكس.

2 الدعاء:

الدعاء لغةً:

مأخوذ من مادة (دعو) التي تدل في الأصل على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، [illegible] من الرغبة إلى [illegible] وتطلق [illegible] من ذلك [illegible] الدعاء والتحريض (3).

الدعاء اصطلاحًا:

هو سؤال العبد ربه حاجته.

الصلة بين الدعاء والذكر:

بينهما عموم وخصوص، فكل دعاء ذكر لله وليس كل ذكر دعاء.

قال ابن القيم: (إذ الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه فهو ذكر وزيادة كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه الطلب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل الدعاء الحمد لله» فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض؛ لأن الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب للمحبوب فهو أحق أن يسمى داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجة ما)(4).

(1) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس [illegible]، لسان العرب لابن منظور [illegible].

(2) انظر: [illegible].

(3) انظر: [illegible]، مقاييس اللغة لابن فارس [illegible].

(4) [illegible] الفوائد [illegible].

كيفية الذكر

أولاً: السر والجهر:

ذكر الله سبحانه سرًّا وجهرًا، [illegible] الأفضل في الذكر دون الجهر من القول [illegible] الله تعالى [illegible]: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

ونظيره في الدعاء قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ فيها استحباب إسرار الذكر [illegible][١].

قال الجصاص: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [illegible][٢].

[illegible]

[illegible]

---

(١) تفسير المراغي (٩/ ١٦٦).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٢٢).

[illegible]

وقوله: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ [illegible]

[illegible] ﴿تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول﴾ (الأعراف: ٢٠٥) [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible] في ظلال القرآن [illegible]
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]
(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible]

اللسان، قال: ويدل عليه من هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فهذه مرتبة السر والمخافتة باللفظ(1).

قال في البحر: [illegible] ولا دلالة في ذلك لما زعمه بل الظاهر المغايرة بين الحالين، وأنهما ذكران لساني ونفسي(2).

وكذلك قال الزمخشري: [illegible] الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى [illegible](3).

والحاصل: أن في الآية [illegible] الكريم [illegible] ويقرب هذا الخطاب [illegible] ذكر الله [illegible] الجهر من القول [illegible] والتضرع [illegible] الكبرياء [illegible]

وهذا الذكر يشمل: ذكر القلب، حيث [illegible] الإنسان [illegible]

﴿[illegible]﴾ (الزمر: 23)(4).

[illegible] ذكر اللسان [illegible] مرتبة [illegible] ذكر [illegible] القلب [illegible] الذكر.

وهذه الآية [illegible] الأمر بالذكر [illegible] الغافلين [illegible] الأدب [illegible] من هذه الآداب:

1. أن يكون الذكر سرًّا:

فالإخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلى الإجابة وأبعد من الرياء.

[illegible] القرآن [illegible] الذكر [illegible] من القول [illegible] الإسلام.

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

---

(1) [illegible]
(2) البحر المحيط [illegible]
(3) الكشاف للزمخشري [illegible]
(4) [illegible]

الرسمي بخلاف الذكر والدعاء فإن المقصود من الدعاء الإجابة، ومن الذكر التبيان عما يشغله من الجزع المحال حتى يسقط من بعضه عن الذكر، بل الذاكر أكمله ولا يلي في بعضه إلا الواحد القهار(١).

٢. أن يكون مصحوباً بالتضرع.

وهو التذلل والتضرع والاعتراف بالتقصير ليتحقق فيه ذلة العبودية والانكسار لعظمة الربوبية.

٣. أن يكون مصحوباً بخوف.

أي: الخوف من المؤاخذة على التقصير في العمل، والخشية من الرد وعدم القبول؛ لأن الله قال في صفة المؤمنين المسارعين في الخيرات السابقين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

٤. أن يكون دون الجهر؛ لأنه أقرب إلى حسن التفكر.

قال ابن كثير رحمه الله: ولهذا قال: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداءً ولا جهراً بليغاً(٢).

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هللنا وكبرنا، ارتفعت أصواتنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم إنه سميع قريب»(٣).

٥. أن يكون باللسان لا بالقلب وحده.

وهو مستفاد من قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ لأن معناه: ومتكلماً كلاماً دون الجهر، فيكون المراد بالآية الأمر بالجمع في الذكر بين اللسان والقلب، وقد يقال: هو مأمور في الجملة باللسان بقوله بعد ذلك: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ لا أن الأول من الأصح كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم.

وقد نظر له رحمه الله بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه أنه قال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(٤).

(١) التفسير الكبير ١٣/...
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ...

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، برقم ٢٩٩٢.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، برقم ٧٤٠٥.

قال: «وهذا يدخل فيه ذكره باللسان في نفسه فإن جملة اسم الذكر في الصلاة وهو ظهر قوله: ﴿[illegible]﴾ والدليل على ذلك أنه قال: ﴿[illegible]﴾ ويشرع أن ذكر الله المشروع بالغدو والآصال في الصلاة وخارج الصلاة هو باللسان مع القلب مثل صلاتي الفجر والعصر، والذكر المشروع عقب الصلاتين، وما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه وفعله من الأذكار والأدعية المأثورة من عمل اليوم والليلة المشروعة طرفي النهار بالغدو والآصال»[1].

٦. أن يكون بالغدو والآصال.

أي: في البكرة والعشي، [illegible] على [illegible] لأنهما وقت سكون [illegible] الاتجاه إلى أمر المعاش، [illegible] العبد [illegible] أول النهار وآخره [illegible] بالذكر[2].

٧. النهي عن الغفلة عن ذكره.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: من الذين يغفلون عن ذكر الله، ويلهون عنه، وفي [illegible] بطلب دوام ذكر تعالى، والاستمرار عليه، وأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل.

فهذه سبعة آداب عظيمة استنبطها [illegible] الآية الكريمة، [illegible] من كلام القاسمي في كتابه محاسن التأويل[1].

ويجمع ما تقدم يمكن القول: إن حكم الجهر والإسرار في الذكر يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فالإسرار أفضل حيث خيف الرياء أو تأذى المصلون أو النيام، والجهر أفضل حيث خلا مما ذكر[2].

ويستثنى من هذا الأصل مواضع ينبغي فيها الجهر بالذكر، ورفع الصوت به لما في ذلك من المصالح التي [illegible] الشرع في ذلك، ومنها:

- ما قصد به الإسماع والتبليغ، كالأذان والإقامة وتكبيرات الإمام وقراءته في الجهرية، وتكبيرات المبلغ، وإلقاء السلام [illegible] ونحو ذلك، فالجهر في ذلك بالقدر الذي يحصل به المقصود.
- بعض أنواع أذكار الصلاة، [illegible] السنة فيها بالجهر كالتسمية والتأمين والقنوت والتكبير والتسبيح والتحميد بعد الصلاة وتكبيرات العيد والتلبية

(١) مجموع الفتاوى [illegible].
(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة الفجر [illegible] رقم [illegible] ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر [illegible] رقم [illegible].

(١) محاسن التأويل للقاسمي [illegible].
(٢) [illegible].

في الصيغ، ولئن يعني ذلك خلاف يرجع إليه في مراتبه.

● بعض الأذكار التي ورد بها النص أن الطلب أو [illegible] الأخرى لا يرجع [illegible] بالنسبة على الطعام [illegible] بالوقت [illegible] (1).

فالطريقة المثلى في هذا الباب أن يجهر في الموضع الذي ورد فيه الجهر، ويسر في الموضع الذي ورد فيه الإسرار، والموضع الذي لم يرد فيه الدليل على الجهر أو السر فالذكر فيه بالخيار، ويكون لا بد للذاكر من ملاحظة الآية السابقة: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: 205].

قال الشيخ بكر أبو زيد: «مما تقدم يتبين أن الأصل في الذكر والدعاء هو الإسرار، وحده: التلفظ بتحريك اللسان بالحروف من مخارجها بصوت الله أن يسمع نفسه. والجهر: هو التلفظ بتحريك اللسان بالحروف من مخارجها بصوت يسمعه غيره ممن يليه، ولا حد لأعلاه، والجهر في الذكر والدعاء سنة لا يكون إلا بما يدل به الشرع، بعض [illegible] لا استحباب، وكره في الذكر، أو في الذكر المشروع بالدعاء لم تذكر ما يجب فيه الجهر، وما يستحب.

ثم قال: ثم أحدث الناس جماعة أو

فرادى الجهر الجهير، والمبالغة في رفع الصوت والصياح والضجاج والأذكار والدعاء بالجولة بصيغ المسجد وما يتبع ذلك من الترنيم والتلحين والتطريب والترجيع والتمطيط»(2).

ثانيًا: الذكر القلبي واللساني:

الذكر يكون باللسان، ويكون بالقلب، ويكون بهما معًا، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان معًا، لما في ذلك من اجتماع حاكم القلب(3)، والذكر إن الأفضل منه الذكر بالقلب مع اللسان؛ لأن الذاكر منا يحمل الأجر في الذكر وليست له واحدة.

1. الذكر اللساني:

المراد بالذكر باللسان: أن يتحرك به اللسان ويسمع نفسه على الأقل، إذ لا كلام لا يسمع، ولم يكن هذا لفظ يجري اللسان، وذكر اللسان على الوجه المبين يأتي به الذاكر المكلف به في الصلاة ونحوها، ولا يعتريه في ذلك سهو وإمرار الذكر المطلوب على القلب(4).

والذكر اللساني هو المراد في إطلاق الذكر، فإذا أطلق الذكر حمل على الذكر اللساني، ولهذا قال الله في ذكر التسبيح

(1) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (21) 228.

(2) تصحيح الدعاء ص: (91).
(3) الأذكار النووي ص: [illegible].
(4) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (21) 226.

﴿[illegible]﴾ [الحديد: ٢٠]

فهكذا نسي ربكم، ومما يدل على وجوه قول الله الرازي: [illegible] [illegible] الذكر [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] الذكر [illegible] [illegible] الذكر اللساني، وليس له أن يقتصر على الذكر القلبي[1].

وذكر الذكر باللسان في قوله: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

[illegible] [illegible] قوله في سورة [illegible] ﴿[illegible]﴾ [النساء: ١٠٣].

يعني: [illegible] باللسان [illegible] ﴿[illegible]﴾ وقال في آل عمران [illegible] [illegible] في سورة البقرة: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢٠٠] باللسان ﴿[illegible]﴾ يعني باللسان.

وقال في سورة الأحزاب: ﴿[illegible]﴾ [الأحزاب: ٤١] يعني: باللسان. وقال: ﴿[illegible]﴾ [الأحزاب: ٢١] [illegible][2].

[illegible] قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] الذكر باللسان.

والذكر اللساني من [illegible] في القرآن والسنة، [illegible] [illegible] الأجور [illegible] [illegible] [illegible] الله عليه وسلم أن من قال [illegible] الله [illegible] الأمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذكر باللسان [illegible] القلب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] في الحديث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3].

والذكر اللساني مشروع في جميع الأوقات، [illegible] [illegible] [illegible] الذكر [illegible] الصلوات المفروضات [illegible] تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ويستحب أيضًا الذكر بعد الصلاتين اللتين لا تطوع بعدهما، وهما الفجر والعصر، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من القرآن[4]. [illegible]

(1) [illegible] [illegible] [illegible].

(2) [illegible] [illegible] [illegible].

(3) أخرجه الترمذي في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

(4) [illegible] [illegible] [illegible].

لكن الذكر باللسان فقط دون حركة القلب ودون العمل فائدته قليلة [illegible]

٢. الذكر القلبي:

ومن أنواع الذكر: الذكر القلبي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تَسْبِيحَكَ﴾ يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان، أو الذكر باللسان مراد فعلى الأول يكون قوله: ﴿وَنَحْمَدُكَ بِحَمْدِكَ﴾ عطف مغاير، أي: عطفًا أخرى، وعلى الثاني يكون بيانًا وتفسيرًا للأول[1].

وقال القاضي: قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ يدل على أن الذكر القلبي يجب أن يكون كذلك، ولا يخلو الإنسان لحظة من استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية، وتحقيق القول في هذا أن بين الروح والبدن علاقة عجيبة لأنه كل أثر يحصل في البدن يصعد منه نتائج إلى الروح، ألا ترى أن الإنسان إذا تخيل الشيء الحامض ضرس سنه، وإذا تخيل حالة مكروهة أو غضب سخن بدنه[2].

ويدخل في الذكر القلبي: الوقوف عند الحدود، والورع، وإنما ذكر الله بقلبه فيما إذا رأى محظورًا ذكر الله بقلبه فاجتنبه ولهذا كان من عهد العلماء: اللهم إني أسألك أن لا تراني حيث نهيتني ولا تفقدني من حيث أمرتني[3].

ويدخل في الذكر القلبي: التفكر في مخلوقات الله، وآياته، والتفكر في القرآن وأسمائه وصفاته، والتفكر

ويشهد آياته وتوقنه، تحبه وأركانه لمن أهل الأعمال، وأعظم الطاعات، وأفضل العبادات التي ترقى الإنسان في مدارج السمو الروحي، ونقل الإيمان من التقليد إلى الاستدلال من الشك إلى اليقين.

قال الإسفراييني: فالتفكر، أي: التفكر، لب العقل، وتحت القلب الحياة، كما يحصل الماء لزرع النبات، وما يقلب القلوب مثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة[4].

والتفكر المقصود هو التفكر في خلق الله، وما حواه الكون من آيات باهرات، وشواهد ناطقة بوجوده ووحدانيته، لا التفكر في ذاته العلية، فإن ذلك مظنة الزيغ والهلاك، لهذا نهي عنه.

ويدخل في الذكر القلبي: أن شكر نعم الله، وأفضاله، وآلائه في القلب فيستحث القلب على شكره، وثنائه عليه باللسان، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ذكر القلب أوصافه:

الحقيقة يعد أرفع الأذكار وأجلها، الذكر في حقيقة الله تعالى، وجلاله وجبروته

(1) التسهيل، ابن جزي (١/ ٢٦٩).
(2) الجواهر الحسان، الثعالبي (١/ ١١٢).
(3) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، ابن علان (١/ ٢٣٩).
(4) الكشاف، الزمخشري (١/ ٤٤٤).

بشكره وثنائه في سمائه وأرضه.

والثاني: ذكر بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه، ويقف عند المشكل عليه. فإذا اجتمع هذا مع ذكر اللسان كان أعظم [illegible] ذكر اللسان [illegible] الأكمل، ويكون ثم فضل.

فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه فائدة[1].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- يتحدث عن مراتب الناس في الذكر: «... [illegible] في الذكر أربع طبقات... وذكر [illegible] الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع حضور اللسان أحسن، وإن كان مع [illegible] فتركه [illegible] الأفضل»[2].

[illegible] القاضي[3] واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب؟ فقيل: [illegible] الله تعالى لهم علامة يعرفونه بها، وقيل: لا يكتبونه لأنه لا يطلع عليه غير الله. قال النووي: الصحيح أنهم يكتبونه، وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده[4].

ويفهم من قول ابن تيمية السابق، وما نقله النووي عن القاضي عياض رحمهم الله، أنهما يلتفتان إلى جواز الذكر بالقلب تهليلًا وتسبيحًا وتلاوة القرآن وغير ذلك، وهذا لأنه في الذكر القلبي [illegible] الخاص، أما الذكر القلبي بمعنى تذكر عظمة الله عند أوامره ونواهيه وآياته [illegible] التي في [illegible]، والتفكر في عظمة الله وجبروته وآياته في أرضه وسمائه ومخلوقاته فقال عياض: فهذا النوع لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله[5].

وقال ابن القيم: «ولا شك أن الذكر الذي يطرد الشيطان عن القلب إنما هو الذكر القلبي لا اللساني، فلا من ذكر بلسانه وقلبه مشغول بهواه»[6].

وعليه فإن الذكر بالقلب جائز بجميع [illegible] التي ذكرت من [illegible] [illegible] [illegible] الأذكار المسنونة [illegible] الأحوال [illegible] بل لا بد من حركة اللسان بها كما قال [illegible] في [illegible] في الفقه [illegible] بحركة لسانه[7]. بل واشترط أن يسمع [illegible] نفسه.

والمقصود أن الذكر نوعان: [illegible]

---

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، ص [illegible].
(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ([illegible]).
(3) إكمال المعلم، القاضي عياض ([illegible]).
(4) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي ([illegible]).
(5) المصدر السابق.
(6) [illegible] ([illegible]).
(7) مختصر [illegible] ص [illegible].

وشيئي، وبكل جهدا فوائد من الكتاب والسنة، والذكر اللساني باللفظ المركب من الأصوات والحروف لا يتيسر للذاكر في جميع الأوقات لأن البيع والشراء ونحوهما يلهي الذاكر عنه أيضاً بخلاف الذكر القلبي فإنه بملاحظة معنى ذلك اللفظ المعبرة عن الحروف والأصوات لا شيء يلهي الذاكر عنه.

ثالثاً: الذكر المنفرد والجماعي:

الذكر عبادة من العبادات بل هو من أعظم العبادات، والعبادات مبناها على النص والاتباع، لا على الإحداث والابتداع، وفي ترتيبها لا مجال للاجتهاد فيها أو الاستحسان.

١. الذكر المنفرد:

الأصل في الذكر أن يذكر كل إنسان بمفرده بأصل حتى يفهم من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

ويتصل قوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ معنى: الانفراد. قال السعدي: «أمر الله عبده ورسوله محمداً أصلاً وغيره تبعاً بذكر ربه في نفسه...»(١) حاضر.

ومنه زكريا عليه السلام بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

ولا يكون ذلك خفياً إلا إذا كان منفرداً، وقال الراغب: (أي: ذلك ينبغي ذلك في نفسه لا يريد رياء، وهذا يدل على أن المستحب في الدعاء الإخفاء)(٢).

فهذا الأصل في الذكر أن يؤديه كل إنسان بمفرده إلا ما استثناه الشارع؛ كالاقتداء من الإمام في الصلاة والتأمين عليه سراً بعد الفاتحة أو في القنوت ونحو ذلك.

٢. الذكر الجماعي:

الذكر الجماعي: هو ما يقوم به المجموعة الذاكر بصوت واحد يوافق فيه بعضهم بعضاً، كما يفعله بعض الناس من الاجتماع أدبار الصلوات المكتوبة، أو في غيرها من الأوقات والأحوال ليرددوا بصوت جماعي ذكراً رأسياً بعد بشكل معين، أو من بهذا الأذكار في صيغة جماعية من صوت واحد.

ولم نجد في القرآن ما يدل على الذكر الجماعي أو يشير إليه.

وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في هذه المسألة بين مجيز لها ومانع منها، وألفت فيها المؤلفات الكثيرة، ولا نستطيع

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ص ٣١٥.

(٢) جامع البيان، الطبري ١٨/ ١٤٣.

(٣) الوسيط، الواحدي ٣/ ١٧٧.

بسط المسألة ومناقشة أدلتها من القرآن ... [illegible] ... في الذكر في القرآن.

[illegible]

[illegible]

الجنة ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ظاهر(١). إلا أن الصواب: أن المراد بحلق الذكر في هذه الأحاديث: تعلم العلم وقراءة القرآن، لا الذكر الجماعي من تسبيح وتحميد وغيره.

لكن بالرجوع إلى سيرته وسنته القولية عليه الصلاة والسلام بعد البحث عن ذلك وتحريه؛ لا نكاد نجد من هديه عليه الصلاة والسلام في الذكر أنه لم يثبت أنه دعا إلى الذكر الجماعي أو فعله مع أصحابه، وكذلك أصحاب من بعده، مع أن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان خيرًا لفعله صلى الله عليه وسلم، وأقره أصحابه رضي الله عنهم، فكيف يمكن الزعم بعد هذا أن الدعاء الجماعي خير، والرسول لم يفعل به على الرغم من استطاعته على ذلك؟ ولذا سبيل القربة إلا الذكر من العبادات التي يجب أخذها من النبي صلى الله عليه وسلم، أضف إلى ذلك أن الذكر الجماعي في مفاسد منها:

- الخروج عن السمت والوقار، فإن الذكر الجماعي قد يتسبب في التمايل والرقص.
- التشويش على المصلين والذاكرين الآخرين.
- تشبه بالنصارى الذين يجتمعون في الكنائس لترتيل الأناشيد الدينية جماعة بصوت واحد.
- وفيه قطع الذكر المشروع، حيث يكتفي بذكر الجماعة.
- أنه طريق مبتدع، حيث نجد أن كل واحد يتبع فيه طريقة معينة(٢).

وقد أنكر كثير من العلماء هذه البدعة، فممن أنكرها الإمام الشاطبي(٣)، وشيخ الإسلام ابن تيمية(٤)، والشاطبي(٥)، وابن الحاج(٦)، وابن باز(٧)، وابن عثيمين(٨)، والفوزان(٩)، وغيرهم من العلماء قديمًا وحديثًا.

قال الإمام الشاطبي في بيان البدع: «كالجهر بالاجتماع في الذكر المشهور بين متصوفة الزمان، فإن بينه وبين الذكر المشروع بونًا بعيدًا، إذ هما كالمتضادين عادة»(١٠).

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في الذكر الجماعي: فإنه هذه الهيئة التي يرد إليها حكمها هي: كالذكر الجماعي بصوت واحد، وأما من أذكر عن الجماعة الذكر بصوت واحد أو...

(١) انظر: الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع، محمد الخميس، ص [illegible].
(٢) الأذكار الشاطبي (٢/ ٤٥٠).
(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية (٢٢/ ٥٢٣).
(٤) الاعتصام الشاطبي (١/ ٣١٨).
(٥) المدخل ابن الحاج (٢/ ٨٠).
(٦) مجموع فتاوى ابن باز (١١/ [illegible]).
(٧) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٣/ ٢٤٧).
(٨) مجموع فتاوى الفوزان (١/ ٢٠٠).
(٩) الاعتصام (١/ ٣٤٥).
(١٠) الأذكار النووي ص ٨.

غير وارد ... [illegible] الأيدي أو بلا رفع ... [illegible]

... [illegible] من الكتاب والسنة ... [illegible]

... [illegible] على الإحداث والاختراع، والهداية في الأمة في الكتاب والسنة ... [illegible] على هذه الهيئة ... [illegible] له في الشرع المطهر، وما لا أصل له في الشرع فهو بدعة ... [illegible] الذكر الجماعي بدعة يجب على كل مسلم ... [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible] والبدع والمشاريع[1].

إلا أن ثمة فرقاً بين الجهر بالأذكار في أدبار الصلوات وبين الذكر الجماعي، فالأول يقول به عامة علمائنا المعاصرين، وله أصل في السنة، ولا ينبغي أن يكون ... [illegible] على المصلين ... [illegible] في صلاتهم، والثاني -أي: الذكر الجماعي- مبتدع لا أصل له في السنة النبوية.

وقد جاء عن جمع من السلف من الصحابة فمن بعدهم الإنكار على الذين يجتمعون فيذكرون بصوت واحد، أو يقرؤون القرآن بصوت واحد، أو يكبرون أو يسبحون بصوت واحد ... [illegible] الخطاب ... [illegible]

قوماً يجتمعون ... [illegible] المسلمين والأمير ... [illegible] فقال: ... [illegible] على ... [illegible][2].

وفي قصة أبي موسى ... [illegible] عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ... [illegible] عبد الرحمن: إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر -والحمد لله- إلا خيراً. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك ... [illegible] ابن مسعود رضي الله عنه ... [illegible] ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه[3].

فهذا أبو موسى الأشعري وابن مسعود

---

[1] تصحيح ... [illegible]

[2] ... [illegible]

[3] ... [illegible]

رضي الله عنهما أكثروا على أوقاتك الذكر تلك الكيفية والهيئة الصحابية للذكر مع أن الذكر مستحب ومرغب فيه ولكن ليس على الطرق المبتدعة المخترعة، وإنما وعليه يجب أن تكون على الطريقة المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه البررة رضي الله عنهم.

من صور الذكر:

ذكر الله تعالى في القرآن أنواعاً من الذكر، كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل وفيما يلي ذكر بعض صور الذكر الواردة في القرآن.

أولاً: الاستغفار:

من صور الذكر وأعظمها الاستغفار، والاستغفار يأتي ... الدعاء إلا ... بنفس الذكر.

والغفر والمغفرة: التغطية على الذنوب والعفو عنها[1].

والاستغفار: طلب ذلك من الله فالاستغفار يرد على الفترة بين الطلب.

وعرفه الراغب بقوله: الاستغفار: طلب المغفرة بالمقال والفعال[2].

قال ابن تيمية: الاستغفار هو طلب المغفرة، وهو من جنس الدعاء والسؤال

وهو مقرونة بالتوبة في الطلب[3].

... الاستغفار ... ﴿ ... ﴾

والمقصود أن القرآن الكريم قد بين أن أنواع الذكر تحث على الاستغفار، والأمر به ... على أهمية طلب العبد المغفرة من ربه ... ويطلب ... والإثابة ... جميع الأنبياء ... بالاستغفار، كما في قصة نوح وهود وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام، بل إنه أمر رسولنا محمداً ﷺ بكثرة استغفاره، وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال ابن رجب في تفسيره: ذكر في القرآن ذكر الاستغفار ... كقوله: ﴿ ... ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وقوله: ﴿ ... ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقوله يمدح أهله كقوله: ﴿ ... وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

وقوله: ﴿ ... ﴾

---

(١) ... (٢) ...

(٣) ...

[illegible] [آل عمران: ١٣٥].

وقرنه بذكر الله [illegible] المستغفرين: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والقرآن [illegible] الاستغفار بذكر الوعيد [illegible] الاستغفار [illegible] طلب المغفرة باللسان [illegible] عن الإقلاع عن الذنب [illegible] الاستغفار [illegible] المغفرة[1].

[illegible] الاستغفار [illegible] ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٩٩-٢٠١].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

فالاستغفار [illegible] الاستغفار [illegible] ﴿[illegible]﴾

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [النساء: ١١٠].

وبالقرآن يقرن الأمر بالاستغفار بالأمر بالتوبة [illegible] ذلك يرجع إلى الله [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] المغفرة [illegible] القلوب [illegible].

والاستغفار على هذا لا يكون باللسان فقط بل باللسان والقلب [illegible] الاستغفار باللسان من دون [illegible] القلب [illegible] الله سبحانه وتعالى [illegible] على [illegible] الاستغفار [illegible] الإصرار [illegible] ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٣٥].

المعنى: أخبر سبحانه وتعالى [illegible] الذنب [illegible] الله سبحانه وتعالى [illegible] المغفرة [illegible] الله [illegible] لا يغفر الذنوب [illegible].

ويأتي الاستغفار في القرآن [illegible] ﴿[illegible]﴾ [النساء: ١١٠].

[illegible] الأمر [illegible].

---

(1) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٤٥٠).

فيظهر أن الاستغفار مع التوبة، والتوبة هي الاستغفار، ويتبع النصوص يظهر أن بين التوبة والاستغفار عموماً وخصوصاً من وجه، فإذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا، فعند الانفراد يدخل كلّ منهما في مسمى الآخر، وعند اقترانهما يكون الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

لهذا [illegible] عند الرازي، [illegible] [illegible] الاستغفار [illegible] والاستغفار طلب المغفرة [illegible] (1). وقال العسكري: الفرق بين الاستغفار والتوبة أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة [illegible] الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة (2).

وأشار ابن عاشور وابن القيم [illegible] أن الاستغفار في لسان الشارع يعني التوبة، حيث يقول ابن عاشور: [illegible] طلب الصفح عن المؤاخذة بالذنب لا يصدر إلا من الندامة [illegible] من الذنب [illegible] [illegible] أن الاستغفار في لسان الشارع يعني التوبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

من الذنب فذلك عند الاستغفار منا رتبة من مراتب [illegible] وليس الاستغفار مجرد قول الاستغفار [illegible] باللسان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والعمل [illegible] (1).

[illegible] الاستغفار في القرآن [illegible] كما في قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] كما في قوله: ﴿[illegible]﴾ [هود: ٥٢].

[illegible] قال ابن القيم: [illegible] الاستغفار [illegible].

[illegible] عليه السلام [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [نوح: ١٠].

[illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] تعالى: ﴿[illegible]﴾ [هود: ٣].

[illegible]: ﴿[illegible]﴾ [هود: ٥٢].

(1) [illegible]
(2) الفروق اللغوية، العسكري، ص [illegible].

(1) [illegible]

www. [illegible] .com

فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس أنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم. وحقيقتها وقاية شر الذنب، ومنه المغفر، لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفرًا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية. وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

فإن الله لا يعذب مستغفرًا، وأما من أصر على الذنب وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب. فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله. فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى، فالاستغفار منه: طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله، والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله. وأيضًا فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقًا تؤديه إلى هلاكه ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته، والتي توصله إلى مقصوده، وفيها فلاحه. فها هنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين، ولهذا جاء - والله أعلم - الأمر بهما مرتبًا بقوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل. وأيضًا فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده[1].

والعبد دائمًا متقلب بين نعمة من الله سبحانه وتعالى يحتاج معها إلى شكر، وبين ذنب منه يحتاج فيه إلى الاستغفار، وكل من هذين الأمرين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، فلا يزال متقلبًا في الأقوال والأعمال، وسائر الأحوال لما له من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع

(1) مدارج السالكين ([illegible]).

المغفرات.

ولما كان الاستغفار يطلبه الأنبياء فوجه الله عز وجل في كتابه الكريم نبيه، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

قال ابن تيمية رحمه الله: "فوائد كلمة الاستغفار بين أهل التوحيد وأقرانها بشهادة أن لا إله إلا الله من أولهم إلى آخرهم ومن آخرهم إلى أولهم ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكل عامل مقام معلوم"(١).

ثمرات الاستغفار:

ذكر الله في القرآن للاستغفار ستاً ثمرات وفضائل عظمى، من عظيم الجزاء وواسع العطاء ومن ذلك:

١. أن الاستغفار سبب المغفرة وإن عظمت الذنوب، ويغفر من الكثرة عدد السماء.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفاراً تاماً يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع، والعزم على ألا يعود، فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة فيغفر له ما صدر منه من الذنب ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة ويوفقه فيما يستقبله من عمره ولا يجعل ذنبه حائلاً عن توفيقه لأنه قد غفره وإذا غفر المعاصي الصغيرة والكبيرة(١).

٢. الاستغفار أمان من العذاب.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "إنه كان فيكم أمانان، قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى، والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة"(٢).

فإذا السعيد من ذكر هذا الكلام الاستغفار سبب أي لو أخطأوا بالاستغفار لما أعطاهم الله(٣).

٣. الاستغفار سبب للخيرات والبركات.

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٠١.
(٢) جامع البيان، الطبري (١٣/ ٥١٣).
(٣) مفاتيح الغيب، الرازي.
(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٦٩٦).

www.modoee.com

﴿... [illegible] كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨]

ففي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار والحصول على الأموال والبنين والجنات والأنهار وسائر الخيرات.

٤. الاستغفار سبب الحصول على القوة بمعناها الشامل.

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]

[illegible] في الأعقاب لأن كل ذلك مما يقوى به الإنسان[1].

قال السعدي: [illegible] على [illegible][2].

وفي قوله: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ ظاهره العموم في جميع ما يحسن الله تعالى فيه إلى العباد[3].

٥. الاستغفار سبب في الحصول على المتاع الحسن والسعادة.

قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]

[illegible]

[illegible] الاستغفار [illegible] النقص إلى العمل التام [illegible] الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه [illegible] في الأقوال والأعمال، في التراغيب والمشاهدة لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية[4].

[1] المصدر السابق [illegible].
[2] [illegible].
[3] [illegible].
[4] [illegible].

وقال: فالتوبة من أعظم الحسنات والحسنات كلها مشروط فيها الإخلاص لله وموافقة أمره باتباع رسوله، والاستغفار من أكبر الحسنات وبابه واسع فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلب فعليه بالتوحيد والاستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص، وكذلك إذا وجد العبد تقصيراً في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان فعليه بالدعاء لهم والاستغفار(١).

أوقات الاستغفار:

الاستغفار مشروع ومستحب في كل وقت، إلا أن القرآن قد ذكر بعض الأوقات وأكد فيها، وذكرها لها مزية عن غيرها، ومن هذه الأوقات:

١- عند الوقوع في الذنب.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

فأمر الله تعالى من [illegible] ... ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ذنوبهم [illegible] والتوفيق [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الرسول [illegible](٢).

٢- بعد الأعمال الصالحة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

قال ابن رجب في تفسيره: فالاستغفار من خاتمة الأعمال الصالحة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ولهذا يشرع [illegible] الاستغفار [illegible] كما قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

وقال: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

وكما يشرع الاستغفار عقب الحج قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

[illegible]

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١٨٥.

[illegible] من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"(١).

قال الرازي: [illegible] الاستغفار بالسحر [illegible]

والحاصل: أن الله يسر أمر الاستغفار [illegible]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [illegible].

(٢) مفاتيح الغيب للرازي [illegible].

[illegible]

٢. وقت السحر.

قال تعالى: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل عمران: ١٧].

وقال: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٨].

[illegible]

قال أكثر المفسرين: [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) جامع البيان للطبري [illegible].

(٣) [illegible]

وبالله ولي [illegible] وتقديسه، وهو ظاهر [illegible] لا [illegible] المرء في التكامل منه بوجه من الوجوه.

ثانياً: التسبيح:

ومن صور الذكر العظيمة الواردة في القرآن: التسبيح، وهو قول: سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله تعالى عن كل نقص أو عيب، وتعظيمه وتمجيده [illegible] المطلقة التي لا يحيط بها أحد ولا يحصيها عدد. قال السمعاني: «سبحان: تنزيه الله من كل سوء، [illegible] بوصف المبالغة، ووصفه بالبراءة من كل نقص»(١). ومنه قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وسبحان اسم مصدر، ولم يذكر هنا فاعل التسبيح من هو؟ ولا المكان الذي يسبح فيه؛ لأن من طريقة المصدر في اللغة أنه [illegible] فاعله [illegible] ولا زمن؛ [illegible] الإطلاق، والاستغراق في التنزيه [illegible] فهو تعالى [illegible] أهل التسبيح ومستحقه [illegible] لم يكن، فهو [illegible] ولا فاعل ولا زمن.

والتسبيح: من صفات الله، قال الخليل: [illegible] على [illegible] فهو [illegible].

لا التسبيح والتقديس [illegible] فيهما أكثر، والتقديس التنزيه(٢).

[illegible] أن التسبيح هو التنزيه(٣)، [illegible] التنزيه أو النفي محض، بل فيه إثبات الكمال، فهو تنزيه [illegible] والتعظيم [illegible] النبي عليه الصلاة والسلام: «[illegible]» (٤)، [illegible] الإسلام: [illegible] يقتضي [illegible] من كل عيب [illegible] صفات الكمال [illegible] التسبيح يقتضي [illegible] والتعظيم [illegible] إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده(٥).

وقال ابن القيم: «[illegible] الله عليه سبحانه [illegible]»(٦).

[illegible] (سبحان) [illegible] قال السمعاني: [illegible] سبحان [illegible] لا يجوز أن يوصف بها غير الله [illegible]

(١) [illegible] (٢/٢٣٢).

(٢) [illegible] الطبري (١/٢٢١)، [illegible] (٢/٣٣).

(٣) [illegible] مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(١) تفسير القرآن، السمعاني (٣/٢١٣).

www.modoee.com

في التعظيم لا تليق لغير الله(1).

وقال ابن خالويه: ليس من الأسماء التي لا تصلح لغير الله تعالى(2).

وقد جاء عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أن (سبحان الله) كلمة رضيها الله تعالى لنفسه(3).

وقال الحسن البصري رحمه الله: (سبحان الله) اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه(4).

فلا يسبح غير الله تعالى، لأنه قد صار مستعملاً في أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه(5).

وقال الماوردي رحمه الله: فرأيا يجوز أن يسبح غير الله ولذلك لأنه صار علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا الله تعالى(6).

وقد ورد لفظ (التسبيح) ومشتقاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بصيغ مختلفة، فورد بصيغة الفعل الماضي (سبح، سبحوا)، وفي صيغة الفعل المضارع (يسبح، تسبح، نسبح) مفرداً ومجموعاً، وفي صيغة الفعل الأمر (سبح، سبحوه)، وفي صيغة اسم الفاعل (مسبحون، مسبحين)، وفي صيغة مصدر (التسبيح، تسبيحاً)، وفي صيغة مصدر علم على التسبيح (سبحان، سبحانك، سبحانه).

والفعل (سبح) قد يتعدى بنفسه بدون اللام كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 42).

وقد يتعدى باللام كقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ (الحشر: 1).

وعلى هذا فسبحه وسبح له لغتان فصيحتان، كنصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له(1).

ومن تصاريف (التسبيح): نقل الماضي (سبح) وقيل المضارع (يسبح) لا يطلق أهل العلم: إنما عبر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى ليبين أن ذلك التسبيح لله من شأن أهل السماوات وأهل الأرض، دائماً في الماضي والمستقبل(2).

واقتصت بالتسبيح سبع سور، سميت (المسبحات)، وهي: الإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى، وقد ذكر ابن عاشور الحكمة من افتتاح بعض السور بالتسبيح، فقال: الافتتاح بكلمة التسبيح من مرتسل الكلام مقتضيه ما يجب تنزيه الله عنه وقال بأن

(1) تفسير القرآن السمعاني 3/223.
(2) التحرير والتنوير لابن عاشور.
(3) ...
(4) ...
(5) تفسير القرآن ...
(6) النكت والعيون للماوردي.

(1) أضواء البيان للشنقيطي.
(2) المصدر السابق.

بل يخبر الله تعالى ذكره عن قول ملائكته الذين [illegible] ﴿[illegible]﴾ (الصافات: ١٦٥) أي: [illegible] [illegible] في السماء [illegible] والمسبحون ﴿[illegible]﴾ (الصافات: ١٦٦).

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الصافات: ١٦٦).

فهم لا يرفعون التسبيح لأنه ما عندهم السماوات والأرض [illegible] التسبيح [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] التسبيح [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ (الأنبياء: ٢٠).

فالله يسبحه الليل والنهار [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] التسبيح [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] القدرة من الكائنات [illegible] [illegible] المحمدتين فيها.

وتحدث به سور (الحشر والطور والواقعة [illegible]).

ومن آثار السور التي ذكر فيها لفظ التسبيح بمختلف الصيغ: سورة الإسراء وهي تسمى سورة سبحان، حيث ذكر فيها التسبيح [illegible] مرات، ولم يأت بهذا [illegible] في سورة [illegible] سورة في القرآن [illegible] التسبيح [illegible] الإسراء [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] السماء [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] الله تعالى.

[illegible]

من لحظات الليل والنهار، ولا يفترون ولا حتى في جوف الليل.

إنه خلق من التسبيح لا ينقطع، ولا ينقطع [illegible] إلا ما شاء الله، وقد ورد التسبيح في سورة الإسراء سبع مرات، نبأ سبع سماوات، فكل سماء [illegible] التسبيح، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (سبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض)[1].

وقد بدأ بعض السور ذكر فيها التسبيح في أولها وآخرها، وهي سورة (الحشر) يقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]، وانتهت بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

والأمر بالتسبيح في القرآن يحمل على الندب إلا في التسبيح في الصلاة فهو أمر وجوب على الصحيح؛ كما دل عليه حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في ركوعكم)، فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال: (اجعلوها

في سجودكم)[2].

والتسبيح منه مطلق، ومنه مقيد بالأحوال والمقارنات، أو بالصباح والمساء ونحوهما، ومنه كلام من مقاتلي أو القتال.

والتسبيح يطلق في القرآن الكريم ويراد به معانٍ كثيرة:

الأول: يطلق على الذكر مع التعظيم، وهو أكثر ما ورد في القرآن وهو المراد عند الإطلاق، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [illegible].

الثاني: يطلق على الصلاة، قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [illegible].

الثالث: يطلق على الصلاة، ومنه قول الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

الرابع: يطلق على عموم الذكر، ومنه قول الملائكة عليهم السلام: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال الطبري: «يعني: إنا نعظمك بالحمد لك والشكر»، وقال ذكر لنا عند العرب التسبيح والصلاة، ويقول الرجل منهم: قضيت سبحتي من الذكر والصلاة. وقد قيل: إن

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، [illegible] رقم ٢٢٣.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، (١/ ٢٣٠) رقم ٨٦٩، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب التسبيح في الركوع والسجود (١/ ٢٨٧) رقم ٨٨٧.

[illegible]

وقال شيخ الإسلام: [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴾ [الرعد: ١٣].

والتسبيح كل المخلوقات ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهذه الآية تدل على أنه تسبيح حقيقي على كيفية لا يدركها البشر، [illegible] التسبيح [illegible].

والتسبيح أول الجنة، فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠].

إلا أنه مما يجب التنبيه عليه أن التسبيح [illegible] [illegible] ورسوله، [illegible] [illegible] ولسانه، [illegible] الله صلى الله عليه وسلم [illegible] (١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: التسبيح الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible]

بها سبحانك والمقصود أن يسبح بها [illegible] (٢).

وقال ابن عاشور: [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (٣).

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

يقول ابن تيمية: [illegible] الجنة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (٤).

[illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، [illegible] [illegible]
(٢) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين [illegible]
(٣) التحرير والتنوير [illegible]
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية [illegible]

السؤال بالله على بعض مأثورها إلى الإلزام الشرعي الشامل على المحمود والثناء به فهو يجمع المعرفة عن الكمالات.

ثانيًا: التحميد:

ومن صور الذكر الواردة في القرآن: التحميد ويعم قول الحمد لله.

والتحميد: حمدك الله عز وجل مرة بعد مرة، فهو كثرة حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة، وهو أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر؛ لأن الشكر: من الثناء على المحسن بما أولاه من معروف، والحمد أعم من حيث ما يقع عليه، فإن الله تعالى ينبغي أن يحمد على كل حال سواء أعطى العبد نعمة أو لم يعطها.

وأما المدح فهو أعم من الحمد؛ لأنه يكون للحي والميت، وللجماد أيضًا كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك، ويكون من قبل الإحسان وبعده وعلى الصفات الجميلة.

ومعناه في الاصطلاح: الثناء باللسان والقلب على الجميل الاختياري.

والجميل الاختياري: هو الثناء على المنعم بسبب كونه منعمًا على الحامد أو غيره. فحقيقة الحمد الثناء على المحمود بذكر محاسنه الجليلة، وآلائه الجميلة، وهو الثناء لله بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم.

لذا قيل: فالحمد لله يشمل سائر صفات الكمال التي استحق الله لأجلها الحمد له تعالى، وإنما هي ما دل عليه صفة الحمد لله من اختصاص جنس الحمد به تعالى، واستحقاقه لذلك الاختصاص.

وقد ورد الحمد في القرآن الكريم في أكثر من [illegible] موضعًا، والتحميد مفتتح القرآن فقد افتتح الله كتابه الكريم بالحمد لله، وافتتح بعض السور بالحمد على سور الأنعام والكهف وسبأ وفاطر. قال السيوطي: اعلم أن الله افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها.

الأول: الثناء عليه تعالى، والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفي وتنزيه من صفات النقص، فالأول: التحميد في خمس سور، ثم ذكر بقية الأربعة.

وافتتح الله تعالى ملكه بالحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١).

(١) التحرير والتنوير [illegible].
(٢) انظر: تهذيب اللغة [illegible].
(٣) انظر: [illegible].
(٤) انظر: [illegible].

(١) التحرير والتنوير (١/ ١٢٤).
(٢) الإتقان في علوم القرآن [illegible].

والحمد بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: ٧٥).

والحمد له سبحانه في الأولى والآخرة في جميع ما خلق وما هو خالق، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٧٠).

وأمر الله بالحمد في كتابه فقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ (النمل: ٩٣).

وأثنى على عباده الحامدين، فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة: ١٥).

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٨).

وأول حمد جاء في القرآن وأعظمه أن حمد الله نفسه بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (الفاتحة: ٢).

في أعظم سورة في القرآن وهي سورة الفاتحة، حيث افتتحت بهذه الجملة العظيمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، قال عليه الصلاة والسلام: (إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي)(١).

والألف واللام في (الحمد) تفيد الجنس، فجنس الحمد وكل الحمد إنما هو لله وحده لأنه رب العالمين الذي له كل المحامد، محمود على صفاته ومحمود على أفعاله.

ولأنه لما علم سبحانه وتعالى عجز عباده إذا أرادوا حمده وثناءه وعجزهم عن القيام بحق حمده على مقتضى عزه وسلطانه، أخبرهم أنه قد حمد نفسه بنفسه بما افتتح به كتابه بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وتفاوتت طبقات الحامدين لتباينهم في أحوالهم: فطائفة حمدوه على ما نالوا من إنعامه وإكرامه من نوعي صنعه الظاهرة والباطنة، وطائفة حمدوه على ما أنالهم من ... وطائفة حمدوه على ما أذهب عنهم من أحزانهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ (فاطر: ٣٤).

وطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجائب لطائفه، وأنوع مراحمه من مكرماته، يرد دليل بين من يحمده بعز جلاله وبين من يشكره على وجود أفضاله(٢).

ثالثاً: الجمع بين التسبيح والحمد في القرآن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، (٢٩٦/١) برقم ٣٩٥.

(٢) لطائف الإشارات للقشيري (٤٤/١).

بتقديم التسبيح، قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (النصر: 3).

والسبب أن التسبيح يدل على كونه مبرأً في ذاته وصفاته عن النقائص، والتحميد يدل على كونه محسناً إلى العباد، ولا يكون محسناً إليهم إلا إذا كان عالماً بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات، ولا إذا كان قادراً على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجونه إليه، وإلا إذا كان غنياً في نفسه وإلا لشغله حاجة نفسه عن حاجة غيره، فثبت أن كونه محسناً لا يتم إلا بعد كونه منزهاً عن النقائص والآفات[1].

قال الرازي: «إن التسبيح أينما جاء إنما جاء مقدماً على التحميد، ألا ترى أنه يقال: سبحان الله، والحمد لله، إذا عرفت هذا فنقول: إنه جل جلاله ذكر التسبيح عند ما أخبر أنه أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ (الإسراء: 1).

وذكر التحميد عند ما ذكر أنه أنزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ (الكهف: 1).

وفيه فوائد:

الفائدة الأولى: أن التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي، وهو إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته، والتحميد عبارة عن كونه مكملاً لغيره، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته، ونهاية الأمر كونه مكملاً لغيره، فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا: (سبحان الله) ثم ذكر بعده الحمد لله تنبيهاً على أن مقام التسبيح مبدأ، ومقام التحميد نهاية.

إذا عرفت هذا فنقول: ذكر عند الإسراء لفظ التسبيح، وعند إنزال الكتاب لفظ التحميد، وهذا تنبيه على أن الإسراء به أول درجات كماله، وإنزال الكتاب غاية درجات كماله، والأمر في الحقيقة كذلك، لأن الإسراء به إلى المعراج يقتضي حصول الكمال له، وإنزال الكتاب عليه يقتضي كونه مكملاً للأرواح البشرية، ونقلها من حضيض البهيمية إلى أعلى درجات الملكية، ولا شك أن هذا الثاني أكمل، وهذا تنبيه على أن أعلى مقامات العباد مقام أن يصير العبد عالماً في ذاته معلماً لغيره»[2].

والحاصل: أن جميع المحامد لله سبحانه إما وصفاً وإما خلقاً، فله الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه، والحمد لله لاستحقاقه لجلاله وجماله، والشكر لله لجزيل نواله وعزيز أفضاله، فحمده سبحانه له هو من صفات كماله وسراؤه، وحمد الخلق له على إنعامه وطوله

---

[1] انظر: غرائب القرآن، النيسابوري: 1/ 92.

[2] مفاتيح الغيب، الرازي: 21/ 63.

وجلاله وجماله وإحسانه [illegible] ... [illegible]

[illegible]

فالحمد لله كلمة عظيمة [illegible]

[illegible]

والحمد على نعم الدين أفضل من الحمد على نعم الدنيا، والحمد على

أعمال القلوب أولى من الحمد على أعمال الجوارح، والحمد على النعم من حيث إنها عطية المنعم أولى من الحمد عليها من حيث ... [illegible]

والمقصود أن من صور الذكر العظيمة حمد الله تعالى ... [illegible]

[illegible] ... السماوات والأرض»[2].

فالحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء.

رابعًا: التهليل:

ومن صور الذكر التي جاءت في القرآن التهليل، وهو: قول: لا إله إلا الله ... [illegible]

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[1] [illegible]

إلٰه[1].

قال الأزهري: «ولا أراه مأخوذًا إلا من ولهِ الخلق به صنيعة»[2].

ومعنى هذا القول: في الألوهية من كل شيء، والتأله استحقاقها لله تعالى وحده فلا رب غيره ولا معبود سواه، والمعنى هذه الكلمة كلمة التوحيد، وإنها تدل على نفي الشريك على الإطلاق.

وهي الكلمة التي دعا إليها الرسل الطيب والتوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي الحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، ولهذا «وإلٰهكم إلٰه واحد» كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٦٣].

قال بعده: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٦٣].

فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني: هب أن إلهنا واحد فلغيرنا إله غيره، فقال تعالى: ﴿[illegible]﴾.

وتسمى أيضًا كلمة الإخلاص، وهي خلاصة دعوة الرسل، كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولا يصح الإيمان للكافر إلا بالنطق بها مع التصديق بمعناها والعمل بها.

(١) انظر: العين، الفراهيدي [illegible].

(٢) تاج العروس، الزبيدي [illegible].

وقد ذكر الهليل في القرآن الكريم (٣٧) مرة، قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي في حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع: «وجاءت كلمة (لا إله إلا الله) في سبعة وثلاثين موضعًا من القرآن»[3].

وبالرجوع لبرنامج القرآن الحاسوبي تبين أنها جاءت بلفظ: ﴿[illegible]﴾ مرتين في الصافات ومحمد ومرة واحدة بلفظ: ﴿[illegible]﴾ في الأنبياء و﴿[illegible]﴾ (٢٦) مرة، ومرة واحدة بلفظ: ﴿[illegible]﴾ في الصافات وبلفظ: ﴿[illegible]﴾ مرة واحدة في يونس وبلفظ: ﴿[illegible]﴾ لا ذلك مرات في النحل وطه والأنبياء فيكون المجموع (٣٧) مرة فقط.

ورأيتها أربع وأعظم من هذه الجمل: ﴿[illegible]﴾ وبيان الأول أربع مرجعًا من لفظ: ﴿[illegible]﴾ الاختصار وحده للقلب الصدق في الثانية ﴿[illegible]﴾ بفعل اللسان أولًا إلى القلب لا ملاحظة اسم من الأسماء وصفة من الصفات، ولكن من الخبر، والثالثة ﴿[illegible]﴾ وإذا كانا لكلتا لكن اللسان حكاه بفعل أولًا إلى الاسم

(٣) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع [illegible].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] (لا إله إلا الله) [illegible] (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) [illegible]

فلا بد من توفر شروط هذا الذكر (لا إله إلا الله) [illegible] (لا إله إلا الله) وهي:

١. العلم بمعناها.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (محمد: ١٩)

٢. اليقين.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الحجرات: ١٥)

٣. القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه.

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الصافات: ٣٥)

٤. الانقياد لما دلت عليه.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (لقمان: ٢٢)

[illegible] (لا إله إلا الله) [illegible]

٥. الصدق.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ٨-٩)

٦. الإخلاص.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (البينة: ٥)

٧. المحبة لهذه الكلمة.

(١) [illegible]

ولأنها الشاملين بها الملتزمين بشروطها وبمقتضى ما تقتضيه، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27].

فهذا هو معنى هذه الكلمة، وهذه هي شروطها التي بها تكون سبب النجاة عند الله سبحانه، وقد قيل للحسن: إن أناسًا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة(1).

والمقصود أن هذا الذكر (التهليل) شأنه عظيم، وقد ورد الأمر به في القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19].

وقد ورد في فضل هذا الذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)(2).

وقال: (أفضل الذكر لا إله إلا الله)(3).

قال ابن القيم: لأن لا إله إلا الله كلمة التوحيد، والتوحيد لا يماثله شيء، وهي الفارقة بين الكفر والإيمان، ولأنها أجمع للقلب مع الله، وأنفى للغير، وأشد تزكية للنفس، وتصفية للباطن، وتنقية للخاطر من خبث النفس، وطرد الشيطان(1).

خامسًا: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

ومن صور الذكر في القرآن: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أمر الله تعالى بها في القرآن، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

وهذا فيه تنبيه على كمال الرسول صلى الله عليه وسلم، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله، وعند خلقه، ورفع ذكره.

قال القرطبي: فرضه الله، شرف الله بها رسوله عليه السلام حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك. والصلاة من الله رحمته ورضوانه(2).

---

(1) [illegible]

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت (425)، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (33).

(3) أخرجه الترمذي في سننه أبواب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (3383)، وابن ماجه (3800) في كتاب الأدب باب فضل الحامدين.

(1) [illegible]

(2) تفسير القرطبي [illegible]

بين الملائكة المدح والاستغفار، وبين الأمة الدعاء والتعظيم لأمره(1).

وقال ابن كثير رحمه الله: والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً(2).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾

أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى له، ويثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون(3).

وصلاة الله عليه هنا لا يصلح حملها على معناها اللغوي، وهو الدعاء لأن المعنى غير مستقيم في حق الله تعالى، فالله لا يدعو لما أن الدعاء للغير طلب نفعه من قادر(4).

قال الألوسي: الرحمة صيغة غير وصلاة الدعاء بالصلاة، وطلبها منه تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، والمشكل الله فيها إذا قال الله تعالى: السلام عليك أيها النبي أو نحوه، لأن الدعاء لا يصدر منه عز وجل لأنه طلب وهو يقتضي ﷺ وعظيماً وعظيماً منه وهي أمور تعظيم، ولا كان عليه سبحانه السلام تهم عليه الصلاة والسلام من غيره تعالى فيجعله من أجل الشهادة، ولأن كان من ذلك عز وجل أمر أنه يخبر ذلك وتاني لا يختبر ذلك من غيره، وما ذكر أولى بتفهيمه إلى الله السلام منه تعالى إشكالاً له شأنه، وينبغي الاعتناء به، وعدم إصدار أمره إلا من يندرك منه(5).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾

وقال أبو حيان الرازي رحمه الله: «ولقد الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه، كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه، ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه، ولهذا قال عليه السلام: (من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً)(6).

ويستفاد من هذه الآية أن أفضل الصلاة إلى الله عز وجل السلام، وأن المؤمنين بها مثل والحكمة كما قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): المراد منها من إضافة الصلاة إلى الله عز وجل السلام، وأن المؤمنين بها والسلام فقد يحتمل أن يكون السلام له

(1) التحرير والتنوير (22/ 99).
(2) تفسير القرآن العظيم (6/ 457).
(3) تيسير الكريم الرحمن (ص 671).
(4) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (25/ 228).
(5) روح المعاني للألوسي (22/ 78).
(6) مفاتيح الغيب للرازي (25/ 228).

سبحانه الصبية والأشياء ذكر به الموجود أفضلهما حسب ذلك وملائكته لا يجوز حب الأشياء [illegible] والعلم عند الله.

قال الشهاب الخفاجي عليه الرحمة: الله [illegible] ذلك ذكر السلام وتخصيصه بالمؤمنين [illegible] عليه الصلاة والسلام: [illegible] على ذكر ما [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم والآية [illegible] التخصيص بهم [illegible].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. الله وملائكته [illegible] على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وأفضل [illegible] عليه الصلاة والسلام: ما علم به أصحابه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات وأوجب [illegible] في الصلاة.

والآية جمعت بين الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم.

قال النووي: إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقل: صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط.

قال ابن كثير: فرضنا النبي [illegible] من هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليمًا.

والتعبير بالجملة الاسمية في صدر الآية للإشعار بوجوب المداومة والاستمرار على ذلك.

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحال والاستقبال، أي: أن الله سبحانه وتعالى وملائكته صلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلون عليه حال نزول الآية ومستقبلاً وإلى يوم القيامة.

﴿وَسَلِّمُوا﴾: [illegible] أي: اسلموا عليه [illegible] في المسجد النبوي [illegible] الله تعالى(1). فهم تسليم عليه، والتسليم له تسليم عليه بالدعاء له بالأمن والسلام من الله (السلام عليك أيها النبي) والتسليم له من المؤمنين بالطاعة والولاء فهذه الصلاة [illegible] المسلم من المؤمنين من بعض ما يجزي به [illegible] التي من إحسان في خلق الإحسان العظيم الذي أحسن به إليهم إذا هداهم إلى الإيمان وأخرجهم من الظلمات إلى النور وسلك بهم الطريق إلى رضوان الله [illegible] خير، فما أقل ما يجزي به المؤمن هذا الإحسان الذي [illegible] في حقنا(2).

والقسم في ﴿وَسَلِّمُوا﴾ الله تعالى وملائكته، وهنا قول من الله الشرف به ملائكته أن في الكلام حذف والتقدير: إن الله يصلي وملائكته يصلون.

قال القرطبي: [illegible] القسم في قوله: ﴿وَسَلِّمُوا﴾ [illegible]

القسم في أن الله والملائكة، وهنا قول من الله تعالى شرف به ملائكته، فلا يصحبه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله(3).

وقال الألوسي: لأحد أن يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير، وله أن يفعل في ذلك ما يشاء [illegible] في الكلام حذف [illegible] إن الله يصلي وملائكته يصلون، وليس في الآية اجتماع في ضمير، وذلك جائز للبشر فعله(4).

ويظهر صيغة الأمر مع قرينة السياق اللفظي وجوب أن يصلي المؤمن على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] في العمر [illegible] الأمر المطلق [illegible] ولمقتضى الأمر [illegible] الصلاة على النبي خارج الصلاة واجبة على كل مؤمن مرة في العمر [illegible] المستحب الإكثار من الصلاة عليه [illegible]

(1) تفسير التحرير والتنوير (٢١٠/٢٢).
(2) القصص القرآني [illegible]
(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة [illegible]
(4) الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible]

عند وجود أسبابها ومن أسباب الصلاة عليه: أن يصلي عليه من جرى ذكره عنده، [illegible] وعند سماع الأذان، [illegible] وعند دخول المسجد.

وذكر [illegible] في [illegible] إشارة إلى الترغيب في الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الله وملائكته.

قال القاسمي: [illegible] الآية على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] لأن الأصل في الأمر الوجوب [illegible]

قال ابن كثير: [illegible] عليه في أوقات كثيرة [illegible]

والظاهر [illegible] لا يحصل الامتثال [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] ليس فيه ما [illegible] من الصلاة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

والمقصود: أن من الآثار [illegible] في القرآن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] في الصلاة [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

الملائكة والمؤمنين معه[1].

ثانيها: من مزايا سنية [illegible] الرحيم صلاة الله على نبيه [illegible] الله [illegible] الأزلي القديم الأبدي الباقي [illegible] الملأ الأعلى [illegible] الأزلي الكريم الأزلي القديم[2].

في الصلاة والسلام على [illegible] صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [illegible]

سادسًا: قراءة القرآن:

ومن صور الذكر [illegible] قراءة القرآن [illegible] القرآن الكريم [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ [المزمل: [illegible]]

والمعنى: [illegible] من القرآن في صلاتكم [illegible] قوله: ﴿[illegible]﴾

الأمر بقراءة القرآن [illegible]

الأول: أن المراد من [illegible] الصلاة [illegible]

والقول الثاني: أن المراد قراءة القرآن [illegible]

على القول الثاني يكون الأمر بقراءة [illegible] القرآن [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

والأمر في قوله: ﴿فَاقْرَءُوا﴾ [illegible]

[1] [illegible]
[2] [illegible]

(1) [illegible]
(2) [illegible]

[illegible]

وذكر الله في هذه الآية الأعذار التي [illegible]

[illegible]

والحاصل: أن [illegible] القرآن [illegible]

[illegible] القرآن الكريم [illegible]

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾

وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ [illegible] ﴾

[illegible]

فقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

كثيرٌ ﴾ فهم يرجون أن ما عند الله خير مما يتلون، ويتاجرون تجارة كاسبة مضمونة الربح، يتاجرون فيها الله وحده، وهي أربح ساملك ويتاجرون بها في الآخرة وهي أربح تجارة، تجارة جزئية إلى أن ثوابهم أجورهم ويزيدهم من فضل الله[1].

وسمي الصلاة فعلية يدل على مقارنة القراءة والتعبد.

قال الألوسي: (أي إنهم يداومون على قراءته حتى صارت سمة لهم وعنوانًا، كما يشير به صيغة المضارع، ووقوعه صلة والعطف للتعليل)[2].

عطف الماضيين (أقاموا) و(أنفقوا) على المضارع (يتلون)؛ لأن أركان التلاوة أهم من أركان الصلاة والزكاة ويصير أن يكون الماضيان سابقين على التلاوة ويجوز أن تكون التلاوة في الصلاة.

(يتلون) فعل مضارع و(أقاموا) فعل ماضٍ، والفعل المضارع يدل على الحال والتجدد والاستقبال والماضي مضى، وفي الآية ذكر تعالى أكثر ما يصلح قراءة لأن تلاوة القرآن أكثر من الصلاة ومقالة الصلاة لا تكون إلا بقراءة القرآن، وقراءة القرآن تكون في كل وقت، ومقالة الصلاة في أكثر من الإنفاق (لذا فالإنفاق مرتبة في الآية)

بحسب الكثرة، وبحسب الاستمرار فبدأ بالأكثر والأكثر استمرارًا، ثم بما هو أقل كثرة الصلاة ثم الأقل الإنفاق[3].

والمراد بكتاب الله القرآن[4]، وقد يراد به كل الكتاب وهي كتب الله.

قال أبو السعود: (يداومون على قراءته، ويعرفون به، يتلون كتاب الله تعالى، القرآن، وقيل: جنس كتب الله، وكونه ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم، وليس بذاك؛ فإن صيغة المضارع منها باستمرار مشروعية تلاوته، والعمل بما فيه واستتباعها لما سيأتي من توفية الأجور، وزيادة الفضل، وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفًا ظاهرًا، لا سبيل إليه لوقف الأداء والمقصود الترغيب في دين الإسلام، والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب، فالتعرض لهذه حقيقتها قبل انتساخها والإشباع في ذكر استجابتها لما ذكر من الفوائد المطلقة مما يورث الرغبة في الإشراك والإقبال على العمل بها والتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها يأباه إطلاقه إياه الباقي مشروعًا ليس إلا حكمية النكر، لا من حيث إنه حكميه بل من حيث إنه حكم القرآن مبيًّا للتوجيه ليحترز عن المشروعية واستلزام الأجر

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٩٤٣.
[2] روح المعاني، للألوسي ١١/٣٦٣.
[3] لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل السامرائي ص ٢٤٢.
[4] غرائب القرآن، النيسابوري ٣٢٦/٣، وروح المعاني، الألوسي ١١/٢١٥.

بالمرة فمنها [illegible]

والمقصود: أن من صور الذكر وأعظمها قراءة القرآن، فقد جاء الترغيب في تلاوة القرآن وأن في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من غير قصد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القرآن أفضل من الذكر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يحفظ القرآن أيما أفضل له [illegible] القرآن أم الذكر؟

فأجاب: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القرآن أفضل من جنس الأذكار كما أن جنس الذكر أفضل من جنس الدعاء [illegible].

سابعًا: الحسبلة:

ومن صور الذكر الواردة في القرآن قول: حسبنا الله ونعم الوكيل، وقد أثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والقرآن من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

فهؤلاء قالوا هذه الكلمة العظيمة (حسبنا الله ونعم الوكيل) أي: قالوا معبرين عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله الرعب في قلب أبي سفيان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والمؤمنين [illegible].

﴿[illegible]﴾ يعني: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يعني: أبا سفيان وأصحابه ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأيقنوا أن الله لا يخذل محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يعني: [illegible] [illegible]

(٣) تفسير القرطبي [illegible]

أي: لم من عظيم[1].

والحاصل: أنه يستحب قول هذا الذكر وهذه الكلمة عند الخوف والأمور العظيمة[2].

وهي الكلمة التي قالها المؤمنون [illegible] وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حينما أُلقي في النار، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار»[3].

وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فالحسبلة مقتضى التوكل، ولهذا يأتي التوكل على الله [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي: [illegible]

[illegible]

أي: الكافي [illegible] يستمد الإعطاء من الصدقات إلى الله [illegible] [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

فمن حقق التوكل على الله لم يكله إلى غيره وتولاه بنفسه، وحقيقة التوكل: [illegible] الأمور كلها إلى من هو بيده فمن توكل على الله في هدايته وحراسته وتوفيقه وتأييده ورزقه وغير ذلك من مصالح دينه ودنياه تولى الله مصالحه كلها فإنه تعالى ولي الذين آمنوا [illegible] ... [illegible] (1).

[illegible]

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible]

كلها فلا يقدر عليها إلا الله، وذلك الذي يوكله لا يملك شيئًا إلا بمشيئة الله [illegible] ... [illegible]

[illegible]

وقال القرطبي: [illegible] (3).

[illegible]

(1) [illegible]

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ومن الآيات السابقة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 129].

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: 59].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64].

وقوله: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62].

ثالثاً: التكبير:

ومن صور الذكر القرآني: التكبير، وقد أمر الله به في قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: 111].

ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: 3].

والتكبير: التعظيم، وهو مصدر كبّر بمعنى عظّم، وهو قول الله أكبر.

والتكبير أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال، وفي الأمر بذلك بعد ما تقدم مؤكداً بالمصدر المذكور من غير تعيين لما يعظم به تعالى إشارة إلى أنه سبحانه لا يحيط به التعظيم، ولا الذي هو أقرب الأشياء، وإن بالغ العبد في التنزيه والتمجيد والتحميد في العبادة والتحميد فلن يصل إلا إلى الاعتراف بالعجز في تعظيم التكبير، وبالاعتراف بالعجز عن القيام بحقه جل وعلا[1].

والأمر هنا ﴿وَكَبِّرْهُ﴾ وإن كان للرسول صلى الله عليه وسلم فهو أمر للناس جميعاً على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لأن أمر القدوة أمر للأتباع. ويعني: ﴿وَكَبِّرْهُ﴾ أي: قل: الله أكبر، الله أكبر، تكبيراً عظيماً، من أن يكون في نفسه أو صفاته الكبير في كل حال، فهو سبحانه الكبير المتعال الذي لا تدركه الأبصار في السبع العلى.

وقد يحمل المعنى على ما هو أشمل، أي: عظمه تعظيماً[2].

قال الرازي في هذا التكبير: «يحتمل أنواعاً من المعاني:

أولها: تكبيره في ذاته وهو أن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته وأنه غني عن كل ما سواه.

وثانيها: تكبيره في صفاته وذلك من ثلاثة أوجه:

أولها: أن يعتقد أن كل ما كان صفة له فهو من صفات الجلال والعز والعظمة والكمال،

---

(1) انظر: روح المعاني للآلوسي 15/184.

(2) تفسير يحيى بن سلام 1/179.

يوم مزيد من كل صفات الكمال.

والثاني: أن يعتقد أنه كل واحد من تلك الصفات متصف بما لا نهاية له من المعلومات والقدرة متعلقة بما لا نهاية له من المقدورات [illegible].

والثالث: أن يعتقد أنه كما قدست ذاته عن الحدوث [illegible] من التغير والزوال والأفعال [illegible] صفاته أزلية قديمة [illegible] عن التغير والزوال [illegible] والانفعال.

الفرع [illegible]: من تكبير الله تكبيره في [illegible].

الفرع الرابع: تكبير الله في أحكامه [illegible] أن يعتقد أنه ملك مطاع وله الأمر والنهي والرفع والخفض، وأنه لا اعتراض لأحد عليه في شيء من أحكامه يعز من يشاء [illegible].

الفرع الخامس: تكبير الله في أسمائه [illegible] أن لا يذكر إلا بأسمائه الحسنى ولا يوصف إلا بصفاته المقدسة العالية [illegible].

الفرع السادس: من التكبير [illegible] بعد أنه يبلغ في التكبير والتعظيم [illegible] والتقديس [illegible] يعترف أن [illegible] لا يفي بمعرفة جلال الله، ولسانه لا يفي بشكره [illegible] وأعضاؤه لا تفي بخدمته، فكبر الله من أن يكون تكبيره [illegible].

[illegible] على الله العظيم [illegible] الكبير والمتعال[1].

والحاصل: أن هذه آية عظيمة [illegible] بها سورة الإسراء وقد احتوت على الأمر بحمد الله والتكبير.

ويروى عن واحد أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم الغلام من بني عبد المطلب إذا أفصح ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلى آخر الآية سبع مرات، وسماها عليه الصلاة والسلام آية العز[2].

وقال ابن كثير: [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله كبيرهم وصغيرهم هذه الآية ﴿[illegible]﴾[3].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قول العبد: الله أكبر خير من الدنيا وما فيها[4].

والمقصود أن التكبير [illegible] وسلم [illegible] أي: [illegible] الله أكبر [illegible] العظمة [illegible] وجلاله [illegible] الكبير المتعال [illegible] التكبير [illegible].

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible]
(4) [illegible]

من كل الوجوه وفي ملكه له صفات الكمال التي من كل صفات النقصان وفي أفعاله فلا يحدث شيء في ملكه إلا بمقتضى حكمته ومشيئته وفي أحكامه فله مطلق الأمر والنهي والحكم والكل لا معقب لحكمه ولا اعتراض لأحد على شيء من أحكامه وفي أسمائه فلا يذكر إلا بأسمائه الحسنى، ولا يوصف إلا بصفاته المقدسة العالية.

وقد جاء التكبير في القرآن مقرونا بعد انتهاء بعض العبادات، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 185)

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الحج: 37)

ففي الآية الأولى التكبير عند إكمال شهر رمضان يوم الفطر[1]، وفي الآية الثانية في الأضاحي[2].

ثالثا: الاسترجاع:

ومن صور الذكر الوارد في القرآن الاسترجاع وهو قول المصاب: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 156-157)

ففي هذه الآية أخبر الله أن المؤمن إذا سلم الأمر إلى الله ورجع واسترجع عند المصيبة كتب له ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى.

ومعنى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: [illegible]

[illegible]

قال أبو السعود: [illegible]

[illegible][3]

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يعني: [illegible]

(1) جامع البيان للطبري [illegible]
(2) مفاتيح الغيب للرازي [illegible]
(3) إرشاد العقل السليم لأبي السعود [illegible]

بعد الموت ونحن [illegible] بحكمه.

إنا لله أي: إنا ملك لله [illegible] المرجع والمآب في كل أمر [illegible] أي حين التسليم المطلق [illegible] الأمر الجلل من [illegible] الصحيح[1].

[illegible] علم العبد أنه راجع إلى الله [illegible] ذلك الله طابت نفسه وهانت عليه مصيبته.

ثم قال: ﴿أولئك﴾ يعني: أهل هذه الصفات [illegible] الصابرين [illegible] العظائم [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible][2].

﴿[illegible]﴾ الصلاة [illegible] [illegible] الرحمة [illegible] [illegible][3]. [illegible] الرحمة [illegible] عليهم[4].

[illegible] الصلاة [illegible] [illegible] والعصمة من [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible][5].

﴿ورحمة﴾ أي: عليهم رحمات كثيرة [illegible] أعظم من [illegible] [illegible].

ثم قال: ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ أي: [illegible] الله [illegible] الحق [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: الذين [illegible] طريق [illegible] [illegible] مع الصبر [illegible].

[illegible] الصبر [illegible] [illegible] من أعظم [illegible].

[illegible] من المعاني [illegible] الله سبحانه [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وفي هذا [illegible] العجيب من [illegible]

(١) في ظلال القرآن سيد قطب (١/[illegible]).
(٢) [illegible].
(٣) [illegible].
(٤) تفسير ابن [illegible] (١/[illegible]).
(٥) تفسير السعدي (١/[illegible]).

(١) تفسير ابن [illegible].
(٢) تفسير السعدي (١/[illegible]).

اللطائف وعوارف المعارف ما يدل ويوقظ [illegible] من هذا الكلام [illegible] الإنسان [illegible] في سمعه أن [illegible] ﴿[illegible]﴾ (آل عمران: ١٩١).

أما [illegible] عند [illegible] إلى مضمونها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ٢٠٠).

سمعها عمر رضي الله عنه [illegible] وعدت [illegible].

[illegible] من [illegible] بين [illegible] والقرآن [illegible]

[illegible]

[illegible] في القرآن لأجله [illegible]

[illegible]

أوقات الذكر

أمر الله تعالى في القرآن بالإكثار من الذكر في جميع الأحوال والأوقات [illegible] الأمر بالذكر في أوقات معينة، ويمكن تقسيم الذكر الوارد في القرآن إلى الذكر المطلق [illegible] والذكر المقيد بأوقات معينة.

أولاً: ذكر مقيد:

أمر الله تعالى في القرآن بالذكر [illegible] والتسبيح خصوصاً [illegible] في الأوقات التالية:

١. البكور والعشي:

أمر الله تعالى في القرآن بالذكر بكرة وعشياً [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأحزاب: ٤٢).

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الفرقان: [illegible]).

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الفتح: ٩).

[illegible]

(١) [illegible]

بملاحظة النهار يحسن فيها (١).

أو هو إشارة إلى المداومة، وذلك لأنه مرتبة السموم لتذكر الطرفين، ويقوم مقام الرسك إبراهيم عليه السلام: ﴿لو أن لكم ... وأكرمكم﴾ (٢) ولم يذكر وسكتم فهم به المبالغة في السموم (٣).

فإنه أمر السيد بالذكر في طرفي النهار، بعدما ولا شك أن العدد أن الحياة توجب الذكر في طرفي من باب الأولى.

وقيل: إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر، وقال ابن عطية: المراد في كل الأوقات فعند النهار بطرفيه (٤).

وخص التسبيح بالذكر من جملة الذكر لفضله على سائر الأذكار، فهو تنزيه عما لا يجوز عليه (٥).

والحاصل: أنه خص البكرة والأصيل في قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بالذكر لإظهار فضلهما، والتوجيه بهذا لأن العبادة فيهما أكد على الإنسان، كما خص التسبيح وهو من أنواع الذكر لبيان فضله على سائر الأذكار.

وقد يكون السر أيضًا في اختيار هذين الوقتين لأنهما أعم أوقات الأوقات وانسبها للذكر لنقاء واستحضار جلاله وعظمته.

ففي أول النهار يبدأ الإنسان يومه فلا بد القلب الذي يكون به مشاعره وأحاسيسه ويمضي به عواطفه وتزاحمه ثم يخرج إلى الحياة ومعه هذا الرصيد العظيم من أسماء الله وصفاته ليواجه الحياة بقلب سليم وعزم قوي، ولسان عذب وبه الله ليكون من هذا الله في حراسة آمنة وحفظه فلا يزل ولا ينحرف.

فإذا كان آخر النهار كان له إلى نفسه موعدًا وربما يعاد ليعرضها على الله ويصلح ما يتابع لها من خلل أثناء سعيها مع الحياة طوال اليوم، وبهذا يظل المؤمن -المتصل بالله هذا الاتصال- على الصفاء والسلامة أبدًا (١).

وأمر الله تعالى بالذكر بالعشي والإبكار، حكاية عن زكريا عليه السلام، فقال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

والعشي: هو من الزوال إلى الغروب [illegible]، وقيل: من العصر إلى ذهاب صدر الليل (والإبكار) أي: وقته وهو من الفجر إلى الضحى، وإنما أمر المخالفة لأن الإبكار بكسر الهمزة مصدر لا يناسبه إلا بتحسن المقابلة كما قيل، وهو مبني [illegible]

(١) مدارك التنزيل، للنسفي ٣/٣٠٨.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [illegible].
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي ٢٥/٢١٦.
(٤) المحرر الوجيز، لابن عطية ٤/٣٩٥.
(٥) غرائب القرآن، للنيسابوري ٥/٤٨٠.

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١١/٧٤٣.

على أن يأتي بالعشي جمع عشية، الوقت [illegible] أول [illegible] والتي [illegible] لا جمع(1).

[illegible]

٢. الغدو والآصال.

[illegible]

[illegible]

(١٨٢)

أو حصل لابن آدم حالان إنما يرى هذه الأحوال الأمر الله بالذكر صباحاً ومساءً [illegible] أنه تعالى أمر بالذكر على الدوام(١).

وقال الشوكاني: [illegible] طرفين [illegible](٢)، وفي البحر المحيط: [illegible] الرقين؟ لأنهما محل الانتقال والأولى [illegible](٣).

والحاصل: أنه من أعظم الأوقات لهذا الذكر [illegible] أول النهار وآخره لأنهما طرفا النهار [illegible] يذكر الله [illegible] [illegible] صلاة الفجر والعصر [illegible] الليل [illegible] النهار [illegible] في الصحيح.

[illegible] الذكر الله لا [illegible] على هذه الأوقة [illegible] النهار [illegible] بالذكر [illegible] في القلب [illegible] القلب [illegible] [illegible] الذكر من الليل إلى النهار [illegible] النهار إلى الليل [illegible] القلب [illegible] والنهار [illegible]

والأحوال [illegible] الله سبحانه [illegible] القلب البشري [illegible] إلى الذكر [illegible] القرآن [illegible] ذكر الله سبحانه [illegible] الآية [illegible] الذكر [illegible] القلب البشري [illegible] الله(١).

٢- قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

قال تعالى: ﴿ [illegible] قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠].

وقال: ﴿ [illegible] قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

قال ابن كثير: [illegible] الصلاة [illegible] قبل الإسراء [illegible] قبل طلوع الشمس في وقت الفجر، وقبل الغروب في وقت العصر، [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب(٢).

فالتسبيح هنا إما أن يكون المراد به الصلاة [illegible] التسبيح والذكر [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

التسبيح الرابع:

٤- من الليل وأطراف النهار.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦].

وقال: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

وقال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [ق: ٤٠] [الطور: ٤٩].

[illegible]

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ بعض الليل ﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾ [illegible] ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [illegible]

[illegible]

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]

وقال: ﴿[illegible]﴾

[illegible] [الروم: ١٨].

[illegible]

﴿[illegible]﴾ [هود: ١١٤].

[illegible]

---

(١) [illegible]

www.mobtada.com

الطرف الأول من النهار، وهو طرف سير الشمس في قرص الأفق، ويأخذ شوطا [illegible] والسير منه بالزوال.

والثاني: منذ ابتداء النصف الثاني من [illegible] الذي يوافق الشطر الأول من النصف الثاني من النهار.

[illegible]

[illegible] ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [illegible]

٥- أدبار السجود.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ (ق: ٤٠).

﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [illegible]

والقول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [illegible]

٦- أدبار النجوم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ (الطور: ٤٩).

[illegible]

وقت القيام:

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [illegible]

[illegible]

قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ (الكهف: ٤٦).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤).

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة ٢٠٠).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ (البقرة ٢٣٩).

ثانيا: ذكر مطلق:

أمر الله في القرآن بالذكر مطلقاً في سائر الأوقات والسراء والضراء، ما لم يقيد بزمان ولا مكان ولا حدث [illegible] العدد فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب ٤١).

وقال تعالى في سياق صفات المؤمنين والمؤمنات: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب ٣٥).

قوله: ﴿بُكْرَةً﴾ [illegible] أوقات الأوراد المقيدة كالصباح والمساء وأدبار الصلوات المكتوبات(١).

قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً. ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الذاكرين الله كثيرا [illegible]

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible].

[illegible] (آل عمران ٤١).

[illegible] ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ يعني: في جميع هذه الأحوال [illegible]

[illegible]

﴿... [illegible]﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

[illegible]

فوائد الذكر

الذكر عبادة عظيمة، [illegible] وأهمية عظيمة، وفوائد جليلة، شاملة للدين والدنيا والآخرة، أوصلها ابن القيم في كتابه الوابل الصيب إلى أكثر من سبعين فائدة [illegible] من فوائد الذكر في القرآن:

أولاً: ذكر الله عز وجل لعبده الذاكر:

من أعظم فوائد الذكر ذكر الله تعالى للذاكر، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ [illegible]

وبعد الأمر ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ جوابه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [illegible](١) [illegible]

قال أبو عثمان النهدي: إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل، قيل: كيف ذلك؟ قال: إن الله عز وجل قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [illegible](٢).

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

وقال الحكماء: إنما كان الذكر أفضل الأشياء لأن ثواب الذكر الذكر، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1].

والذكر ما يحصل على الصوت ويشتمل الذكر باللسان، ومنه: الحمد والتسبيح والتمجيد وقراءة كتاب الله، وبالقلب، ومنه: الذكر في الدلائل الدالة على التكاليف والأحكام والأمر والنهي والوعد والوعيد، والذكر في الصفات الإلهية، والذكر في أسرار مخلوقات الله تعالى، حتى تصير كل ذرة كالمرآة المصورة المحاذية لعالم القدس، فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال، وبالجوارح بأن تكون مستغرقة في الأعمال المأمور بها، خالية من الأعمال المنهي عنها. وعلى هذا الوجه سمى الله الصلاة ذكرًا بقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة ٩)[2].

ومن الأقوال الشوارد حتى ذلك الذكر على سبيل الحقيقة لما كان [illegible] الذاكر والذاكر منه مستحيلًا[3]. [illegible]

أما ذكر الله للعبد فهو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين الملائكة، ومباهاته به وتنويهه بذكره[4].

قال أبو بكر: [illegible] ويغفر لكم[1].

وعن الشبلي قال: ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله، لا يذكره مؤمن إلا ذكره برحمة[2].

فليس العجب من ذكر العبد الفقير المحتاج الضعيف لربه، إنما العجب والشأن في ذكر الرب الملك العظيم لعبده.

يا للفضل الجليل! الله جل جلاله يتفضل فيذكر هؤلاء العبيد فيكافئهم بذكره لهم في عالمهم الصغير، إن العبد حين يذكر ربه يذكره في هذه الأرض الصغيرة ومن أصغر من أرضهم الصغيرة، والله حين يذكرهم يذكرهم في الملأ الأعلى، وهو الله العلي الكبير، أي فضل؟ أي كرم؟ وأي فيض في السماحة والبر؟ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ إنه الفضل الذي لا يفيض إلا من الله [illegible] الفضل الفائض من الله تعالى بلا سبب ولا موجب إلا أن الله [illegible] هو سبحانه فياض العطاء.

إنه ذلك الفضل الذي لا يملك لفظ ولا يعبر عن ذكره [illegible] إلا سجود القلب، وذكر الله ليس [illegible] إنما هو انفعال القلب معه أو بدونه، والشعور بالله [illegible]

(١) المصدر السابق ٢/٣٨٣.
(٢) المرجع السابق [illegible].
(٣) المصدر السابق ٢/٥٠٢.
(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي ١/٢٨٦.

(١) جامع البيان ٣/٢١١.
(٢) [illegible] ١/٢٨٥.

بالذكر بهذا [illegible] في حد [illegible] ولا شيء غيره [illegible] حلاوة اللقاء(1).

فالله سبحانه وتعالى لا [illegible] [illegible] بالذكر [illegible] سبحانه [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible].

فإذا ذكر المؤمن ربه وجد ربه تجاهه [illegible] [illegible] القدسي: (من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)(2).

فذكر الله [illegible] القلب [illegible] الذاكر [illegible] من جلال الله [illegible] [illegible] [illegible] الذاكر [illegible].

ذكر العارفين بالله [illegible] [illegible] [illegible] الله حبهم [illegible](3).

فذكر الله [illegible] الأعظم من ذكركم له [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القلب [illegible] [illegible] أطلع [illegible] ذكر الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](4).

ثالثًا: الحصول على المغفرة والأجر العظيم:

ومن فوائد الذكر: المغفرة [illegible] قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 35).

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب [illegible] [illegible] رقم [illegible].

(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب [illegible].

(4) جامع البيان [illegible].

فالذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك أعد الله لهم مغفرة الذنوب و﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: ثوابًا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيمًا، وذلك الجنة(١). وعطف ﴿وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ أي: كذلك في الحكم، فليس هذا الحكم خاص بالرجل فقط، ففي الآية الكريمة تسوية بين الرجل والمرأة في مقام التكليف والجزاء.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم﴾ أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الحميدة، والمناقب الجليلة، التي هي ما بين اعتقادات، وأعمال القلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان، فجازاهم على عملهم بالمغفرة لذنوبهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم(٢).

ومطلب الصفات الكثيرة التي جمعت في هذه الآية تعاون في تكوين النفس المسلمة، فهي الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم وحفظ الفروج، وذكر الله كثيرًا، وكل منها فيه في بناء الشخصية المسلمة. وبقية ألفاظ الآية في غاية البيان والوضوح.

ثالثًا: الفلاح.

ومن فوائد الذكر: الحصول على الفلاح، وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقد علم الله عباده ما في هذه الآية الثانية إذا لقوا بالفئة «وهي الجماعة من المحاربين» نوعين من الأدب: الأول: الثبات، وهو أن يوطنوا أنفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي. والثاني: أن يذكروا الله كثيرًا. وفي تفسير هذا الذكر قولان:

القول الأول: أن يكونوا بقلوبهم ذاكرين الله، وبألسنتهم ذاكرين الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله أولياءه بذكره في أشد أحوالهم؛ تنبيهًا على أن الإنسان لا يجوز أن يخلي قلبه ولسانه من ذكر الله، ولو أن رجلًا أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق

(١) المصدر السابق (٢١٤/٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٦٥.

الأموال سخاء، والأمر من المشرق إلى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله لا الثناء له أعظم أجرًا.

والقول الثاني: أن المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر والظفر؛ لأنه لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى[1].

والآية محصنة للمؤمنين.

ومنه أيضًا قال: ﴿تُفْلِحُونَ﴾ أي: لكي تفوزوا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال: لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]

بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال[2].

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ يقول: أيها المؤمنون اذكروا الله [illegible] النصر والظفر عليهم[3]؛ لأن ملاقاة الكفار [illegible] لأجل طاعة الله تعالى [illegible]

الله تعالى، وهذا من أعظم علامات العبودية، فإن طلب الخصم [illegible] صار مشغولًا بالشهادة والفرح بها [illegible] أما إن كانت الحالة لا الدم بل لأجل الله في الشهادة وطلب المال لم يكن ذلك وسيلة إلى الفلاح والنجاح[4].

والفلاح في هذه الآيات أربعة:

النعمة على رسله الفلاح.

والثاني: أي لكي تفوزوا.

[illegible]

والسادس: أن ﴿تُفْلِحُونَ﴾ مضارع أفلح الرجل يفلح فهو مفلح، إذا فاز [illegible] والفلاح يطلق في لغة العرب بإطلاقين معروفين مشهورين:

أحدهما: إطلاق العرب الفلاح بمعنى الفوز بالمطلوب الأكبر، فكل من فاز بالمطلوب الذي كان يهتم به [illegible] قيل: أفلح [illegible] فاز بما كان يطلب. وهذا معنى معروف في كلام العرب.

الإطلاق الثاني: من إطلاق العرب الفلاح على البقاء السرمدي في النعيم، فالعرب تقول: أفلح [illegible] إذا كان بقاؤه دائمًا في نعيم

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [illegible].
(2) أخرجه الطبري في تفسيره [illegible].
(3) انظر: [illegible].
(4) [illegible].

مرجحها، وهذا المعنى معروف مشهور في كلام العرب أيضًا.

والمقصود: أن من أطاع الله عز وجل [illegible] الفلاح [illegible]

وهذه الآية الكريمة تدل على أن الثبوت [illegible] الكفار في ميدان القتال [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنفال: ٤٥].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: [illegible]].

[illegible] الملائكة [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الأنبياء: ٢٠].

والخلاصة: [illegible] بالذكر على كل [illegible]

ومن كعب الأحبار قال: ما من شيء أحب إلى الله من قراءة القرآن والذكر [illegible] ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت: ٤٥].

رابعًا: النجاة من البلاء:

ومن فوائد الذكر: النجاة من البلاء، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ﴾ يعني يونس عليه السلام ﴿كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ من الذاكرين الله قبل [illegible] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من المصلين، وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدم عملًا صالحًا [illegible] ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] [illegible]

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم [illegible]
(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي [illegible]

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إن العبد إذا كان له دعاء في السراء فإذا نزل به البلاء قالت الملائكة: صوت معروف [illegible] فيشفعون له، وإذا لم يكن له دعاء قالوا: الآن؟ فلا يشفعون له، [illegible] ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨][1].

والمقصود أن من فوائد الذكر السكينة [illegible] الله من حال يونس عليه السلام أنه كان من الذاكرين لله قبل البلاء فذكره الله في حال البلاء فأنقذه ونجاه.

خامسًا: اطمئنان القلوب:

ومن فوائد الذكر: حصول الطمأنينة [illegible] لقلوبهم بذكره وفي الذكر وحنوا بقلوبهم إلى الأذكار وسكنوا إلى [illegible].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قوله: ﴿تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: تسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله[2].

وفي هذا الذكر قولان:

أحدهما: أنه القرآن، لأنه يسمى ذكرًا كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] لأنه آية بها تسكن القلوب وتطمئن إليها.

والثاني: ذكر الله على الإطلاق.

وفي معنى هذه الطمأنينة قولان:

أحدهما: أنها الحب له والأنس به.

والثاني: السكون إليه من غير شك بخلاف الذين إذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم. والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين؛ لأن الكافر غير مطمئن القلب[3].

والمعنيان مترابطان، ولا تعارض بينهما؛ فالذكر [illegible] ولا يكون المراد به القرآن.

قال السعدي: ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها والأنس به ومعرفته وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله ذكر العبد لربه من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي

[1] [illegible].
[2] [illegible].
[3] زاد المسير لابن الجوزي [illegible].

أثراه ذكرى المؤمنين، فمن هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: كما حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لهدايتها لهل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام"[1].

ويدل إلى حيث الحقائق [illegible] ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: بذكره دون غيره تسكن القلوب أشد، وإذا [illegible] عليه من [illegible] بمفهوم [illegible] أي: بذكر رحمته ومغفرته أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته"[2].

وتأخر [illegible] في ﴿تَطْمَئِنُّ﴾ مرتين للدلالة على تجدد الاطمئنان واستمراره وأنه لا ينقطع شك ولا تردد.

واختتمت جملة ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ بحرف التنبيه [illegible] وإقراره بوجوه [illegible] القليل [illegible] القلوب من [illegible] إثارة [illegible] على الكفر حتى أن [illegible] بسنة المؤمنين من

الغير في القراءة لتطمئن القريب لله [illegible]: إلا حين [illegible] إلى المؤمنين: فهلا [illegible] بأن تكونوا مثلهم؟! [illegible] في [illegible] الله [illegible]"[3].

[illegible] القلوب وإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه، وفي حماه، تطمئن من [illegible] ومن [illegible] الطريق، [illegible] الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، [illegible] بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر، ومن كل شر إلا بما يشاء، مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء، والطمأنينة برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت [illegible] الإيمان [illegible] فاتصلت بالله، يعرفونها، ولا يستطيعون [illegible] إلى الآخرين الذين لم يعرفوها؛ لأنها لا تنقل [illegible] إنما تسري في القلب [illegible] ويهش لها، ويندى بها، ويستريح إليها، ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفردًا بلا أنيس، فكل ما حوله صديق؛ إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه.

وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله [illegible]

[1] [illegible] الكريم الرحمن، للسعدي ص ٤١٧.
[2] محاسن التأويل، القاسمي ٦/ ٢٩١.
[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣/ ١٣٩.

www.modoee.com

[illegible]

سادساً: مغفرة الذنوب:

ومن فوائد الشكر: مغفرة الذنوب.

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

[illegible]

والمقصود: أنهم حصلوا على هذه المغفرة من الله والجنات والنعيم فيها بسبب الاستغفار [illegible]

الأسحار الاستغفار الاستغفار الاستغفار

[illegible]

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي [illegible]

الذُّلّ

عناصر الموضوع

مفهوم الذل	١٥٤
الذل في الاستعمال القرآني	١٥٥
الألفاظ ذات الصلة	١٥٦
أنواع الذل	١٥٨
العلاقة بالذل	١٦٢
أسباب الوقوع في الذل	١٦٥
أسباب رفع الذل	١٧٢

مفهوم الذل

أولًا: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: (الذل) على الخضوع والاستكانة واللين(1).

والذُّل: نقيض العز، يقال: ذل يذل ذُلًّا وذِلّة وذلالة ومذلة فهو ذليل(2)، والذِّل بالكسر: اللين، وهو ضد الصعوبة(3).

وقال الراغب: «الذُّل: ما كان عن قهر، والذِّل: ما كان بعد تصعب وشماس(4) من غير قهر، [illegible]»(5).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

قال ابن عاشور: «الذلة: خضوع في النفس واستكانة من جراء العجز عن الدفع»(6).

من خلال هذا التعريف يلاحظ أن ابن عاشور اقتصر على تعريف الذل المذموم [illegible].

وقال العسكري: «الذلة: الضعف عن المقاومة، ونقيضها العزة، وهي القوة على الغلبة [illegible]»(7).

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (2/345).
(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور (11/256).
(3) [illegible]
(4) [illegible]
(5) المفردات، الراغب الأصفهاني ص(330).
(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور (4/...).
(7) الفروق اللغوية، العسكري ص(...).

الذل في الاستعمال القرآني

وردت مادة (ذل) في القرآن الكريم (٢٤) أربعًا وعشرين مرة [illegible] (١٨) ثماني عشرة مرة[1]، والجدول التالي يوضح ذلك:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	٢	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ... وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]
المصدر	١٠	﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]
اسم التفضيل	٢	﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]
الاسم	٤	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

وجاءت كلمة الذل في القرآن على وجهين[2]:

الأول: الذلة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]، أي: الهوان.

الثاني: التواضع، ومنه قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، أي: متواضعين على المؤمنين.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢٧٦-٢٧٧.
(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني ص ٣٣٠-٣٣١، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ص ٣٠٠-٣٠١.

الألفاظ ذات الصلة

١ الصغار:

الصغار لغة:

الصَّغار: بالفتح: الذل والضيم، وكذلك الصغر، بالضم، والمصدر الصغر، بالتحريك، يقال: لم يقل صغيرًا، وصغرًا، ذليل، يقال صغر فلانٌ يصغر صغرًا وصغارًا، فهو صاغر، إذا رضي بالضيم وأقر به. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] (١).

الصغار اصطلاحًا:

هو الاعتراف بالذل والإقرار به (٢).

الصلة بين الذل والصغار:

الصغار إنما في الإذلال والهوان (٣).

٢ الخزي:

الخزي لغة:

خزي خزيًا، ومخزاة: ذل وأخزاه الله، وهو من أهل المخازي، والمخزاة: العار من عمل من يأتي لا يحق ... الهوان (٤)، من خزي الرجل: انكسار إما من نفسه وإما من غيره (٥).

وفي لسان العرب: والمخزي في اللغة: المذل المحقور بأمر قد لزمه بحجة، وكذلك أخزيته أي ألزمته حجة أذللته بها (٦).

الخزي اصطلاحًا:

جميع الأبيات التي وردها الله لنا من حروف الخزي جاءت بمعنى الذل والهوان والفضيحة.

الصلة بين الذل والخزي:

الخزي ذل مع افتضاح، وقيل: هو الانقماع لقبح الفعل، والخزي لا يستعمل إلا مع افتضاح.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٤/ ٤٥٨).
(٢) انظر: الفروق اللغوية، العسكري، ص ٢٤٩.
(٣) انظر: المعجم السابق.
(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ٥/ ١٥٧، لسان العرب، ابن منظور ١٤/ ٢٢٦.
(٥) انظر: غريب القرآن، الأصفهاني (١/ ٢٨١).
(٦) لسان العرب، ابن منظور ١٤/ ٢٢٦.

من الناس، أما فيه من العيب، قال ابن عرفة: الخزي الإقامة على السوء خزي يخزى خزيًا، وإذا استحيا من سوء فعله أو فعل به قيل: خزي يخزى خزاية، لأنهما في معنى واحد وليس كذلك بل هو الإقامة على السوء والاستحياء من السوء ليسا بمعنى واحد[1].

■ الخضوع

الخضوع لغة:

الانقياد والمطاوعة[2].

جاء في كتاب جمهرة اللغة: (خضع الرجل يخضع خضوعًا) إذا ذل، قيل خاضع[3].

الخضوع اصطلاحًا:

إظهار الانقياد والطاعة لمن سلطانه.

الصلة بين الذل والخضوع:

الذل: الانقياد كرهًا، ونقيضه العز، وهو الإباء والامتناع، والانقياد على كره، وفاعله ذليل، والذل: الانقياد طوعًا، وفاعله ذلول[4].

أما الخضوع: فهو التطامن، والتطأطؤ، والخاضع المطأطئ رأسه وعينه[5].

(١) الفروق اللغوية للعسكري، ص.
(٢) لسان العرب لابن منظور.
(٣) جمهرة اللغة لابن دريد.
(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص.
(٥) انظر القاموس المحيط.

أنواع الخل

ينقسم الخل إلى نوعين من جهة أنه محمود ومذموم، وقد ذكر القرآن الكريم كلا القسمين، فمن أشرف أنواع الخل المحمود الذي يكون مع الخالق عز وجل ثم مع الرسل ثم مع المؤمنين، وفي المقابل الخل المذموم الذي يكون مع ما يعبد من دونه عز وجل أو مع الحكام المستبدين أو مع الشيطان.

أولاً: الخل المحمود:

١. الخل مع الله.

من أشرف أنواع الخل المحمود هنا الذي يكون مع الخالق عز وجل، وهذا الخل موارده العز والشرف والنصر في الدنيا والآخرة.

إذ الحكمة من خلق الإنسان هي: عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

يقول ابن عطية في تفسير هذه الآية: (ما خلقت الإنس والجن إلا معدين ليعبدوني، وكأن الآية تعديد نعمة، أي: خلقت لهم حواس وعقولاً وأجساماً منقادة نحو العبادة، وهذا كما تقول: البقر مخلوقة للحرث، والخيل للحرب، وقد يكون منها ما لا

يحارب به أعداؤه، فالمحبة في الله والإخلاص في ذلك هو المراد، إنما هو المحبة لكن يحبهم لكسب ومعرفة نفسه من ملكته[1].

والمحبة هي: إظهار الخضوع والذل للمحبوب عز وجل.

قال ابن القيم في النونية[2]:

وعبادة الرحمن غاية حبه

مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر

ما دار حتى قامت القطبان

وقال ابن القيم أيضاً: «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي: مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً»[3].

فتحقيق الخل إنما يكون بتحقيق العبودية لله تعالى وحده.

قال الشيخ: من خصائص الإلهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين، فمن

(١) ...
(٢) انظر: ...
(٣) ...
(٤) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ...).

أعطى منه وإلى وجوده [illegible] الله [illegible] فيه في الناس [illegible](١).

ويحكى عن بعض العارفين، أنه قال: دخلت على الله من أبواب الطاعات [illegible] فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام فلم أتمكن من الدخول، حتى جئت باب الذل والافتقار، فإذا هو أقرب باب إليه وأوسعه، ولا مزاحم فيه ولا معوق، فما هو إلا أن وضعت قدمي في عتبته، فإذا هو سبحانه قد أخذني بيدي وأدخلني عليه(٢).

٢- [illegible] مع الراكعين:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال الطبري: [illegible] [illegible] وحده [illegible] [illegible] [illegible](٣).

وقال السعدي: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](٤).

[illegible] في الحديث الذي يرويه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله(٥).

[illegible] الله بر الوالدين بعبادته وحده لا شريك له، وجعله في الدرجة الثانية من أحب الأعمال إليه بعد الصلاة [illegible] على [illegible] الأمر.

ولا [illegible] إلى الإنسان أعظم وأجل من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible](٦).

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] الله بر الوالدين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] الرابع: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]

٢. الذلة مع المؤمنين.

وهو يعني التواضع [illegible] ولين [illegible] الذلال والانكسار على وجه [illegible].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]

قال الطبري: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [illegible] ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [illegible] (١).

وقال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل [illegible] (٢).

وقال سيد قطب: قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [illegible] للمؤمنين (٣).

[انظر: التواضع: التواضع مع الخلق]

(١) جامع البيان ١٠/ ٤٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٦.

(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٩١٩.

ثالثًا: الذلة المذمومة:

١. مع ما يعبد من دون الله.

[illegible]

● الهوى.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

[illegible] (١).

قال ابن القيم: [illegible] (٢).

● الأنداد من دون الله.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ [illegible]﴾ [البقرة: ١٦٥]

[illegible]

(١) جامع البيان للطبري ٢٢/ ٧٧.

(٢) روضة المحبين ص ٤٨٢.

فهم يريد أن الآلهة التي يعبدونها لا تملك شيئاً، بل هي مخلوقة ومع ذلك فهي لا تستطيع دفع ضر عن نفسها ولا جلب منفعة [illegible] ولا تملك إماتة ولا إحياء ولا بعثاً، والعجيب [illegible] لهذه الآلهة [illegible](1).

وقد ذكر الله تعالى هذه الآيات بعد قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

قال ابن جرير الطبري: [illegible] الأرض، [illegible] العبادة دون كل ما يعبدون من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس، [illegible] فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو [illegible](2).

٢ - مع الحكام المستبدين:

[illegible] فرعون [illegible]

فرعون [illegible] والطغاة [illegible] رسالة موسى عليه السلام، [illegible] في الآية الكريمة.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] فرعون [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] فرعون [illegible]

ويقول سيد قطب: [illegible] بني إسرائيل [illegible]

[illegible]

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

في الأعراض والقلوب(١).

٣- مع الشيطان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ (آل عمران: ١٥٥).

من أنواع الزلل هذا الذي يكون مع الشيطان، ففي الآية السابقة تمهيد للعهد من مشاهد غزوة أحد، حيث وقع بعض المسلمين في الشيطان بعد أن وسوس لهم معصية النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت مخالفتهم أوامره واقتحم خاصة الشيطان، استزلهم الله، أي: زلقهم بالزلل والهزيمة.

والمراد بالزلة هنا: ما حصل منهم من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وما ترتب عليها من هزيمتهم(٢).

قال الراغب: استزله إذا تحرى زلته، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: استجرهم الشيطان حتى زلوا، فإن الخطيئة الصغيرة إذا ترخص الإنسان فيها تصير مسهلة لسبيل الشيطان على نفسه، والزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد(٣).

تخلص مما سبق أن أنواع الزلل المحصورة هذا الذي يكون مع الخالق عز وجل، فهذا النوع من الزلل يترتب عليه أمور وآثار خطيرة في حياة الزال والمجتمع، لأنه من زلل من البعاصي الظاهرة والتقرب إلى الله، إنه زلل على الله من جهة الصيام، فربما قطع النوع وزلل على الله من جهة الصلاة، فربما قطعه تعالى، ثم تحلى عليه من جهة الزلل والافتقار إلى الله إلا الزلل، في المقابل، فإن من أخطر أنواع الزلل الذي يكون مع الشيطان، فهذا النوع من الزلل إذا لم يحذر منه الإنسان أدى به إلى الهلاك.

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٩١٧.

(٢) التفسير الوسيط للطنطاوي ٢/٣٠٤.

(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٢١٥.

الخطاب بالقتل

الخطاب بالقتل في الدنيا والآخرة من أنواع الخطاب التي أنزلت على المشركين والعصاة من المسلمين، فقد تعددت صور إذلال الله لهم في الدنيا والآخرة، منها ما سنتعرف عليه من خلال النقاط الآتية:

أولاً: الخطاب بالقتل في الدنيا:

تنوعت صور إذلال الله تعالى للعصاة في الدنيا، ومن تلك الصور:

١. ضنك الحياة والعيش:

قد يعاقب الله بعض عباده بضنك العيش في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

أي: فإن له في الدنيا معيشة ضيقة عليه بالهم والغم والأحزان وسوء الحالة، حتى وإن ملك المال الوفير، والمنصب الكبير، فإن المعيشة الطيبة لا تكون إلا بطاعة الله، والنظر إلى ما يحبه ويرضاه[١].

٢. الأسر والخوف والرعب:

ومن العقوبة التي أنزلها الله عز وجل بالرعب بالقتل والأسر، ومن العقوبة من أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧].

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ أي: المقاتلة، وهم جنود من جنود الله تعالى، ومثل الرعب الذي ألقاه الله عز وجل في قلوب الكافرين من القتل فرقهم وأخرجهم من حصونهم، ولم يجعل لهم الكرة عليهم، وذلك بالقتل على أيدي المؤمنين، قوله: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم المقاتلة الذين يحملون السلاح، وقوله: ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم النساء والذراري، وفي هذا ما لا يحملون السلاح، والمقاتل أرضهم وديارهم وأموالهم بعد زوال ملكهم وسلطانهم، وجمعهم الله تعالى بالذل بعد أن لم يكونوا يملكونه، إنما ذلك بالقهر، وهي خير[٢].

٣. الخسف:

وربما يكون الخسف من ذلك في الدنيا: الخسف.

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾

[١] انظر: تفسير السعدي، ٢/٢٦٢، التفسير الوسيط، طنطاوي ٩/٧٧٠.

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٤٧٧، تفسير الطبري ٢٩/٢٧٧٠.

﴿... وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١)

أي: أن الله تعالى [illegible]

ثانيًا: العذاب بالقتل في الآخرة:

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الإسراء: ٢٢)

ومن المواقف التي [illegible] بالكفار للقتل في الآخرة:

(١) انظر: تيسير التفسير، [illegible]

٦. حد قطع الرؤوس:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأنفال: ١٢-١٣)

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (محمد: ٤).

أي: [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

﴿...﴾ هذا تصوير لترهيبهم أي: [illegible]

[illegible] (٣).

٢. حنا الخروج من القبر.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [المعارج: ٤٢-٤٤].

أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون فيه بالعذاب، يوم يخرجون من القبور مسرعين، كما كانوا في الدنيا [illegible] (٤).

٣. [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [يس: ٥٢].

أي: [illegible] ... (١).

ومن ألوان العذاب والذلة لهؤلاء أنهم يحشرون عميًا.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [طه: ١٢٤].

أي: [illegible] ... (٢).

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [القمر: ٧-٨].

[illegible]

---

(٣) [illegible]
(٤) [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

الحسي، والحظر المعنوي بإزرقاق الإبانة والسواد(١).

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة(٢).

كما يحشرون أيضاً زرق العيون من شدة الخوف والهم الذي أصابهم من هول هذا الموقف.

قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

قال الإمام الطبري: معنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم حتى تتغير [illegible] العين من الزرقة(٣).

وقيل: وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها عند العرب لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق العيون(٤).

وفي الحديث التالي سيتضح لنا حشر الناس والعظمة التي تتصل بالمتكبرين [illegible]

المتكبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال(١).

وتلك أنما يدخلون النار تراهم ينظرون لها وهم خاشعون.

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

والمراد بالخشوع في هذه الآية: ما يظهر عليهم من أثر الذلة والخزي، وهو شامل لسائر البدن بما في أعينهم وأبصارهم كما قال تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ من الله وخوفه، وذلك من خوف ما يرونه من العذاب فهم يسارقون النظر إلى النار [illegible](٢).

٤ - عندما يدخلون جهنم.

[illegible]

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة، رقم (٢٤٩٢)، ٤/٦٥٥. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٨٠٤٠).

(٢) انظر: [illegible] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم (٦٥٢٣).

(٣) جامع البيان، الطبري، [illegible].

(٤) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، [illegible].

[illegible] في الذل.
قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (البقرة: [illegible]).

الذل: [illegible]

ومن الذل الذي يلحق [illegible]

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

قال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible] قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible]

ومن [illegible] قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]

بالمعاصي ترتيبه الإيمان وبتمام الإسلام (١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (الأحزاب: ٦٤).

قال الزمخشري: الوقوف: الكلب يسمى المعاصي، يسمى عليها، تصريفها في الجهات، كما ترى الهيئة تدور في القدر إذا غلت، فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة، أو تغيير حاد من أمر إلى أمر، أو ما من حالة إلى حالة في النار مقلبة منكوسة (٢).

أسباب الوقوع في النار

إن الوقوع في النار من أعظم المصائب التي يقع فيها كثير من الناس، ومنا الوقوع لا يكون منه إلا أن يسلك إنسانًا يقع من أسباب أكثرها نتعرف عليها من خلال النقاط الآتية:

أولًا: الشرك بالله تعالى والابتداع في الدين:

يقول الحق تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

يبين الحق عز وجل مصير المشرك به بقوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: ومن يشرك بالله تعالى وله عبد سواه أو يستعمل معه شريكًا في العبادة فقد سار في طريق التدمير والانهيار الذي ينتهي به إلى الهلاك ويفضي به إلى النار والهوان (٣).

وقد حذرت الشريعة الإسلامية جميع أنواع الشرك بالله تعالى، وحاربت البدع والمحدثات التي تخرج الناس عن العقيدة السليمة وأحكام الشرع، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (٤).

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني: ٢٨٤/٣.
(٢) الكشاف: ٢٧٤/٣.
(٣) انظر: تفسير الوسيط، طنطاوي: ٣١٢/٣.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح.

فالمرتبع [illegible] الذل في الدنيا والغضب من الله تعالى، والطرد من رحمة الله عز وجل في الحياة الآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

أي: إن الذين اتخذوا العجل [illegible] سينالهم غضب من ربهم [illegible] ولهم ذلة في الحياة الدنيا [illegible] في الحياة الآخرة[1].

وقد ذكر بعض المفسرين [illegible] بأهل البدع [illegible] الحسن البصري [illegible] على [illegible] يوم القيامة[2] [illegible] يوم القيامة[3] [illegible] وقال سفيان بن عيينة: [illegible][4].

[illegible] فالإنسان بالله تعالى [illegible] في التوحيد [illegible] عز وجل [illegible] الناس [illegible][5].

وقال تعالى: [illegible]

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

أي: [illegible]

[illegible]

---

(١) انظر: [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]

بآيات الله تعالى، وآياته التي يقيمها عليهم في الكتب [illegible] على ألسنة رسله، ولا [illegible] بصيرة الحق [illegible]، بل يحملون [illegible] الناس [illegible] رسل الله عز وجل [1].

وكما أن الشرك بالله يردي بصاحبه في النار [illegible]، كذلك الإعجاب في الدين. يقول الإمام الشافعي: [illegible] الله [illegible] الكبر [illegible] بسبب [illegible] الرأي [illegible] فهو [illegible] أيضًا [illegible] في غالب الأحوال [illegible] المبتدعة [illegible] حتى [illegible] ومن لم يقدر على ذلك [illegible] ويحرم بها من مخالطة الجمهور، وصلى بالصالحين [2].

ثانيًا: التكبر عن طاعة الله تعالى:

ورد الكبر في القرآن في أكثر من موضع [illegible] آيات [illegible] التكبر [illegible] ودع [illegible] سبيل [illegible] الأمم [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (النحل: ٢٣).

فهذا وعيد من الله عز وجل لكل متكبر.

إنه لا يحب المستكبرين، وقد يراد به المستكبرون عن التوحيد ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه [3].

قال ابن القيم: فبين [illegible] والكبر [illegible] التي [illegible] في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به [illegible] [illegible] بالله [illegible] في ربوبيته وألوهيته [illegible] غاية [illegible] وهذه غاية [illegible] [4].

والكبر يعتبر من أول الذنوب التي عصي الله تعالى بها، [illegible] امتناع إبليس من السجود لآدم: ﴿[illegible] إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤).

قال الإمام الطبري: [illegible] الله [illegible] إبليس [illegible] من خلق الله [illegible] الخضوع لأمر الله، [illegible] ولا [illegible] والتسليم [illegible] [5].

[illegible] من الجهل وأسوأ من أهل المعاصي من الهوان على الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

(1) انظر: [illegible] (٢/٢٣١).
(2) [illegible] الشاطبي (٢/ ٢٣١).
(3) انظر: الكشاف [illegible] (٢/ ٤٠٧).
(4) [illegible] ابن القيم (ص ٣٧).
(5) جامع البيان [illegible] (١/ ٥١١).

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف ١٣).

بين الله عز وجل أن الإذلال والخزي هو مصير كل من يتكبر على أوامر الله تعالى، فحكم المستكبر إبليس بهذه الصورة كان مصيره الطرد من الجنة التي هي مكان المطيعين المتواضعين من المخلوقات لأنها لا تقبل عاصياً متكبراً، فدلت هذه الآية على أن التكبر على الله يوجب الطرد [illegible] وهذه العقوبة بعكس ما يريده المتكبر، يريد [illegible] الرفعة والشرف والعظمة والتميز، فعاقبه الله تعالى بالإذلال والصغار، لأنه لما أظهر الاستكبار ألبسه الله عز وجل ثوب الصغار[2].

ثالثاً: استمراء المعاصي والإصرار عليها:

إن استمراء المعاصي والتمادي في الباطل يورث في القلوب [illegible] لأن المعاصي تتأكد في القلب [illegible] سوداء فإذا استمر الشخص عليها [illegible] الغفلة [illegible]. قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف [illegible]).

وقال ابن المبارك[3]:

رأيت الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانها

وبما حل في بني إسرائيل من ضروب الذلة والمسكنة واستحقاق الغضب الإلهي كان بسبب ما استمرأه قومهم من اقتراف المعاصي والإصرار عليها.

قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة ٦١).

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران ١١٢).

رابعاً: مخالفة الله ورسوله:

إن من أسباب الوقوع في الذل مخالفة الله ورسوله، ومخالفة أوامره ونواهيه، فالكفار المعاندون الذين يحاربون الحق ويحاربون الإسلام هم من أذل خلق الله تعالى، ولا

---

(1) [illegible]

(2) انظر زهرة التفاسير، أبو زهرة [illegible].

(3) انظر: الداء والدواء، ابن القيم، ص [illegible].

ويوم أنه أكل مهين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

أي: أن الكفار المعاندين لأوامر الله عز وجل ونواهيه، المحادين لله ورسوله، ويتجاوزون الحدود في حده وشرائع الله ورسوله في حد أكبر الأصل المحادة، مخالفة حدود الله تعالى التي حدها لخلقه[1].

﴿أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: من جملة من أذله الله من الأمم السابقين، فهم أقل خلق الله تعالى، ويلحقهم في الدنيا بالقتل أو الأسر أو الطرد من الأوطان، وفي الآخرة بالخزي والعذاب، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

فهؤلاء الذين يحادون الله ورسوله ما كانوا ليصبروا على مثل ذلك، إلا لكثرة أعوانهم وأصحابهم، فبيَّن من يراهم أنهم الأذلون الذين لا يريد على الأرض من هو أذل منهم.

لذا تجيء المثل عن ربيع يقول: ﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: الذين يحرقون أنهم أذل الخلق، يحيط بوصف كل منهم بأنه الأذل، حقًّا من في مقابل عليه، وذلك في الدنيا

والآخرة بالعبوس حتى القبل[2].

وجاء المعنى الذي الصفة في الآية: أن المراد من كونوا الذين يحادون الله ورسوله من أذل خلق الله عز وجل في الأولين والآخرين، بينه الله عز وجل في غير موضع في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥].

يخبر سبحانه عن المحادين لله ورسوله، الخارجين عن حدوده وشرائعه، بأنهم ﴿كُبِتُوا﴾ أي: أخزوا وذلوا وأهينوا وخذلوا، وقيل: صرعوا وكبوا على وجوههم[3]، وكالذي حل بالخلق وفرح الله والخزي لهم عن سبحانه من المسلطين بقطع المعاصي[4].

فالذل والصغار واقع بهم، كما كان للذين من قبلهم من كفار الأمم الماضية؛ بسبب ما وقع منهم من محادة ومخالفة لشرع الله عز وجل.

خامسًا: ترك الجهاد:

من أهم أسباب الوقوع في الذلة والهوان: ترك الجهاد في سبيل الله، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول

(1) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٨/ ١٨).
(2) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ...)، وفتح القدير، للشوكاني (٥/ ٢٢٠).
(3) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٩/ ٣٣).
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٣٦)، ونظم الدرر، للبقاعي (١٩/ ٣٥٥).
(5) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٢٢٢).

الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»(1).

وبسبب هذا الذل أنهم تركوا الجهاد في سبيل الله الذي هو عز الإسلام وإظهاره على كل دين، وأخلدوا إلى الأرض [illegible] فسلط عليهم العدو [illegible] كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى [illegible].

إن الذلة ضريبة كما أن الكرامة ضريبة، وضريبة الذل أفدح في كثير من الأحيان [illegible] ولكن بعض النفوس الضعيفة يخيل إليهم أن الكرامة ضريبة باهظة لا يطيقونها، فيختارون الذل والمهانة هرباً من تكاليف الكرامة [illegible].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ [الأعراف: 152]

[illegible]

تكاليف الكرامة ضريبة الذل والمهانة(2).

ففي الجهاد العز والسيادة، وفي تركه والتخلف عنه الهلاك والذل والشقاوة في الدنيا والآخرة(3).

والناظر إلى أحوال المسلمين اليوم يرى أنهم قد تركوا [illegible] الجهاد في سبيل الله [illegible] الذل في أعناقهم [illegible] حتى يرجعوا إلى دينهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: 167]

سادساً: اتباع الهوى:

قال ابن القيم رحمه الله: [illegible]

(1) [illegible]

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(3) انظر: الأساس، سعيد حوى [illegible].

كانت نهايته الشر والانحراف والغي والبعد عن الله عز وجل، وعن الناس(1).

[illegible]

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [illegible]

[illegible]

وقد ورد ذم الهوى في آيات عديدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ (الجاثية: 23).

[illegible]

قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: 50)

[illegible]

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: 28)

[illegible]

---

(1) روضة المحبين، ابن القيم [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

(2) جامع البيان، الطبري [illegible]

[illegible]

أسباب رفع الذل

بعدما تعرفنا في المبحث السابق أن الواقع في الذل لا يكون صدفة، إنما من خلال أسباب يفعلها الإنسان توقعه في الذل، كان لا بد أن نتعرف على الأسباب التي ترفع الذل عنه.

ومن هذه الأسباب:

١. الإيمان بالله والمداومة على العمل الصالح.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [يونس: ٢٦].

والمقصود بقوله: ﴿[illegible]﴾ الإخبار عن المؤمنين [illegible] من كل ما يكدر [illegible] أي: ولا يغشى وجوههم يوم القيامة شيء مما يغشى وجوه الكفار من [illegible] والصغار[1].

قال ابن كثير: ﴿[illegible]﴾ أي: قتام وسواد في عرصات المحشر، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القترة والغبرة. ﴿[illegible]﴾ أي: هوان وصغار، أي: لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في الظاهر، بل هم كما قال تعالى في حقهم: [illegible]

(١) انظر: [illegible] [illegible]

﴿[illegible]﴾ ([illegible])

٢- الاعتزاز بالله، والتمسك بدينه، والعمل شريعته.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله[1].

وقال الحسن بن علي رضي الله عنه: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: [illegible] [2].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (آل عمران: ١٠٣).

قال الطبري: [illegible] فلمّا جاء النبي من العرب، [illegible] [3] على رأس

حصن بن الأحنف قربى والربيع، ولا والله ما أبالي [illegible] عليه من عاقل [illegible] في الناس وأولادكم ولا [illegible] [illegible] نسمعكم ولا [illegible] فيها أمركم [illegible] حتى جاء الله عز وجل بالإسلام، [illegible] الكتاب، [illegible] بعد الرضوان [illegible] على [illegible] الحق، ونالوا ما [illegible] [illegible] الشاكرين، وزاد أهل الشكر في مزيد من الله [illegible][4].

٣- الدعاء بارتفاع الذلة وحصول العز.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أُظلم»[5].

قال الطيبي: [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، [illegible].
(٢) أخرجه [illegible] في [illegible] ([illegible])، رقم [illegible].
وقال [illegible]: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في القنوت في الوتر، رقم [illegible]، وصححه الألباني في [illegible]، رقم [illegible].
(٤) [illegible]

(١) [illegible]
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، [illegible].
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، [illegible]، رقم [illegible]، وصححه الألباني في صحيح الجامع، [illegible] رقم [illegible].

على وجه المشاكلة، والمراد بها [illegible] [1].

4. موالاة الله ورسوله وصالح المؤمنين.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي: يقول [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

بعد ذلك في الأدب [illegible]

[illegible] [2].

[illegible]

الترغيب والترهيب [illegible]

5. طاعة الله ورسوله.

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] الأدب النبوي، [illegible]

الذم

عناصر الموضوع

مفهوم الذم	١٨٠
الذم في الاستعمال القرآني	١٨١
الألفاظ ذات الصلة	١٨٢
أسباب الذم	١٨٥
نماذج مذمومة في القرآن الكريم	٢٠٦
ذم في غير موضعه	٢٢٢
مقاصد الذم في القرآن	٢٢٥

مفهوم الذم

أولاً: المعنى اللغوي:

أصل مادته (ذم) تدل على خلاف الحمد(1).

يقال: ذممته أذمه ذماً خلاف مدحته، فهو ذميم ومذموم؛ أي: غير محمود(2).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

خلاف المدح وهو الإخطاء واللوم والوصف بالمعايب التي في المرء(3).

فالمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي.

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (2/345).
(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور (12/220)، والمصباح المنير، الفيومي (1/210).
(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ([illegible])، معجم لغة الفقهاء، محمد رواس ص 215.

الذم في الاستعمال القرآني

وردت مادة (ذ م م) في القرآن الكريم (٢) مرات، والتي يختص موضوع البحث بها مرتان[1]، والصيغ التي وردت في:

الصيغة	عدد المرات	المثال
اسم المفعول	٢	﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ (الإسراء:٢٢)

وجاء الذم في الاستعمال القرآني بمعناه اللغوي أي ما هو خلاف المدح.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٧٥.

الألفاظ ذات الصلة

الشتم

الشتم لغة:

السب والاسم الشتيمة، والشتم: الكلام القبيح وليس فيه قذف[1].

الشتم اصطلاحا:

وصف الغير بما فيه نقص وإزراء[2].

الصلة بين الذم والشتم:

والصلة بين الذم والشتم: أن كلا منهما يحمل الانتقاص والاستخفاف.

السب

السب لغة:

[illegible]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨][3].

السب اصطلاحا:

الشتم الوجيع، والسَّبَّة: ما يسب به وكني بها عن الدبر، وتسميته بالسوءة[4].

الصلة بين الذم والسب:

والصلة بين الذم والسب: أن كلا منهما يقصد به الانتقاص والاستخفاف.

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور [illegible]، الصحاح للجوهري [illegible].
(2) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٠٨.
(3) انظر: لسان العرب لابن منظور [illegible].
(4) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ١٩٢.

المدح

المدح لغة:

نقيض الهجاء وهو حسن الثناء على الشيء لما فيه من الصفات سواء أكانت تلك الصفات خلقية أم اختيارية وهو أعم من الحمد(1).

المدح اصطلاحا:

الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا(2).

الصلة بين الثناء والمدح:

الصلة بين الثناء والمدح صلة عموم فكل واحد منهما ضد الآخر.

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور 2/589، المصباح المنير للفيومي 2/566، الكليات للكفوي ص 832.

(2) انظر: التعريفات للجرجاني ص 206.

أسباب الظلم

من أسباب الظلم في القرآن الكريم: الأعمال السيئة والصفات الخلقية القبيحة والعقائد الباطلة، وسوء الخاتمة، ويمكن ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً: الأعمال السيئة:

ذم القرآن الكريم الأعمال السيئة من عبادة غير الله وتطفيف الميزان والصد عن [illegible] وبيان ذلك كما يأتي:

١. عبادة غير الله.

من أسباب الظلم التي ذكرها القرآن الكريم: عبادة غير الله تعالى من الأصنام والطواغيت.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

[illegible] فأي ظلم [illegible] من [illegible] الطائف [illegible] المسجد الحرام [illegible]

[illegible]

ثم بين سبحانه [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] المؤمنين عن الطواف بالمسجد الحرام [illegible]

[illegible]

---

(١) انظر: [illegible]
(٢) انظر: [illegible]
(٣) انظر: [illegible]

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ أي ليسوا أولياء الله ولا أولياء البيت الحرام، إنما أولياؤه المتقون [illegible] المسلمون [illegible] ولكن أكثرهم لا يعلمون. [illegible]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [illegible] المكاء الصفير، والتصدية: التصفيق [illegible] الآخرى [illegible].

قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت عراة تصفر وتصفق [illegible] الرجال والنساء [illegible] يصفرون [illegible].

[illegible] قول ابن عباس [illegible] المكاء والتصدية [illegible] الله سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة [illegible] ليس من جنس الصلاة [illegible] المكاء والتصدية صلاة [illegible].

[illegible] ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [illegible]

[illegible] ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [illegible] ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [illegible] المسلمين عن المسجد الحرام [illegible] ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ [illegible] ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [illegible] المشركين الذين سلبت منهم ولايته ليسوا من المتقين [illegible].

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]

قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ على طلب وقع [illegible] الأمر [illegible] التطفيف [illegible] من المطالب التي [illegible] بأمر ربهم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [illegible] [illegible] بالسلف وغير ما [illegible] ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لأن المطالب [illegible] الأجل [illegible] والاستغلال [illegible] الكيل والوزن[1].

٢- التطفيف في الميزان:

من أسباب [illegible] في القرآن الكريم: التطفيف بالمراد في الكيل والوزن [illegible] تعالى: ﴿[illegible]﴾ [المطففين: ١-٣].

[illegible] التطفيف بالنقص في الكيل والوزن [illegible] من [illegible] التي لا يكاد [illegible][2].

وقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قيل: الويل [illegible] الهلاك [illegible] جهنم[3].

والتطفيف المعنى والحسي في الكيل

والوزن [illegible] في كل [illegible] أو وزن[4].

[illegible] التطفيف [illegible] والاجتماع والوزن [illegible] [illegible][5].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [illegible] من الناس [illegible] القرآن [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] في [illegible] الاستيفاء [illegible][6] [illegible] المطالب [illegible][7].

وجملة ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ﴾ [illegible] التطفيف [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].
(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي [illegible].
(٣) انظر: تفسير [illegible].
(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي [illegible].
(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].
(٦) انظر: روح المعاني، الألوسي [illegible].
(٧) انظر: محاسن التأويل، القاسمي [illegible].

بمجموع حسن الصنائع[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [illegible]

[illegible]

قال الآلوسي: [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [illegible]

[illegible]

وقال سبحانه: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [illegible]

[illegible]

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [illegible]

[illegible]

يطغى غير مطففين فإن من يظن ذلك ... [illegible] لا يكاد يتجاسر على أمثال هذه القبائح، فكيف بمن يتيقنه، ووصف اليوم بالعظيم لعظم ما يكون فيه ... [illegible] أي: لحساب رب العالمين ... [illegible]

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ أي: [illegible] رب العالمين من ... [illegible] البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف ... [illegible] التطفيف من حيث هو تطفيف ... [illegible] الميزان ... [illegible] السماوات والأرض، فهم الحكم التطفيف على الوجه الرفيع من أوزان العالمين ... [illegible]

قال القرطبي: ... [illegible] هذا الإنكار والتعجيب، وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين، بيان بليغ لعظيم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف ... [illegible] بالقسط والعمل على السوية[3].

وفي الآيات بيان تحريم التطفيف في الكيل والميزان، ... [illegible] من يفعل ذلك بأنه ... [illegible] لحساب لا تساهل ... [illegible] أو تحويره ... [illegible] التطفيف في الكيل والوزن ... [illegible] ... [illegible] من ... [illegible] تعالى، أجارنا الله من النقص الساهي والتحري ... [illegible]

ولقد جاء الأمر بإيفاء الكيل والميزان والنهي عن تطفيفهما في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

وقوله سبحانه: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

وقوله جل وعلا: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

٣- التطفيف من الجهات.

من أسباب الظلم التي ذكرها القرآن

(١) انظر: ... [illegible]
(٢) انظر: التفسير السابق.
(٣) انظر: التفسير السابق.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ... [illegible]

الكريم: التخلف عن الجهاد.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ۝ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨٦-٨٧).

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله في الجهاد [illegible]

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾ [illegible] ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [illegible]

[illegible]

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١- سوء الأدب [illegible]

[illegible]

المهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، بسبب الشدة التي يلاقونها من[1].

ثم ذكر الله سببا يمنع هذا الاقتتال أمرين: الأول: ﴿ [illegible] ﴾ أي: وقد كفروا بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله عليكم؛ فكيف يكون بعد هذا المسلمين إليهم [illegible] وسرورهم إليهم بما يخلصهم ويضر بالمسلمين ويجعل نصر عدوكم. والثاني: ﴿ [illegible] ﴾ أي: يخرجون الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ولم يكن لهم جرم إلا هو سوى ذلك[2].

وفي التعبير عن إخراج المشركين للنبي والمؤمنين بالفعل المضارع الذي يفيد تجدد الزمن حالا بعد حال إشارة إلى أن المشركين ما زالوا على موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وأنه لو عاد النبي والمؤمنون إلى ديارهم بمكة لأخرجهم المشركون منها، بما لا يطيقونه به من الأذى، كما أن المشركين لو نزلوا هذا موقفهم من المؤمنين الذين كانوا في مكة ولم يتح لهم فرصة الهجرة بسبب أو لآخر[3].

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ أي: إذا كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي، باغين مرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم حنقا عليكم وسخطا لدينكم.

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾، هو استفهام إنكاري أي: أيعد هذا الذي علمتم أم تعلمون من أمر الأخرى أيعد هذا تسرون إليهم بالمودة؟ أي: تخافونهم السوء في سائر وغاب ﴿ [illegible] ﴾ فإنه لا يخفى على الله خافية في الأرض ولا في السماء[4].

ثم توعد الله من يفعل ذلك وشدد النكير عليه وذكر بأنه أعظم الإجرام لمقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ أي: ومن يفعل هذا الموالاة ويبلغ أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لأعدائه فقد جار عن قصد الطريق التي توصل إلى الجنة ورضوان الله تعالى[5].

ثالثا: المواقف الممنوعة هي التي يكون فيها إشفاق الكفار [illegible] أو إفشاء أسرار المسلمين أو إشاعة الأكاذيب [illegible] وغير ذلك من ضروب المعاملات الشرعية [illegible]

[1] انظر: فتح الرحمن بالكتف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، (1/ 277).
[2] انظر: تفسير المراغي (28/ [illegible]).
[3] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس، ([illegible]).
[4] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم يونس، ([illegible]).
[5] انظر: تفسير المراغي (28/ [illegible]).

تعمل في تلك القلوب، لأنها ليست سالمة لهم كأهل الإسلام والمسلمين"(١).

ثالثاً: الصفات الخلقية المذمومة في القرآن:

ذم القرآن الكريم الصفات الخلقية الذميمة كالظلم والاعتداء والإثم والخيانة والكذب والحقد والغرور والاستكبار وبيان ذلك فيما يأتي:

١- الظلم:

من الأخلاق التي [illegible] الله تعالى [illegible] الظلم.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأنعام ٢١).

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه، والظلم يقال في مجاوزة الحد الذي يجري مجرى النقطة في الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولذلك يستعمل في الذنب الصغير والكبير(٢).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً بأن جعل له شريكاً أو ولداً، أو كذب بآياته المنزلة [illegible]

[illegible] أو آياته الكونية الدالة على وحدانيته [illegible]

[illegible] (٣).

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

[illegible] (٤).

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾

(١) انظر: التفسير الوسيط للطنطاوي [illegible].
(٢) انظر: [illegible].
(٣) انظر: [illegible].
(٤) انظر: [illegible].
(٥) انظر: [illegible].

الإعراب (١).

وقال في حاشية القاموس: ﴿...﴾

ثم اتقلل بسبب المطالبة، وفي ذلك إشارة إلى أن الظلم زال في ... (١).

٢. الاعتداء.

من الأخلاق الذميمة التي ذمها الله تعالى لهم الاعتداء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

يذم الله تعالى بني إسرائيل بأنهم أهل عصيان، والاعتداء، والتعدي، والعدوان، الخروج عما حد ورسم (٢).

وكذلك الخوف ... سبب لأن ضربت عليهم الذلة والمسكنة ... يرجعوا بغضب من الله وكذلك على عصيه النبي ... وحق ...

الطرح، ويطر البطر، والبغي على النعم وعلى قومهم ...

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ قالوا: يا موسى لا يمكننا أن نصبر على طعام واحد هو المن والسلوى، لأنهم سئموا من المن والسلوى وملوه ... لأن المواظبة على الطعام الواحد سبب لنقصان الشهوة، وربما تاقوا على طعام واحد ربما ... لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال: لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا، ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف، أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف، وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك.

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا﴾ ... الفوم: الخبز، وقيل: هو الحنطة، وقيل: هو الثوم. ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ ... الأنواع ... وكان غرضهم الرجوع إلى بلادهم ... الأطعمة (٣).

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١/...).
(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/٢١٤).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

وقوله تعالى: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ أي: [illegible] ﴿بالذي هو خير﴾ يعني: [illegible] ﴿اهبطوا مصرا﴾ [illegible] ﴿فإن لكم ما سألتم﴾ يعني: من نبات الأرض[1].

وقوله تعالى: ﴿وضربت عليهم الذلة﴾ أي: [illegible] ﴿والمسكنة﴾ أي: الفقر [illegible] ﴿وباءوا بغضب من الله﴾ [illegible]

[illegible]

ومن سبحانه عن عصيانهم [illegible]

[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

يأمرنا به من الأحكام، ولأنهم تعدوا تلك الحدود التي حدها الله لهم في الشرائع الإلهية، ولما كانت تلك الأحكام والحدود هي الوسيلة لإخراجهم من الذل وتمكين العز والسلطة لهم في الأرض الموعودة لأنها كانت [illegible] بمقاصد الحقيقة [illegible] صاحب [illegible] أصابوا [illegible] بأيديهم وأرجلهم [illegible] إلا ما [illegible] ولم يكن يصلحهم إلا [illegible] يبعد عنهم [illegible] المنطق[1].

٢. الإثم:

من الأخلاق الموجبة للعن الله تعالى لهم: الإثم.

قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٢-٦٣].

ذم الله تعالى في الآيات اليهود بأنهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكل السحت ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ أي: وترى -أيها الرسول الكريم أو أيها السامع- كثيرًا من هؤلاء اليهود يسارعون في ارتكاب الآثام وفي التعدي والظلم وأكل المال الحرام بدون تردد أو ارتياب، والتعبير بقوله: ﴿يُسَارِعُونَ﴾ يفيد أن ارتكابهم لهذه المنكرات لم يكن خطأ أو عن سهو، وإنما هم يرتكبونها مجاهرة وعلانية؛ لأن [illegible] السرعة [illegible] والمسارعة في الشيء: المباشرة إليه بسرعة وخفة ونشاط، وأكثر استعمالها في الخير، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وقد استعملت هنا في مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت للإشارة إلى أنهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات، وكأنهم محقون فيها، والتعبير بحرف في يؤذن بأنهم مستقرون في الآثام، وأنهم ينتقلون فيها من حال إلى حال أخرى [illegible] بعيد عن [illegible] في طريق الحق والعدل والفضيلة [illegible] غير مكترثين [illegible] منهم[1].

[illegible] هذه الجملة [illegible] إلى الكثيرين منهم [illegible] جميعهم من [illegible] [illegible] الحق في [illegible] الكتاب [illegible] فهو لا [illegible] على الأمة [illegible] [illegible] إلى [illegible][2].

(١) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (٤/ ٢١٦).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٦/ ٣٦٤).

(١) تفسير المنار (٦/ ٢٦٦).

ولم يكتف بصيغة الإخبار أنهم يسارعون فأكد ذلك حتى أخبر أنهم يسارعون فيه وهذا يدل على حرصهم وحرصهم وأن القسم منهم حريصة على حب المعاصي والظلم[1].

والإثم: هو كل قول أو عمل لا يرضاه الله تعالى، والعدوان: مجاوزة الحد في الظلم والتعدي، والسحت: هو المال الحرام كالرشوة والربا ونحوها.

ثم قال في ذم هذه الأعمال فقال تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: والله ما أقبح هذا العمل الذي يعملونه هؤلاء من مسارعتهم في كل ما يفسد الأخلاق ويفسد النفوس، يعرض على المجتمع سبيل اللائمة التي يجب فيها أمثال هؤلاء[2].

وبعد الجملة في حكم من الله تعالى عليهم بأن المخاطب وقد جمع سبحانه في حكمه بين صيغة المخاطب ﴿الْإِثْمِ﴾ وصيغة المضارع ﴿يَعْمَلُونَ﴾ للإشارة إلى أن هذا العمل القبيح كان منهم في الماضي، وأنهم قد استمروا عليه في حاضرهم ومستقبلهم بدون توبة أو ندم. وقد أكد سبحانه هذا الحكم بالقسم، وبالكلام المرتبط بالتسبب بكلمة (بئس) الدالة على شدة الذم، أي أقسم لبئس العمل الذي كان هؤلاء يعملونه من مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت[3].

قال سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٢) فرالمسارعة ملاحظة تصور القوم كأنما يتسابقون تسابقاً في الإثم والعدوان وأكل الحرام، وهي صورة ترسم للتبشيع والتقبيح، ولكنها تصور حالة من حالات النفوس والجماعات حين يستشري فيها الفساد وتسقط القيم ويسيطر الشر... ولذا الإنسان لينظر إلى المجتمعات التي انتهت إلى مثل هذه الحالة، فيرى كأنما كل من فيها يتسابقون إلى الشر، إلى الإثم والعدوان، فرجالهم ونساؤهم سواء الأقلام والمنابر... في المجتمعات الهابطة الفاسدة... لا يقتصرا على الأفراد، بل والقيادة كذلك الفاسد، فهي هؤلاء يسارعون في نار الإثم، ومن هؤلاء يسلكون الاحتشام، وهم لا يملكون الاحتفاظ على الأقلية، فلك ولكن يمضي بعضهم على بعض، ويحضرون على حرمات الله لأنها هي التي تكون في المجتمعات الفاسدة المنحلة التي لا حارس له من حاكم ولا محكوم، فالإثم والعدوان طابع المجتمع، حين يفسد والمسارعة فيهما عمل هذه المجتمعات، ولذلك لا يجتمع فيه في تلك الأيام...

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٣٧.
[2] انظر: تفسير المراغي ٦/ ١٥٠.
[3] انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٤/ ٢١١.

[illegible]

[illegible]

٤- الخيانة:

من الأخلاق السيئة التي نهى الله تعالى عنها الخيانة.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٧]

[illegible]

[illegible]

ومن [illegible] في الظاهر، ولكنهم في الحقيقة [illegible] والشهادة[1].

وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والإثم[2].

قال سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ولا أن يمحى [illegible][3].

٥- الكذب.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible] في ظلال القرآن [illegible]

الصفات القبيحة التي على رأسها [illegible] الكذب، وإصرارهم عليه. والكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه [illegible] [illegible]. والكذب: الخبر المخالف لما هو حاصل في نفس الأمر من غير نظر إلى كون الخبر موافقاً لاعتقاد المخبر أو هو على خلاف [illegible] [illegible] [illegible] الخبر المخالف للواقع والمخالفة لاعتقاد المخبر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكذب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](١).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

من غضب الله عليهم، لا من رضي الله عنهم(١).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إليها(٢).

وقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](٣).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

(١) انظر: [illegible] [illegible] [illegible].

(١) انظر: [illegible] [illegible] [illegible].
(٢) انظر: [illegible] [illegible] [illegible].
(٣) انظر: [illegible] [illegible] [illegible].

مثلنا لا يخالطه شك أو ريب(١).

وجملة: ﴿[illegible]﴾ عطف على ﴿[illegible]﴾ [illegible] على العقد ولا استحضار الحالة [illegible] في حين مفهوم على الكتاب المنصل بما قبله [illegible] الأخبار التي [illegible] من القسم في ما [illegible] في جانب المسلمين(٢).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] المسلمين واطلاع [illegible] على [illegible] بتصحيح لهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] أي: لا [illegible] عند الله، وأيضر [illegible] وبغضب ممن افترى عليه الكذب [illegible] سبحانه ما هو بريء منه [illegible] ومتى [illegible] أظلم الظالمين من يحرص على ركوب هذا المركب [illegible] على الله بغير الأسانيد عليه.

وأظلم الظالمين من يرى أنداد الله

ويستبدل [illegible] إليه أو يكذب بما يجيء [illegible] [illegible] ولو(٤).

والاستفهام إنكاري، والظلم هنا بمعنى الاعتداء، وإنما كان أحد الأمرين أشد الظلم؛ لأنه اعتداء على الخالق بالكذب عليه وبالكذب [illegible](١).

وإنما كانا أشد الظالمين ظلمًا؛ لأن الظلم الاعتداء على أحد بمنعه من حقه وأكد من المنع أن يمنعه مستحقه ويعطيه من لا يستحقه [illegible] في الظلم، وقوله [illegible] بالمال البواقة في قوله كلما لزمانا قطع الافتراء؛ لأن اسم [illegible] في عرف الناس، وإنما اعتبر الافتراء للدلالة على أنهم يتعمدون الاختلاق تعمدًا لا تخالطه شبهة. وقوله [illegible] بالحق بعوله لما جاء [illegible] في المكذبين [illegible] الحق [illegible] [illegible] أن يطلبوا الحق [illegible] ينظروا في [illegible] بين أيديهم [illegible] في الدلالة [illegible] بغلاف ضد سبيل الحق: أي: ضد [illegible] الأسفهيم [illegible](٢).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم [illegible].
(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/ ٢٤١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/ ٢٤٢).

(١) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (١١/ ٢٨).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٨٥).
(٣) انظر: المصدر السابق.
(٤) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (١١/ ٤٢).

[illegible]

٦. العناد.

[illegible]

الإجرام والإصرار على الذنوب بيان كافيًا يعظهم ويثبت صدق دعوته وصحة رسالته[1].

ولم يبين سبحانه العذاب بسبعها الطوفان وهو ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل، فهو اسم جنس من الطوفان.

وقيل: إنه في الأصل مصدر، وهو اسم لكل شيء حادث يحيط بالجهات، وسمّوا كالماء الكثير، والقتل الذريع، والموت الجارف، وقد اشتهر في طوفان الماء.

وقيل: الموت، وقيل: هو الطاعون.

ثم أرسل عليهم الجراد وهو جند من جنود الله تعالى يسلطه على من يشاء من عباده، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوف بيوتهم، ولم يدخل دور بني إسرائيل.

ففزعوا إلى موسى وقالوا: كشفنا ما نحن بسبيله وأعطوه العهود والمواثيق أن لا كشف عنهم هذا الضر يؤمنوا به ويرسلوا معه بني إسرائيل، فدعا ربه فكشفه بعد أن دام سبعة أيام، ولكن أن يقضي على البقية الباقية من مزارعهم.

فلما كشف عنهم، قالوا: بقي لنا ما يكفينا، فما نحن بتاركي ديننا من أجلك، ونكثوا عهودهم، فلما عليهم فأرسل الله عليهم آية أخرى يقال: ﴿ٱلْقُمَّلَ﴾.

فلما طعامهم وثيابهم وأبدانهم وفرحوا ...

وأكل متاعهم، وجعلتهم وأمتعتهم وجراحهم، ولم يصب بني إسرائيل التي منه تحاشاه عليهم البلاء، أكثر من ذي قبل، ففزعوا إلى موسى واستغاثوا به ووثقوا إليه العهود وعطوه أنه لا يماطل بأنه إذا كشف عنهم هذه الشدة يؤمنون ولا يعودون إلى الكفر ويرسلون معه بني إسرائيل، وذلك بعد أن دام عليهم سبعة أيام أيضًا، فرفع الهم موسى بدعوتهم وبها ربه، فكشف عنهم، فلم يؤمن منه واحد، فقالوا: ما كنا نرى أنه ساحر مثل اليوم.

كيف نعيب ما كنا نراه يكشفنا واحدًا، وتكثروا عهدهم، ورفضوا أيمانهم، فعدا عليهم فأرسل الله كما يقال: ﴿ٱلضَّفَادِعَ﴾.

وهكذا توالت الآيات حتى بلغت خمسًا، وكلما انكشف عنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال، وسمى الله تعالى هذا العذاب الذي أرسله على بني إسرائيل آيات؛ لأنها دلائل على صدق موسى، لاقترانها بالتحدي، ولأنها دلائل على غضب الله عليهم، لتظاهرها عليهم حين صمموا على الكفر والعناد، و﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ وصف الآيات.

ويكون مرادًا منه معنى التفصيل المجازي، وهو إزالة اللبس؛ لأن ذلك هو الأنسب بالآيات والدلائل، أي: هي آيات لا شبهة في كونها كذلك لمن نظر نظر اعتبار.

وقيل: المراد أنها متصول بعضها من بعض في الرسالات أي: لم تحدث كلها في وقت واحد، بل بعضها بعد بعض.

وعلى هذا فصيغة التفعيل للدلالة على تراخي النعم بين الواحدة والأخرى.

[illegible] على هذا أن المقام كان [illegible] كما دل عليه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: ١٠١].

وعلى هذا الوجه فالأنسب أن يجعل ﴿مُفَصَّلَاتٍ﴾ حالًا ثانية [illegible] وأن لا يجعل صفة الآيات، أي: أمر الله تعالى أنه هذه الآيات لم تنفع فيهم [illegible] من الحق.

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ للتفريع والترتيب أي: تفرع على إرسال الطوفان وما بعده استكبارهم، كما تفرع على [illegible] بالسنين [illegible]

[illegible]

وبذلك [illegible] من التصديق بتلك الآيات المفصلات.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] معطوفة على جملة ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ [illegible] عن الاعتراف بدلالة تلك الآيات [illegible] الإجرام [illegible] من قبل [illegible] الاستكبار [illegible] الإجرام [illegible] وهو وصف الإجرام.

وجاء الآيات التي أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه كانت متصلة بالترع [illegible] وهم [illegible] الصغير[1].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [الشعراء: ...].

قال القرطبي: عرفهم الله تعالى بذلك [illegible][2].

[1] [illegible]
[2] [illegible]
[3] الجامع لأحكام القرآن [illegible]

٧. التزيين.

من الأخلاق [illegible] التي ذم الله تعالى لها التزيين.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤].

يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب الذين [illegible] [illegible] إلى حكم الكتاب [illegible] [illegible] ما ليس عندهم [illegible] إلا أن [illegible] إلى كتاب الله [illegible].[1]

ثم ذكر السبب [illegible] من أهل الكتاب [illegible] فقال: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

والغرور: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].[2]

وذم الله تعالى الغرور في [illegible] [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ويذم الله تعالى الغرور، كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾، أي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].[3]

وقد رد الله عليهم [illegible] [illegible] فقال: ﴿[illegible]﴾ أي لا [illegible] [illegible].[4]

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible].

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المفردات [illegible] ص [illegible].

(٤) انظر: تفسير المراغي [illegible].

[illegible] في النار [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

[illegible]

٨- الاستكبار:

[illegible] الاستكبار.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

وقوله: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

(١) انظر: [illegible]
(٢) انظر: [illegible]
(٣) انظر: [illegible]
(٤) انظر: [illegible]
(٥) انظر: [illegible]

﴿ [illegible] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [النمل: 73].

وقال جل وعلا: ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف: 17].

وأخبر سبحانه أن الشكر [illegible] القليل [illegible]، فقال جل في علاه: ﴿ [illegible] وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: 13] [1].

ثالثًا: الصفات الخلقية المذمومة في القرآن:

من أسباب الظلم عند الناس في القرآن الكريم الصفات الخلقية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: 4].

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون [illegible] وأنه [illegible] فهو [illegible] فقال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾، [illegible] على [illegible].

المشاعر التي [illegible] في [illegible] من [illegible] وإظهار [illegible].

فهو يقول لهم: لا [illegible] ولا [illegible] على [illegible] ليس [illegible]؛ بل أنا [illegible] من هذا الذي هو مهين لا [illegible] [2].

والمعنى: بل أنا [illegible] هذا [illegible] في [illegible] [illegible] لا يكاد يفصح [illegible] [illegible] فقال: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: 52] [illegible].

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [3].

[illegible] موسى في [illegible] إلى إظهار [illegible] موسى [illegible] الضعيف [illegible] في [illegible] فرعون [illegible] موسى [illegible].

[1] انظر: مدارج السالكين، ابن القيم (2/ [illegible]).

[2] انظر: [illegible].

[3] انظر: [illegible].

[illegible] فكان ذلك من الله ليكون [illegible]

قال ابن كثير: [illegible] على هذا الكفر بالسحر [illegible] موسى عليه السلام [illegible] والأبصار. وقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] عليه السلام [illegible]

رابعًا: سورة التحريم:

من أسباب [illegible] في القرآن الكريم: سورة [illegible]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ثم [illegible] الكفار والمنافقين [illegible] وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي:

إياك أيها النبي جهدك في مقاومة هاتين الطائفتين [illegible]

وقوله: [illegible] على أن سبب الأمر [illegible]

وقوله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [illegible]

[illegible] على الرسول عليه الصلاة والسلام [illegible]

وقوله تعالى: ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [illegible]

[illegible]

في الآخرة فالله مجازيهم على جرائمهم بإلزامهم والمخصوص بالذم محذوف، والتقدير: بئس المصير مصيرهم؛ فإنه لا مصير أسوأ من الخلود في جهنم.

ومن هذه الآية الكريمة نرى أن على المؤمنين - في كل زمان ومكان - أن يجاهدوا أعداءهم من الكفار والمنافقين بالسلاح الذي يردعهم، حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى(١).

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح للخطاب، والاستفهام للتعجيب من أحوالهم العجيبة. (والتبديل) من البدل بمعنى التغيير والتحويل، والمراد به: وضع الشيء في غير موضعه بمقابلة نعم الله بالجحود وعدم الشكر. ونعمة الله التي يشملها السياق لكفار قريش إرسال محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله تعالى لإخراجهم من الظلمات إلى النور، كما تشمل إكرام الله لهم - أي: أهل مكة - بأن جعلهم في حرم آمن، ويحفظهم بسببه، وكان عليهم أن يشكروا الله على هذه النعم بل أشركوا معه في العبادة آلهة أخرى.

ثم بين عاقبة أخرى من عاقبتهم فقال: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ والمراد بقومهم: أتباعهم وشركاؤهم في الكفر والعناد حتى صاروا على شاكلتهم. والبوار: الهلاك والخسران، ويطلق أيضًا على الكساد، يقال: بار المتاع يبور إذا كسد، أي: الكاسد في حكم الهالك(٢).

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: جهنم يصلونها ويدخلونها، ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي: وبئس المقر لهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي: بئس القرار هي. وفي هذا إشارة إلى أن عذابهم فيها دائم على وجه الدوام والاستمرار(٣).

(١) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٧/ ٢٧١.

(٢) انظر: المصدر السابق ٧/ ٥٥٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ٧/ ٥٥٩.

نماذج مذمومة في القرآن الكريم

لقد ذم القرآن الكريم أشكالاً [illegible] الله [illegible] ونماذج [illegible]

أولاً: الذين ذمهم الله تعالى:

ذم القرآن الكريم [illegible]

1. الشيطان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ [illegible]﴾ (النور: 21)

ذم القرآن الكريم الشيطان في مواضع كثيرة، [illegible]

[illegible] الآية المؤمنين من الشيطان [illegible]

[illegible] المؤمنين [illegible]

(1) انظر: [illegible]

على أنها [illegible] الإيمان [illegible]

[illegible] الشيطان [illegible]

[illegible] المؤمنين [illegible]

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [illegible]

[illegible] الشيطان [illegible]

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [illegible]﴾ [illegible]

(2) انظر: [illegible]

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: [illegible]

[illegible]

٢. [illegible]

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

(١) انظر: [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

(٣) انظر: [illegible]

(٤) انظر: [illegible]

(٥) انظر: [illegible]

(٦) انظر: [illegible]

في الجدال [illegible] كي يواجهه [illegible] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [illegible] التعجب [illegible] منه(1).

و﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [illegible] على أنه أمر [illegible] من التعجب [illegible] بلغ من التعجب غاية [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] الإنسان الذي حاج إبراهيم في ربه [illegible](2).

[illegible] ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: [illegible] الملك [illegible] الكفر [illegible](3).

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [illegible] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [illegible] إبراهيم [illegible] قال إبراهيم

﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾(1).

[illegible] في قوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [illegible] الموت [illegible] يحيي ويميت [illegible] في كثير من الأوقات [illegible](2).

ثم ذكر [illegible] ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [illegible] إبراهيم عليه السلام [illegible] الحياة [illegible](3).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [illegible] إبراهيم عليه السلام [illegible]

(1) انظر: تفسير الشعراوي [illegible].
(2) انظر: التفسير [illegible].
(3) انظر: تفسير المراغي [illegible].

(1) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب [illegible].
(2) انظر: تفسير الشعراوي [illegible].
(3) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [illegible]؛ محاسن التأويل، القاسمي [illegible].

بما لا يقدر له على نصر حالة النمرود حجة للشافعية، ومن [illegible] المغالطة متنزل من مقال على إلى [illegible] من مكنونه الذي يعجز عن الإثبات بما [illegible] عن حجة إلى أخرى، وكل تسرية [illegible] لا يقدر أن ينقل [illegible] إبراهيم [illegible] وإنما [illegible] عليه [illegible] اعتقاد المناظر.

وقيل: أنا [illegible] إبراهيم عليه السلام [illegible] لمن ربك الذي [illegible] ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [illegible] ﴿وَاللَّهُ﴾ أي: غلب إبراهيم عليه السلام الكافر [illegible] ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع من قبول الهداية.

وقيل: لا يهديهم محجة الاحتجاج أو سبيل النجاة أو طريق الجنة يوم القيامة [1].

٣. الرعود.

ذم القرآن الكريم الرعود من [illegible] قوم من [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

بينت الآية الصفات [illegible] لل[illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ والإضلال: الإيقاع في الضلال وهو خطأ الطريق الموصل، ويستعمل [illegible] في معنى [illegible] وهو [illegible] المراد هنا والمعنى: أنه لم يرد لأتباعه [illegible] في الجهالة [illegible] عن الحق [illegible] والجهل المركب [illegible] في [illegible] حتى كانت [illegible] عليهم [illegible] في البحر [illegible] عليه السلام [2].

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: ما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية [illegible] ﴿وَأَضَلَّ﴾ [illegible] ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

[illegible] الهداية من شخص [illegible] يصور له الهداية في [illegible] وذلك إنما يتصور في [illegible] الإضلال والهداية على ما يختص بالديني [illegible] سوء [illegible] الدنيوي، [illegible] الإضلال في البحر والإنجاء [illegible] لا [illegible] العقل السليم [3].

[illegible] فرعون [illegible]

[1] انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [illegible]

[2] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]

[3] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

٤. هامان.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (القصص: ٣٨).

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

﴿الأَرْضِ﴾، ثم لم يهلك الأمم كفروا من عاد وثمود إلا من جهل وظلم واستكبار، شبه الكفر، واستكبر يعني أهل الكفر، ظلم وقال: ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ في ذاته، كذا ينبغي له أن يستكبر، لأنه الذي يتكبر على كل شيء، فلا يليق بمخلوق، لأنه لا يليق به تكليف بالكبر[1].

وبسلطان قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: الإنكار بأن استكبار كان منهم كان في جميع البلاد التي هي مجاورة كذلك، كل واحد من هؤلاء كانت سمة مطلقة في الأرض القريبة في الأرض التي يجمع أن يكون السجود في أرض كل منهم، ثم أن يكون السجود للقرية الأرضية سائلة في انتشار استكبار كل منهم في البلاد حتى الله يعم قديما كانت سمتي السبل في البلاد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ الأحقاف وسر لمراد الكلام فيهم[2].

٥- الترويج:

ذم القرآن الكريم الترويج بشهوات الدنيا بالكبر والبطر على أمر الله.

قال تعالى: ﴿...﴾ ﴿...﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ (القصص: ٨٣).

يبين الآية الصفات الذميمة للظالم، ومن علامته ... قوله: ﴿...﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى عليه السلام، وكان ممن آمن به ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تجاوز الحد في التكبر والتعالي عليهم ما هم إلى البغي[3].

والبغي: الاعتداء والاعتداء على الآخرين الاستخفاف بحقوقهم، وقيل ذلك عرف شريعتهم[4].

وقد يكون لهم كان البغي، ليحمله سهولة يشتمل الناس، وينقص ما في أيديهم بظلمهم، ولكن جعلهم آباءهم، كما يجمع هذه المال في الكثير من الأحوال، وربما بغى عليهم بسبب كثرة ماله في تلك الحال التي في الكثرة في أموال الأغنياء، ونتائج التقرب، وتأكيد الحال وربما بغى عليهم بسبب سيء من الأسباب[5].

وذكر سبب هذا البغي وهو الترف ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ من الأموال المدخرة ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ مفاتيح صناديقه، جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به.

وقيل: خزائنه، وقيل: ما يجمعه الصناديق ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ عن ...

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/...)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (...).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/...).

(٣) انظر: تفسير المراغي (٢٠/...).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/...).

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (...).

والعطا صلة ما زعم أنك عمراني ... حتى أنه لم يصل إلا إليه حتى أماته ... والمشابعة الكثيرة. ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ أي لا تبطر، والفرح بالدنيا مذموم مطلقا؛ لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها؛ فإن العلم بأن ما فيها من اللذة فانية لا محالة يوجب الترح(١).

﴿الْفَرِحِينَ﴾ أي فرح الزهو المنبعث عن الاعتزاز بالمال، والانشغال بالثراء والتعلق بالكنوز، والابتهاج بالملك والاستحواذ. لا تفرح فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال وينسى نعمته، وما يجب لها من الحمد والشكران. لا تفرح فرح الذي يستخفه المال، فيشغل به قلبه ويطير له لبه ويتطاول به على العباد.

وعلل النهي ها هنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي: ... ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ ... بصرفه فيما يوجبها لك فإن المقصود منه أن يكون وصلة إليها ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك، وتأخذ منها ما يكفيك. وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفا، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها(٢).

﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما أنعم الله عليك، وقيل: أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن إليك بالإنعام ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بأمر يكون علة للظلم والبغي، نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ لسوء أفعالهم.

٦. أمر الرسل.

ذم القرآن الكريم أمر المترفين ...

قال تعالى: ﴿...﴾ (الشعراء: ...)

بينت الآية الصفات الذميمة لأمر قوم ... عليه السلام ...

وقوله: ﴿...﴾ أي ... ﴿...﴾ الذين أسرفوا ... ولهذا أرسل الله تعالى إلى ... مدحوح من قوم ... وكان أكثرهم ... بالأسماع والقيام ... الفاسدة التي لم يشعهم إليها أحد من العالمين(٣).

وقوله تعالى: ﴿...﴾ ... الطرف الذي هو ...

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (١/ ٢٨٥).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧١١).

(٣) انظر: تفسير الوسيط، طنطاوي (١/ ٢١٠).

وعلمه بسبب أنه كان من المرسلين، الذين اختارهم الله لحمل رسالته إلى عباده[1].

وقوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ إشارة إلى امرأة لوط التي كانت من الغابرين، الذين لم يصحبوا لعذابه، وكانت تفشي أسرار زوجها، فأهلكها الله فيمن أهلك من قوم لوط، وقد ضربها الله سبحانه وتعالى مثلاً لمثل السوء، ذمت في الأرض الطيبة.

قال تعالى فيها وفي امرأة نوح: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠).

تبين أنها خائنة، وأنها من أهل النار، وأنها واقعة فيما أصاب قومها من الهلاك[2].

٧. امرأة نوح

ذكر القرآن الكريم امرأة نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠).

بينت الآية الصفات القبيحة لامرأة نوح عليه السلام، تبين أنها خائنة، وأنها من أهل النار، وأنها واقعة فيما أصاب قومها من الهلاك، وافتراقها بشخصية مشخصة بالكفر وسوء عاقبتها.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾، وضربها مثلاً لبيان المشبه، وضرب المثل في مثل هذا الموضع عبارة عن إيراد حالة غريبة لتعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة، أي: جعل الله تعالى مثلاً لحال الكفرة حالاً ومآلاً[3].

ومن لطائف التعبير بقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، أن المقصود الأصلي من ضرب المثل تلقين الكفرة وذلك من الاعتراض من أن يحصل التطبيق على المشابهة من جميع الوجوه والاعتبارات بكثرة التشبيهات وعدم تجريد الاستعارة ومجانبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط تعريض لطيف بالتحذير من خطر الاغترار بصلة القرابة، فيها في الرباط بمثل ما يجب من الإخلاص للنبي صلى الله عليه وسلم وإيثار الحب في التعليق الكريم[4].

وقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾، فهما نوح ولوط عليهما السلام، يوصفهما بالصلاح مع أنهما أنبياء

---

[1] ...

[2] ...

[3] انظر: روح المعاني، الألوسي ٢٨/ ...

[4] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/ ٣٧٤.

والقربة العظمى منه من الله تعبد من خيانة تربية بوصف الصلاح، ويقدم إلى أن النبوة صلاح ليعطي بذلك شأن الصالحين، والكون المرحلة سارية إلى نساء المسلمين في سابقاتهن أزواجهن، فإذا وصف النبوة له تعني بالنسبة للأمة الإسلامية مع ما في ذلك من تعريف الأمة أفراد الله الصالحين وعقيدة وسهم بصدقه عليهم[1].

وقوله تعالى: ﴿مُسْتَكَنَاتٍ﴾ أي: في الإيمان لم يوافقنا على الإيمان ولا مبقنها في الرسالة، وليس المراد بقوله: ﴿مُسْتَكَنَاتٍ﴾ في الفاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة، والخيانة والغدر عند الأمانة وعدم الوفاء، ولذلك فهذا الشرع ما أوذن عليه وما جاء به ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ولذلك ﴿شَيْئًا﴾ للعطف، أي: أقل شيء وأنفعه بله التي الموجب ويقاله مع الداخلين إلا مسارعتها في العذاب لفرضها من الكفرة الفجرة[2].

﴿وَقِيلَ﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ أي: مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام[3].

ثانيًا: الأمم السامي سافي القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم أنماطًا مختلفة ونساء وقوم فرعون وقوم نوح وقوم لوط، وبيان ذلك كما يأتي:

١ - عاد.

ذكر القرآن الكريم قوم عاد.

قال تعالى: ﴿...﴾ [سورة ...].

يتحدث الآية الصفات الشنيعة للنوع عاد عليه السلام، فيدل أنهم يجحدنا آيات ربهم، وعصوا رسله، واتبعوا أمر رؤسائهم الطغاة ﴿...﴾ أي: ... مع إيمانها هود عليه السلام، وذلك في خلافهم، وكذلك الإشارة الشديد لعظمة لهم، وجهنمًا من الكفار ... من الأفكار والأقوال، وقد كانوا يقولون: من أشد منا قوة[4].

والجحد: الإنكار الشديد على إنكار الواقعة والمشاهدات، وهذا يدل على أن صورة القصر ... [5].

وجمع الرسل في قوله: ﴿...﴾ وهو هود ...

(1) انظر: التحرير ...
(2) انظر: التحرير ...
(3) انظر: روح المعاني، الألوسي ...
(4) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ...
(5) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ...

[illegible]

وقوله تعالى: [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: [illegible]

(١) انظر: التحرير والتنوير [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي [illegible]

[illegible] أي: [illegible] والرأي: [illegible] الرأي، أي: [illegible] [illegible] ...

ثم ذكر [illegible]: [illegible] [illegible].

وكذلك [illegible] ... في سوء [illegible].

٣- الرأي في فرعون.

ذم القرآن الكريم الرأي في فرعون.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

(١) انظر التفسير والتنوير لابن عاشور (٢٩/٢١٢).
(٢) انظر التفسير [illegible] (١١٨/٢١).
(٣) انظر التفسير والتنوير لابن عاشور (٢٩/٢١٢).

﴿ [illegible] ﴾ [الشعراء: ...].

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وملئه، بالآيات والحجج [illegible] والبراهين [illegible] ... فرعون [illegible] فأغرقهم في يوم واحد أجمعين.

ثم [illegible]: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] ...

ثم ذكر [illegible]: ﴿ [illegible] ﴾ أي: قال فرعون [illegible] ...

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/٤٦٩).
(٥) انظر التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/٣٠٠).

[illegible] بيان أن عليهما [illegible] بسبب الرسالة، [illegible] في تبليغ الوحي من الله [illegible] والسلام[1].

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ أي: فكذب فرعون وأتباعه موسى وهارون عليهما السلام فيما جاءا به من عند ربهما [illegible] هذا التكذيب أن أغرقنا فرعون ومن معه جميعا[2].

وقد جاء ذكر قوم فرعون في آيات أخر، منها قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (النمل: [illegible]).

وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

٤. قوم نوح.

ذم القرآن الكريم قوم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

ثم الله تعالى قوم نوح عليه السلام [illegible] في الدنيا والآخرة [illegible] بالتكذيب بقوله: ﴿[illegible]﴾ والمراد بالرسل: نوح [illegible]

وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ولقد جاء ذم قوم نوح عليه السلام

(١) انظر: التفسير [illegible].
(٢) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (١٠/ [illegible]).
(٣) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (١٠/ [illegible]).

في آيات أخر منها قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] متعرضين عن الاستقامة بالكفر والعصيان[illegible].

وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

فنهم الله تعالى بالظلم والطغيان [illegible] دعوة نوح [illegible] على الله بالسخرية والتكذيب [illegible] فهذه ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها [illegible]

• قوم لوط.

ذكر القرآن الكريم قوم لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

ثم قال الله تعالى: قوم لوط عليه السلام بالظلم [illegible] لأنهم أتوا الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم [illegible]

وقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] قصة لوط [illegible]

(١) انظر: [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

إذ لم يكن من القاطعين [illegible] ولما نزل بهم [illegible] مسرعين [illegible] ولوط عليه السلام من [illegible] ابن أخي إبراهيم عليه السلام [illegible] لوط عليه السلام قد نزل [illegible] [illegible] ربه قرئيا [1].

﴿[illegible]﴾ أي: أتفعلون تلك الفاحشة التي [illegible] القبح والفحش، [illegible] ما فعلها أحد قبلكم في زمن من الأزمان، والاستفهام في ﴿[illegible]﴾ للإنكار والتوبيخ، والإتيان [illegible] مجاز في [illegible] والفعل، أي: أتباشرون الفاحشة [illegible] على الفعل [illegible] كانت مشهورة، والفاحشة: الفعل [illegible] [2].

﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] ما سبقكم أحد قبلكم في أي زمان بل [illegible] من [illegible] في [illegible] والفطرة [illegible] [illegible] يوم القيامة [3].

والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير [illegible] التوبيخ والتقريع [illegible] [illegible].

الفاحشة [4].

ثم بين الأفعال الشنيعة التي يحملونها فقال: ﴿[illegible]﴾ أي: إنكم لتأتون الذكور [illegible] في [illegible] الرجال الذين [illegible] ولا [illegible] إلا [illegible] الشهوة [illegible] ولا [illegible] [illegible] لا داعي [illegible] [5].

والإتيان كناية عن الاستمتاع والجماع [illegible] من النساء [illegible] والتأكيد [illegible] [illegible] أكثر [illegible] [illegible] والإتيان [illegible] الفاحشة [6].

[illegible] الرجال عن النساء والرجال [illegible] مبالغة في التوبيخ والتقريع [7].

ثم انتقل من غرض الإنكار إلى غرض [illegible] والتحقير والتنبيه إلى حقيقة حالهم فقال: ﴿[illegible]﴾ أي: إنكم لا تأتون هذه الفاحشة [illegible]

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]
(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]
(3) التفسير الوسيط، طنطاوي [illegible]
(4) انظر: تفسير المراغي [illegible]
(5) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي [illegible]
(6) انظر: تفسير المراغي [illegible] التفسير الوسيط، طنطاوي [illegible]
(7) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]
(8) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي [illegible]

على ما فعلتم، بل أنتم قوم مسرفون فيها وفي سائر أعمالكم، ولا اقتداء لهم بعقل ولا عادة في الأعمال(1).

والإسراف: مجاوزة الحد، ... أي: مسرفون في الباطل والعرب ... الإسراف بطريق الجملة الاسمية الدالة على الثبات، أي: أنتم قوم تمكن منهم الإسراف في الشهوات، فلذلك اشتهوا الشهوة الغريبة التي ما سبقوا إليها الشهوات المعتادة(2).

ثم أخبر القرآن عن جوابهم الشنيع على نصائح نبيهم لهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: وما كان جواب قوم لوط عن هذا الإنكار، وتلك النصيحة ... إلا الأمر بإخراجه هو ومن آمن معه من قريتهم ... إلا أن قالوا ... والعقل ... والاستنكار بما كانوا فيه من

القاذورات ... يطيقوا الفاحشة ... إلى ... الآخر(1).

والتطهر: تكلف الطهارة، وحقيقتها النظافة، ويطلق الطهارة - مجازاً - على تزكية النفس والتطهر من الرذائل وهي المراد هنا، وذلك صفة كمال، ولكنهم: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ... هذا التطهر من خلق لوط عليه السلام وآله لأنهم ... بجملة فعلية مضارعية ... التطهر ... طباعهم والتغلب عليهم ورفع إنكار لوط عليه السلام عليهم(2).

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: فأنجينا لوطاً وأهل بيته الذين آمنوا معه إلا امرأته فإنها لم تؤمن ... الكافرين ... من جماعة الهالكين أو الباقين الذين ... العذاب ... الآخرة(3).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أي: وأرسلنا عليهم مطراً عجيباً

(1) انظر: تفسير المراغي 8/215.
(2) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 8/...

(1) انظر: تفسير المراغي 8/215.
(2) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 8/...
(3) انظر: تفسير المراغي 8/215.

[illegible]

٦- يأجوج ومأجوج

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

(١) انظر التفسير الوسيط، للطنطاوي [illegible]

(٢) انظر المصدر السابق.

يأجوج ومأجوج من سلالة النبي نوح عليه السلام(١).

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: قالوا له مشتكين: إن يأجوج ومأجوج يفسدون أرضنا بالقتل والتخريب وأخذ الأقوات وسائر ضروب الإفساد.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ أي: فهل نجعل لك جعلًا من أموالنا، لتجعل بيننا وبينهم حاجزًا يمنعهم من الوصول إلينا؟

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: قال ذو القرنين: إن ما مكنني فيه ربي من بسطة الملك والسلطان وزيادة المال خير مما تبذلونه لي من الخراج، فلا حاجة بي إليه، والدول التي يجب أن تحافظ على الدول الضعيفة، ولا تأخذ منها مالًا مقابل [illegible] على إغاثتها(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي: ولكن ساعدوني بقوة [illegible] وصناع [illegible] والآلات [illegible] أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج سدًا [illegible] حصينًا [illegible].

ثم بين تلك القوة التي طلبها فقال: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: جيئوني بقطع الحديد فلما جاءوه بها أخذ يبني بها بالتدريج حتى إذا جعل ما بين جانبي الجبلين من البناء مساويًا لهما في العلو، قال للعملة: انفخوا بالكيران في زبر الحديد التي وضعت بين الصدفين [illegible] حتى صارت [illegible] كالنار [illegible] على الحديد [illegible] بعضه ببعض [illegible] بين الحديد [illegible] ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي: [illegible] يأجوج ومأجوج [illegible] وارتفاعه، ولا استطاعوا [illegible] وثخانته(٣).

ثالثًا: العمل المذموم في القرآن الكريم:

ذم القرآن الكريم كلًا من الكافر والمشرك والمنافق وأهل الكتاب، وبيان ذلك كما يأتي:

١. الكافر.

ذم القرآن الكريم الكافر.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزراع لستره البذر في الأرض، وكفر النعمة

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].
(٢) انظر: تفسير المراغي (١٦/[illegible]).
(٣) انظر: تفسير المراغي (١٦/[illegible]).

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٢. [illegible]

[illegible]

[illegible]

بالرقة ابعد سرفا سحيقا"(١).

وقوله: ﴿حُنَفَاءَ﴾ جمع حنيف، وهو المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق(٢).

ثم صور سبحانه حال من يشرك بالله تصويرًا تنخلع له القلوب، ويحمل كل عاقل على اجتناب هذا الرجس، فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي: ومن يشرك بالله تعالى في عبادته، ومات على ذلك، فكأنما سقط من السماء إلى الأرض، فاختطفته جوارح الطير بسرعة فمزقت أوصاله، أو اسقطته الريح في مكان بعيد لا يعلم له على أثر، والمقصود من هذه الجملة تقبيح حال الشرك والمشركين، وبيان أن الراجع في الشرك يؤدي إلى الهلاكة التي لا نجاة منه بحال، كالإنسان يسقط من السماء فتمزق أوصاله، وتخطفه الطير أو تلقي به الريح في مكان بعيد لا يطلع له في تدافعه على هلاكه لا محالة، فالتعمية القرآنية حالة لا رسوب أصحاب الشرك بأبلغ صورة(٣).

وذم الله تعالى الشرك بأنه ظلم عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣) أي: واذكر أيها الرسول الكريم موعظة لقمان لابنه، وهو أشفق الناس عليه، وأحبهم لديه حين أمره ألا يعبد الله وحده ونهاه عن الشرك، وبين له أنه ظلم عظيم، أما كونه ظلمًا فلأنه وضع للشيء في غير موضعه، وأما أنه عظيم فلما فيه من التسوية بين من لا نعمة إلا منه وهو سبحانه وتعالى، ومن لا نعمة له، وهي الأصنام والأوثان(٤).

وذم الله تعالى المشركين في الشرك على أنه ما شرع لهم شركاؤهم من الدين ما لم يأذن به الله من عبادة غيره، والقتل بما لم يشرعه من الدين.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٢١)

أما فهم على أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، والتبين الحق أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه(٥).

٢- المنافقون:

ذم القرآن الكريم المنافقين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

(١) انظر: تفسير المراغي (١٧/ ١٠٨).
(٢) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (٩/ ٢٩٦).
(٣) انظر: المصدر السابق (٩/ ٢٩٧).
(٤) انظر: تفسير المراغي (٢١/ ٨١).
(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ...).

نَسُوا اللَّهَ [illegible] ۝ [illegible] (التوبة: ٦٧-٦٨)

يذم الله تعالى المنافقين بصفاتهم الخبيثة [illegible] في الدنيا والآخرة [illegible] مع الكافرين [illegible]

[illegible]

[illegible]

هؤلاء المنافقين أنهم بخلاء أشحاء من بذل المال في وجوهه المشروعة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] النار[1].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] المنافقين [illegible] الإسلام [illegible][2].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] وعد الله تعالى المنافقين والمنافقات والكفار المجاهرين بالكفر ﴿[illegible]﴾ [illegible][3].

[illegible] المنافقين [illegible] المشركين [illegible][4].

وقوله جل جلاله: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

[illegible] الكافر [illegible] المنافقين [illegible] وأحوالهم [illegible][5].

ومن صفات المنافقين القبيحة [illegible] القلب والفؤاد.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]].

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [[illegible]].

وأما قوله جل وعلا: ﴿[illegible]﴾ [[illegible]].

[illegible] المرض صفة المنافقين [illegible] قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] النظم القرآني [illegible] المنافقين [illegible]

كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [[illegible]].

وغيرها من الصفات التي وردت في الآيات القرآنية[6].

(1) انظر: في ظلال القرآن، [illegible]
(2) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي [illegible]
(3) انظر: المصدر السابق.
(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]
(5) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي [illegible]
(6) انظر: [illegible] في القرآن الكريم [illegible]

1. أهل الكتاب:

ذم القرآن الكريم أهل الكتاب الكفرة قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ [illegible]﴾ (البينة: [illegible]).

يذم الله تعالى الكفرة من أهل الكتاب [illegible] والمشركين، [illegible] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ [illegible]﴾ [illegible] الذين [illegible] الشرك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][1] [illegible] [illegible][2].

[illegible] الله تعالى [illegible] ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [illegible] على الكفر [illegible][3] [illegible] [illegible] في ذلك [illegible] الكفر[4].

[illegible] الله تعالى [illegible]

[illegible]

تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ (البينة: [illegible]).

[illegible] الآيات.

---

(1) انظر: [illegible] (٢٠/ ٤١٤).
(2) انظر: [illegible] (١٧/ ٢٧٢).
(3) انظر: [illegible] (٢٠/ ٤٨٥).

ذم في غير موضعه

نقل القرآن الكريم ذم الكفار للملائكة والأنبياء والمرسلين والكتب السماوية والمؤمنين، وهاك ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً: ذم المشركين للملائكة:

يخبر تعالى عن ذم المشركين للملائكة قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

يخبر الله تعالى أن الكفار افتروا على الملائكة أنهم إناث [illegible] الله، ثم [illegible] بحسب افترائهم الكاذب، فقال: ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ﴾، والجعل هنا [illegible] القول والحكم على الشيء [illegible] [illegible] أي: [illegible] المشركين [illegible] الملائكة الذين هم عباد الرحمن [illegible] [illegible] زعموا أنهم إناث، [illegible] [illegible] حكموا عليهم بهذا الحكم الباطل[1].

ثم [illegible] على ذلك [illegible] [illegible] عليهم ذلك في قوله: ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ ﴾، أي: أحضروا خلق الله [illegible] [illegible] حتى يحكموا [illegible]؟

وفي هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثم توعدهم على مقالهم فقال: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾، أي: ستكتب هذه الشهادة التي [illegible] في الدنيا في ميزان أعمالهم، ويسألون عنها يوم القيامة [illegible] [illegible] على صحتها، ولن يجدوا لذلك سبيلاً[2].

وقد حكى القرآن ذلك في آيات أخر، قال تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء: ٤٠].

وفي الكريم [illegible] الملائكة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]: ﴿ [illegible] ﴾ [الصافات: ١٥٠].

وقوله جل وعلا: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible].

ثانياً: ذم المشركين للأنبياء والمرسلين:

يخبر تعالى أن الكفار ذموا الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

[1] انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٣/ ٧٠).

[2] انظر: تفسير المراغي (٢٥/ ٧٩).

[illegible]

يقول تعالى مبينًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] المشركين فيما كانوا يقولونه عن الرسول: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] قريش [illegible] إلا محمدًا صلى الله عليه وسلم [illegible] القرآن [illegible] الأولين.

[illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه إذا رأوه، ويقولون ساخرين: ﴿[illegible]﴾ أي: على سبيل الشتم والتنقص والازدراء [illegible]

[illegible]

(١) انظر: تفسير [illegible]
(٢) انظر: تفسير [illegible]

أهل الإيمان ... ومع الكلام عنهم من أي حال ... إلى ... الخير ... على أن ... بعقولهم ... رأوه ... بعد أن ... القلوب ... في الاستهزاء ... الأحوال ... في حالة الاستهزاء[1].

وقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ ... القول ... الرسول ... الكريم ... وقالوا على سبيل الاستهزاء والتهكم ... الإرشاد ... رسولاً ... المنهج ... الجهالة ... الأنبياء[2].

ثم يأتي القرآن إلى التنبيه ... الأمم ... صلى الله عليه وسلم ... القرآن ... في قوله تعالى:

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ... أن ... آلهتهم ... لولا أن صبرنا ... على عبادتها[3].

فهو ... الهداية ... إلى ... في الضلال[4].

وقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ... على ... الكافرون ... الموعودة[5].

ثالثاً: ذم المشركين لكتاب السماوي:

يخبر تعالى أن الكفار ... الكتب السماوية.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [الفرقان: ٤-٦].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٩/ ٢٢).
(٢) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (١٠/ ...).
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ...).
(٤) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (١٠/ ...).
(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (...).
(٦) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (١٠/ ...).

[illegible]

ثم يرد الله عليهم خالقهم [illegible] [illegible]

[illegible]

ثم أمره الله تعالى بأن يجيبهم عما قالوا [illegible]

[illegible]

(١) انظر: تفسير المراغي [illegible]

(٢) انظر: التحرير والتنوير [illegible]

[illegible]

قال ابن كثير: [illegible]

[illegible]

قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

[illegible]

﴿[illegible]﴾ أي: [illegible]

[illegible]

[illegible]

الفضيلة المحترمة عند الله بالإيمان والطاعة لا بالشرف والرياسة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

قيل: الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل: هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم(1).

قال ابن كثير: هذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه، وذلك دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه فإن الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء.

ثم الواقع غالبًا أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].

ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال له فيما قال: أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم،

فقال هرقل: هم أتباع الرسل(2).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: 11].

أي: وقال الذين كفروا للذين آمنوا على سبيل الازدراء والسخرية والاستخفاف بهم: لو كان هذا الذي أتى عليه من الإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حقًا وخيرًا، لما سبقتمونا إليه ولما سبقنا إليه غيرنا من المؤمنين لأننا نحن العظماء الأغنياء، وأنتم الضعفاء الفقراء(3).

(1) انظر: لباب التأويل، للخازن 3/...

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 2/441.

(3) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي 13/189.

www.mobee.com

مقاصد الذم في القرآن

إن مقاصد الذم في القرآن الكريم هو الحرص على الحفاظ على الكليات الخمس الضرورية: الدين والعقل والنفس والمال والنسل؛ وصيانتها من كل ما يفسدها ويدمرها، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: الذم لحفظ الدين:

ومن مقاصد الذم في القرآن الكريم هو تطهير المجتمع الإسلامي من العقائد الفاسدة الموروثة، والحفاظ على العقيدة الصحيحة، والتي هي سبب الفوز والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

وهي السبب في الحفاظ على الفرد والأسرة والمجتمع، وهي التي تحفظ الفرد من الهرج بالضلالات والشبهات، ولذلك ذم الله تعالى كل العقائد الفاسدة والسبل المؤدية إلى الضلال من الشرك والكفر، واليهودية والنصرانية والمجوسية، وعبادة الأوثان وسائر أهل الملل والأديان والنحل المشتبهة بالأهواء والطوائف، كما بين العاقبة السيئة التي تحيق بأهلها بسبب الشرك وإعراضهم عن الحق، وأشير إلى ذلك في آيات الكتاب كما سنبين في المبحث[1].

وكما ذم القرآن الكريم كل العقائد الفاسدة ورفضها وتطهير المجتمع منها، فقد ذم أيضاً كل ما يفسد الدين من الأخلاق القبيحة والفاسدة، وعالج مظاهر الضعف البشري مع علاج رواسب الجاهلية والعصبية في كل صورها، وإقامة هذا المجتمع الجديد الفريد في التاريخ البشري على القاعدة الخلقية العظيمة الصلبة المتينة التي لا تشتتها الروابط القبلية والمصلحة والعصبية، والتي لا تتزعزع مع الأهواء والميول والشهوات[2].

ومثال ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين الذي هو إنما هو الشرك والتحريم كما حكى عنهم في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٨)، وكذا من ترك المشركين ما أمرهم الله به من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والصلاة والزكاة والجهاد وغير ذلك من الأعمال[3].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ... تفسير القرآن الكريم ... ، ... في ظلال القرآن ...

(٢) انظر: في ظلال القرآن ...

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ...

والأمنية التي في حياة البشر فقد ثم القرآن الكريم الكفار والساخرين، وبين حقيقة حالهم وقبح أساليبهم، وما يحيكونه من الفساد والشرور بهم وسخط الله تعالى عليهم، واستحقاقهم العقاب، ويجمع بين رحمته وإرادته بالعباد بالإنذار والوعد؛ لأجل الطهر والزجر، وكذلك تراه موجها إليهم بوصفهم أو إلى وصفهم الناس الساخرين: الكافرين، المنافقين، الفاسقين، الظالمين، المجرمين، المشركين، أو الناس [illegible] الأحبار والرهبان [illegible] الأشخاص المعنيين بأسمائهم وألقابهم [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين [illegible] والقرآن في سكة [illegible] (1).

ثانيا: الأمر للمحافظة على العقل:

ومن مقاصد الأمر في القرآن الكريم: المحافظة على العقل، فقد أمر القرآن الكريم [illegible] الأمراء [illegible] والأمر [illegible] الفكر السديد، [illegible] على الأفراد والعقليات [illegible]

والإنصاف، ولم يغفل أولئك الأمم الأولى؛ [illegible] الرسل في دعوتهم [illegible] الرسل، [illegible] الإنصاف والعقل [illegible].

ثالثا: الأمر للمحافظة على النفس:

ومن مقاصد الأمر: المحافظة على النفس ووسائلها من الاعتداء عليها، [illegible] في القرآن الكريم [illegible] الجاهلية [illegible] وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي: حرم قتلها [illegible] بالإسلام أو بالعهد [illegible] فما روي عن ابن جبير عن [illegible] بالنفس المذكورة [illegible] [illegible] أي: لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا [illegible] الشرع بقتلها.

وكذلك كما جاء عن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول

(1) [illegible]

الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)(١).

أو من أمور الأسباب، أي: لا تقطعوا سبب من الأسباب إلا بسبب الحق ... أو من أمور العصيان، أي: لا تقطعوا ... إلا الله ومن القتل لأحد المشتركين(٢).

والحفاظ على النفس والنفع في المجتمع الآمن والسلام يقتضي على كل مظاهر العنف بسطة العقبان مع جميع المحرمات والآثام والحروب، والإسلام دين السلام والصلح والقول بالأمر، ويرفض كل أشكال العنف والتطرف بجميع أشكاله وأنواعه وصوره.

رابعًا: القيم المحافظة على المال:

ومن خصوصية المنهج المحافظ على الأموال فقد جاء القرآن الكريم بكل ما كان ضارًا بالأموال في أشواقهم وما نهى الإسلام عن المعاملات، التي قامت على أكل المال بالباطل كالربا والميسر والغش وبيع الغرر، ومنع الغيب، وغيرها مما ينطوي على الظلم، وتحريم التلاعب بالمكاييل والموازين ووجوب العدل والوفاء، وتحريم الكذب والخداع.

وهذا المنهج الإسلامي في بناء الأخلاق يقضي أيضًا التضامن والتعاون على التكافل، وأن أكرم المعاملات على تزكية الإنسان بالأدب الكريم والأخلاق الفاضلة، وعلى المحافظة على الشعائر والقيم الإسلامية ... نظام المجتمع، وتحريم حياة الفرد، ... وبروز الأمن والطمأنينة، فتسير المعاملات بالرحمة والإخلاص والتقى.

وكذلك وصف الله عباده المؤمنين في تعاملهم بربهم وتعاملهم بقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧-٣٨].

فحفظ القرآن الكريم أموال الناس من الضياع، وحذر أصحاب النفوس الضعيفة من المساس بها، وحفظ الموازين في التجارة لتستقيم المعاملات، وحث على حفظ مال الفرد والجماعة، وللأخذ بأسباب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: (أن النفس بالنفس)، رقم ٦٨٧٨، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، رقم ١٦٧٦، (٣/١٣٠٢).

(٢) انظر روح المعاني، الألوسي، (٨/٣٨).

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: ٥-٧).

خامساً: القيم الحافظة على النسل:

ومن مقاصد القيم في القرآن الكريم الحفاظ على النسل والعرض، فقد دعا القرآن الكريم إلى ما فيه صلاح الأفراد في أنفسهم وأعراضهم.

والأمر في ذلك في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: ٨٠-٨١).

والإسراف الذي ينتهجه من أولئك هو الإسراف في تجاوز منهج الله المسطر في الفطرة السوية، والإسراف في الطاقة التي وهبهم الله إياها لأداء دورهم في امتداد البشرية بنشر النسل، فإذا هم يبذلونها ويبددونها في غير موضع الإخصاب، فهي مجرد الشهوة الشاذة، لأن الله يجعل لذة الفطرة الصادقة في تحقيق سنة الله الطبيعية، فإذا وجدت نفس لذتها في نقيض هذه السنة فهو الشذوذ إذن والإسراف، والفساد الفطري، قبل أن يكون فساد الأخلاق، ولا فرق في الحقيقة، فالأخلاق الإسلامية هي الأخلاق الفطرية، بلا انحراف ولا فساد"[1].

ولهذا فمن يعرضون ويعرض هذا النسل الخبيث، لأن الله تعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمارة الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة وموضعاً للنسل، فإذا تزاوج الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فقد أسرف وجاوز واعتدى، لأنه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له، لأن أدبار الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة الإنسانية"[2].

والقاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، وهي قاعدة النظافة والطهارة والعفة والأخلاق، فهناك من الفواحش ظاهرها وباطنها، لأنه لا يمكن قيام أسرة ولا استقامة مجتمع ولا أسرة في وحل الفواحش ما ظهر منها وما بطن، إنه لا بد من طهارة ونظافة وعفة تقوم الأسرة ويقوم المجتمع، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة هم الذين يحبون أن تزعزع قوائم الأسرة وأن ينهار المجتمع، والمجتمعات التي تشيع فيها الفاحشة صائرة حتماً إلى الدمار، والحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية والحضارة الفارسية شواهد من

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٣١٥.
(٢) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٥/ ٣١٦.

[illegible]

ومن أبرز ما يتصل بالإصلاح [illegible] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

[illegible]

[illegible]

المصدر الثاني

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

الذنب

عناصر الموضوع

مفهوم الذنب	٢٤٤
الذنب في الاستعمال القرآني	٢٤٥
الألفاظ ذات الصلة	٢٤٦
الله غافر الذنب	٢٤٨
مراتب الذنوب	٢٥١
مكفرات الذنوب	٢٥٦
آثار الذنوب في الدنيا والآخرة	٢٥٩

الشيخ الفلاني الدكتور

مفهوم الذنب

أولاً: المعنى اللغوي:

الذنب من أذنب يذنب إذنابًا، والذنب هو الإثم والجرم والمعصية، والذنب: طرف الشيء، والجمع ذنوب، وجمع الجمع ذنوبات، ويقال: قد أذنب الرجل، أي: صار ذا ذنب، ويطلق الذنب على كل أمر غير مشروع يرتكب(1).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

قال الجرجاني: «الذنب ما يحجبك عن الله تعالى»(2).

وقال المراغي في تفسيره: «الذنب هو التقصير في المعاملة بين العبد وربه»(3).

وقال الشنقيطي: «الذنب هو المعصية التي يستحق صاحبها العقاب»(4).

والنظر في التعريفات السابقة نجد أنه لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، ويمكن تعريف الذنب بأنه كل فعل يستوجب لمرتكبه ويستحق صاحبه العقوبة من الله تعالى.

---

(1) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٦١، لسان العرب لابن منظور ١/ ٣٨٩، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ٢/ ٤٦٣.
(2) التعريفات، الجرجاني ص ١٠٧.
(3) تفسير المراغي ٢٢/ ١٦.
(4) المصدر السابق ٧/ ١٢٠.

القلب في الاستعمال القرآني

وردت مادة (قلب) الدالة على (القلب) في القرآن الكريم (١٣٢) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
اسم (المفرد)	١٦	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [illegible]
اسم (الجمع)	٢٩	﴿[illegible]﴾ [illegible]

وجاء القلب في القرآن الكريم بمعناه اللغوي بمعنى الإدراك والعقل والمعرفة[2].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] أي: [illegible]

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible].
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور [illegible].

الألفاظ ذات الصلة

1 الإثم

الإثم لغة:

من أثِم، الهمزة والثاء والميم أصل واحد يدل على التأخر[1].

الإثم اصطلاحًا:

عرفه الجرجاني بأنه: ما يجب التحرز منه شرعًا وطبعًا[2]، ويراد به التأخر عن فعل الطاعة[3].

الصلة بين الذنب والإثم:

الذنب عبارة عن ارتكاب المحظور، أما الإثم فهو التقصير في عمل مطلوب[4].

2 الجرم

الجرم لغة:

هو الكسب، وجمعها أجرام وجروم[5].

الجرم اصطلاحًا:

هو الجناية والذنب العظيم[6].

الصلة بين الذنب والجرم:

الذنب يطلق في عرض يجاوز الحدود الشرعية على ارتكاب المحظورات، أما الجرم فيطلق في عرف في الاصطلاح والتام للفعل الذي يخالف أمر الله أو نهيه[7].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس 1/60.

(2) التعريفات، ص9.

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة 7/3588.

(4) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص142.

(5) انظر: تاج العروس، الزبيدي 31/384، تفسير آيات الأحكام في القرآن، حسين الحسيني 1/222.

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور 8/58.

(7) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص244.

٣ الخطيئة

الخطيئة لغةً:

هي الذنب وضدها الطاعة(١).

الخطيئة اصطلاحًا:

هي الذنب المقصود المتعمد(٢).

الصلة بين الذنب والخطيئة:

الذنب إما أن يكون عمدًا، وإما أن يكون سهوًا(٣)، أما الخطيئة فلا تكون إلا عمدًا(٤).

٤ السيئة

السيئة لغةً:

من سوء بمعنى القبح(٥).

السيئة اصطلاحًا:

هي التقصير في حقوق العباد ومعاملة الناس بعضهم بعضًا(٦).

الصلة بين الذنب والسيئة:

الذنب يكون بالتقصير في حق الله تعالى(٧)، أما السيئة فتكون بالتقصير في حق العباد(٨).

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (١/٤٧)، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٥/٣٦).
(٢) معجم ... لألفاظ القرآن ... (٢/ ٤١).
(٣) انظر: الكليات للكفوي (ص: ...).
(٤) انظر: التفسير الوسيط للواحدي (١/ ١٥٤).
(٥) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١١٣).
(٦) تفسير المراغي (٦/ ٢١١).
(٧) المصدر السابق (٦/ ٢١١).
(٨) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٢٧).

الله غافر الذنب

من رحمة الله تعالى بعباده أنه لم يغلق باب المغفرة والصفح عمن ضل طريق الحق باتباع أهوائه وشهواته، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ولأهمية الغفر والمغفرة في حياة المؤمن أردنا التعرف على معنى كل من الغفر والمغفرة، وعلى الفرق بينهما، وعلى حكم غفر ومغفرة الله تعالى لعباده المؤمنين.

أولاً: المغفرة في حق الله تعالى:

مغفرة الذنوب قضية خاصة بالله تعالى، فلا أحد يملك غفران الذنوب سواه جل وعلا، وهذا ما أكد عليه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: (سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)(١).

كما وردت آيات كثيرة تنسب صفة الغفران لله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٢-٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿...﴾

وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

ومنه قوله تعالى: ﴿...أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وغيرها من الآيات.

ومن أسماء الله تعالى الحسنى:

الغافر: وهو على وزن (فاعل) ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ﴾ [غافر: ٢].

ومعناه أنه سبحانه يغفر ما سلف من الذنوب(١).

الغفار: صيغة مبالغة على وزن الفعال، والمعنى أنه جل وعلا هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيها(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار (٦٣٠٦).

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد التميمي، ص ١٤٠.

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج.

العفو: صيغة مبالغة على وزن الفعول وهي من عفا يعفو عفوا. والفرق بين العفو والغفار، أن الغفار مبالغة في المغفرة مع الإرادة، أما العفو أي: مغفرة عالية [illegible] الذنوب(١).

العفو: يعني المتجاوز عن سيئات العباد(٢).

والفرق بين العفو والمغفرة أن العفو هو ترك العقاب على الذنب، والمغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة(٣).

لذا كان من أهم الدعاء في ليلة القدر ما رواه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: فالعفو هو المتجاوز عن سيئات مؤاخذة(٤).

ولذلك من أسماء الرحمن [illegible] قبل الغفور [illegible] السيئات.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النور: ٢٢]

ومعنى ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ أي: [illegible].

إذن في العفو مبالغة ليست في الغفور، لأن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر، لأن الستر للشيء قد يحصل مع إبقاء أصله بخلاف المحو [illegible](٥).

[illegible]

ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف [illegible]

---

(١) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص[illegible].
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]
(٨) [illegible]

بيده حتى إذا [illegible] في نفسه أنه [illegible] فلذا سترها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»(1).

ثالثاً: علمه [illegible]:

يقول الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: 75).

[illegible] الآيات الكريمات من كتاب الله تعالى [illegible]:

أولاً: [illegible] والمعنى أن الله تعالى أحاط بكل شيء [illegible](2).

ثانياً: علمه بالغيب والشهادة والظاهر والباطن، [illegible]:

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (الرعد: 9-10).

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ (فاطر: [illegible]).

مما سبق يمكن القول أن [illegible] أسرارهم غير خافية على الله تعالى، سواء أكانت خيراً أم [illegible]، وهذا ما ذكره القرآن الكريم في مواضع عدة.

قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي: [illegible] ... العليم الخبير ... [illegible] وقدرته على [illegible] وأن الله عالم بها [illegible](1).

قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أي: [illegible] فهو لا يخفى عليه شيء [illegible](2).

وبهذا تنجلي الإشارة إلى أن علم الله [illegible]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible]، رقم [illegible].

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، [illegible].

(3) انظر: [illegible].

(1) [illegible]

(2) [illegible]

تعالى بالذنوب حيث لا يكون علمه بارتكابها رشدًا [illegible] أي: سبق علم الله تعالى [illegible] من علم أزلي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

كما تجدر الإشارة إلى أن علم الله تعالى الأزلي بأن الذنوب ستقع من العباد لا يؤثر على أفعال العباد، وبالتالي فعلم الله تعالى المسبق بوقوع الذنب لا يحمل صاحب الذنب على اقتراف الذنب، وإنما يكون اقتراف الذنوب باختيار العباد على الرغم من بيان الله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم طريق الهداية وحثهم على سلوكه، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣).

يقول سيد سابق في تفسير هذه الآية: أي: عرفناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، والصحيح والكذب، فهو إما سالك السبيل الأقوم فيكون شاكرًا، أو الطريق المعوج فيكون كفورًا(٢).

وهذا يدل على أن الإنسان مخير في أفعاله لا مسير، كما تجدر الإشارة أيضًا إلى أن وقوع الذنوب لا يخرج عن مشيئة الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٩).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث عبادة بن الصامت، ٣٧٨/٣٧، رقم ٢٢٧٠٥، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ن، ٤٢٤/٥، رقم ٣٣١٩. قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) [illegible]

مراتب الذنوب

مما لا شك فيه أن هناك تفاوتاً بين المخالفات الشرعية، وهذا الاختلاف يعود إلى تباين الأثر السيئ الذي تتركه تلك الذنوب والمخالفات، ولتوضيح هذه المسألة لابد من التعرف على مراتب ما يرتكبه العباد من الذنوب، وبيان ذلك كما يأتي:

أولاً: الكبائر

الكبائر: هي الذنوب التي ورد في حقها لعن أو غضب أو نار أو وعيد شديد(1).

يقول تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء:31)

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(2).

ذكر في هذا الحديث سبعة من الكبائر، وذكر في أحاديث أخرى غيرها: مثل عقوق الوالدين، قول الزور، اليمين الغموس.

والكبائر لا تنحصر في عدد معين، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن الكبائر أسبع هي؟ فقال: هي إلى السبعين أقرب(3).

ومن أمثلة على الكبائر:

1. الشرك بالله.

الشرك بالله من أكبر وأعظم الكبائر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء:48)

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة:72)

عن ابن مسعود قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»(4).

والشرك بالله ينقسم إلى قسمين:

الأول: الشرك الأكبر: وهو أن يتخذ العبد مع الله شريكاً، أو نداً يعبده كما يعبد الله.

---

(1) انظر: [illegible]

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، [illegible]

(3) أخرجه معمر بن راشد، [illegible]

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، [illegible]

ويخوف كما يخاف الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله، وهو مخرج من ملة الإسلام، وإذا مات صاحبه عليه يكون مخلداً في النار حيث ولا يخفف عنه من عذابها[1].

ثانياً: الشرك الأصغر: وهو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[2].

والشرك الأصغر لا يخرج صاحبه من الملة، وإذا مات عليه ولم يتب منه فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه ولو عذبه الله سبحانه فإنه لا يخلد في النار مع أهل الشقاء، والله تعالى أعلم[3].

٢. السحر.

السحر: «أمر يمكن تعلمه بقراءته ومعرفته بالممارسة»[4].

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومما سبق يتضح أن السحر من أكبر الكبائر، ومن أعظم المصائب، وهو من الكفر.

٣. قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

وهو الاعتداء على الإنسان وإزهاق روحه عمداً عدواناً وبغير حق[5].

وهذا القتل حرمه الإسلام، واعتبره من أكبر الكبائر التي توقع صاحبها في الهلاك يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

---

(1) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن، ص٩٤، تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله ص٣٠.

(2) القول السديد شرح كتاب التوحيد، السعدي ص٤٠.

(3) انظر: سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، عبد الله الشعيبي، ص٢٨٠، عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود (١/ ٢٩٤).

(4) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد السلام اللوح، ص٩٨.

(5) انظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي (٢/ ١٢٤).

٤. أكل الربا.

وهو أخذ زيادة على أصل المال وفقاً لعقد ربوي محرم مشروع(١).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ [illegible]﴾ (البقرة: ٢٧٥).

فالله يحذر من الربا من أكبر الكبائر عند الله تعالى، وقد توعد الله صاحبه بالمحق، وآذنه بالحرب إن استمر عليه ولم يتب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ [illegible]﴾ (البقرة: ٢٧٨-٢٧٩).

٥. أكل مال اليتيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠).

حرم الله تعالى أكل مال اليتيم بغير حق، وذلك من طريق إتلافه [illegible] الأقارب من مال اليتيم [illegible] اليتيم، وذلك عن طريق حفظه واستثماره وتنميته، والإنفاق منه حال الفقر والحاجة حتى يصبح رشيداً، أي: يبلغ مبلغ الرجال، فبعد ذلك يسلم له المال(٢).

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (النساء: [illegible]).

٦. التولي يوم الزحف.

أي: الفرار من أرض المعركة، حرم الإسلام الفرار من أرض المعركة وجعله من الموبقات والكبائر(٣).

فلذلك لا يجوز الفرار من أرض المعركة إلا للتحيز والمكيدة والخدعة [illegible] من أرض المعركة يستحق الغضب من الله والعذاب في نار جهنم(٤).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

(١) انظر: الكشاف [illegible] (١/١٥٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٦٣؛ التفسير الوسيط، الزحيلي [illegible].

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(الأنفال: ١٠-١١)

٧- القلب المنحط.

[illegible]

أيها الأخوة [illegible] القلب [illegible] الشهوات [illegible]

[illegible] جاء الإسلام [illegible] القلب [illegible] وكما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ثانياً: الصغائر:

الصغائر: هي الذنوب اليسيرة التي لم [illegible] الشارع بوعيد أو بحد خاص فالشخص يرتكبها بدون إصرار عليها[illegible].

والذنوب اليسيرة التي يرتكبها الإنسان بدون إصرار عليها [illegible]

عليها [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] في هذه الآية [illegible] من الذنوب[illegible].

---

(١) انظر: [illegible]

(٢) انظر: التفسير الوسيط [illegible]

(٣) انظر: التفسير الوسيط [illegible]

(٤) انظر: [illegible]

مكفرات الذنوب

لابد للعبد إذا ما وقع في الذنوب أن يسارع إلى أن يكفر تلك الذنوب؛ لئلا [illegible] السيئات [illegible] وهو غافل عنه [illegible] بذلك ما لا يطيق من العقوبة، والمكفرات [illegible] لتلك الذنوب [illegible] على [illegible] من أهمها:

أولاً: التوبة والاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135]

في هذه الآية [illegible] الله تعالى الاستغفار على [illegible] الاستغفار [illegible] من [illegible] التوبة [illegible] إلى الله تعالى [illegible] الله [illegible] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول»[1].

[illegible] سيد الاستغفار[2]:

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[3].

والتوبة واجبة على جميع العباد والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]

فقوله: ﴿وَتُوبُوا﴾ أمر، والأمر للوجوب ما لم يصرفه صارف عن الوجوب؛ لذلك فالتوبة واجبة بإجماع المسلمين من كل ذنب [illegible] الإنسان[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في [illegible]

---

(1) انظر: [illegible] (2/ 1102).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: [illegible] (4/ 2102).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: أفضل الاستغفار، [illegible] (رقم 6306).

(4) انظر: [illegible] (1/ 41).

التوبة إليه مقبولة[١]

ويشترط العلماء للتوبة هذه الشروط:

إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى فلها ثلاثة شروط وهي:

١. أن يقلع العبد عن المعصية.

٢. أن يندم العبد على فعل المعصية.

٣. أن يعزم على عدم العودة إلى المعصية أبدًا.

أما إذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فلها أربعة شروط، الثلاثة السابقة والشرط الرابع: أن يرد العبد المظالم إلى أصحابها[٢].

والتوبة لا تقبل إذا طلعت الشمس من المغرب.

قال تعالى: [illegible] [الأنعام: ١٥٨].

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل جعل بالمغرب بابًا [illegible] للتوبة لا يغلق حتى تطلع [illegible]).

التوبة قبل الغرغرة[٣].

لا تقبل توبة العبد عندما تبلغ روحه الحلقوم ويعاين الموت.

قال تعالى: [illegible] (يونس: ٩٠-٩١).

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)[٤].

والاستغفار يمحو الذنوب ويسترها ويطهر العبد من الخطايا.

عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي [illegible]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، [illegible] رقم ٢٧٠٢.

(٢) انظر: [illegible]

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، [illegible] رقم [illegible]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع [illegible].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، [illegible]. قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع [illegible].

كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(1).

ثانيا: الحسنات الماحية:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: 114).

أي: فعل الخيرات والأعمال الصالحة

ومن هذه الأعمال الصالحة الصلوات الخمس تكفر الذنوب السالفة(2).

إذ فعل الحسنات يتوج على الإيمان والعمل الصالح.

ثالثا: المصائب:

فيبتلي الله عز وجل بعض عباده ببعض المصائب، حتى تكون مكفرات للذنوب [illegible]

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: 120)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة»(3).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

وما كانوا لا تغفر الله بهذا من خطاياه (1).

والمعاصي يمكن أن تكفر ذنوب الإنسان إلا الكفر؛ الأمر الذي على الله تعالى يستحيل أن [illegible] (2).

قال تعالى: {[illegible]} [النساء: [illegible]].

رابعًا: الدعاء:

والدعاء بطلب المغفرة وتطهير القلوب هو من سنن الأنبياء والمرسلين.

قال نوح عليه السلام: {[illegible]} [نوح: 28].

وقال إبراهيم عليه السلام: {[illegible]} [إبراهيم: 41].

والدعاء بطلب المغفرة من صفات المؤمنين الصالحين.

قال تعالى: {[illegible]} [الذاريات: [illegible]].

وأخبر الله عز وجل عن [illegible]: {[illegible]} [آل عمران: [illegible]].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible]، باب [illegible].

(2) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، محمد التويجري ([illegible]).

آثار الذنوب في الدنيا والآخرة

للذنوب آثار مدمرة على الفرد فيقبل عقله، ويضطرب فؤاده، ويبلى جسده، وتأثير على المجتمع [illegible]، ويكثر الجرائم [illegible] ومن هذه الآثار ما يأتي:

1. حرمان العلم.

العلم نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد، والذنوب تطفئ ذلك النور، لهذا حرم المذنب من العلم (1).

قال تعالى: {[illegible]} [البقرة: [illegible]].

2. وحشة القلب.

[illegible]

3. الذل والمهانة.

(1) انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز [illegible].

(2) انظر: الداء والدواء [illegible].

إن القلوب تحيا في الإنسان الذي يتصف بالإيمان والصلاح، وهذا لا يكون إلا بتوفيق من الله تعالى(١).

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات:٧).

٤. انتشار الفساد في الأرض:

إن القلوب تسبب أنواعًا من الفساد في الأرض، مثل الفساد في البر والبحر والمساكن.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١).

أتعلم من هذا الدرس

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٩٢.

ذو القرنين

عناصر الموضوع

التعريف بذي القرنين	٣٦١
ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم	٣٦٥
مناسبة قصة ذي القرنين وسبب نزولها	٣٦٦
قصة ذي القرنين	٣٧٠
الدروس من قصة ذي القرنين	٣٧٦
لمسات بيانية في قصة ذي القرنين	٣٨١

التعريف بذي القرنين

أولاً: اسمه:

اختلف في ذي القرنين كثيراً فقيل: هو الإسكندر المقدوني.

ومنهم من زعم أنه قرزل الفارسي، أو ملك من ملوك اليمن، أو ابن [illegible].

ويرى آخر [illegible] في كتابه: ويسألونك عن ذي القرنين، أنه [illegible] التي هو [illegible] كان ذلك.

وبما يرى البعض أنه الإسكندر المقدوني الذي قيل إنه نبي وكان ملكاً.

قال السيوطي: الإسكندر ذو القرنين: وقد تنازع الناس فيه؛ منهم من رأى أنه هو القرنين، ومنهم من رأى أنه غيره [illegible] ذي القرنين، منهم من رأى أنه سمي بذي القرنين لبلوغه أطراف الأرض، [illegible] ومنهم من رأى أنه من الملائكة[1].

قلت: [illegible] من أخبار الإسرائيليات التي لا دليل عليها ولا مستند من كتاب أو سنة أو أثر صحيح، [illegible] من الملائكة [illegible].

وقال القرطبي: [illegible] ذو القرنين الذي ذكره الله تعالى في كتابه [illegible] والمغرب [illegible][2].

والسائل في هذه الأقوال وما استند إليه يجد أنه لا أصل لها في الكتاب أو السنة، كما أنها مرتبطة على الظن والاحتمال، فضلاً عن أنه لا القرنين [illegible].

وقيل: كان نبياً من الأنبياء فقد روى ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد الله بن عمرو قال: ذو القرنين نبي[3].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ذو القرنين نبي[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أدري أتبع لعيناً كان أم لا، وما أدري أذو القرنين نبياً كان أم لا، وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم

(1) مروج الذهب للمسعودي (1/...).
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (...).
(3) المصنف لابن أبي شيبة (...).
(4) الدر المنثور للسيوطي (...).

(1) [illegible]

وهذا الحديث إذا صح فهو رد على من قال بنبوة ذي القرنين.

والذي يظهر لنا من خلال حديث القرآن عنه أنه ملك مؤمن [illegible] مكن الله له في الأرض [illegible]

[illegible]

قال البغوي: [illegible] (2).

قال ابن القيم: [illegible] الإسكندر المقدوني [illegible] ذي القرنين [illegible]

[illegible]

[illegible] (3).

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك [illegible]

(2) معالم التنزيل للبغوي [illegible]

(3) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان [illegible]

ورأيت ابن عاشور أنه ليس إسكندر المقدوني، قال: «لأنه لم يكن ملكًا صالحًا، بل كان وثنيًا، فلم يكن أهلًا لتلقي الوحي من الله وإن كانت له أعمال على الحجة، وأيضًا فلا يعرف في تاريخه أنه أقام سدًا بين بلدين»(1).

وذكر أبو السعود والآلوسي أقوالًا عديدة في سر تسميته بذي القرنين، فقيل: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها، وقيل: لأنه ملك الروم وفارس، وقيل: الروم والترك، وقيل: لأنه كان في تاجه ما يشبه القرنين، وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان، وقيل: لكرمه وشجاعته»(2).

ثانيًا: صفات ذي القرنين:

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٣-٨٤].

ذو القرنين: كان ملكًا صالحًا، رفعه الله مكانة سامقة، ومكنه تمكينًا، جمع الله له بين الصلاح والملك والعلم والهمة العالية في إقامة العدل ونشر الخير، والتيسير على الخلق، أخذ بالأسباب بل طوعها حتى مكن الله له.

قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤-٨٥].

مكن الله له في الأرض ويسر له أسباب النصر والتمكين، وأسرار السياسة وقهر الأعداء، فأحسن استغلال هذه النعم والمواهب على أتم وجه، بل جعلها ركزًا ومنطلقًا إلى زيادة الفتوحات والعلم والإصلاح والعطاء والإحسان.

مكن له من أسباب العظمة والسلطان تمكينًا عظيمًا في البلاد المعمورة، وآتاه من الأسباب ما يحتاج إليه في توطيد ذلك وبسط سلطانه وتأييد أعماله وتحقيق أهدافه.

قال ابن عطية: «[illegible] في القرنين [illegible] أن المشهور من أخباره [illegible] حسب [illegible] الناظر، ولا يسافر [illegible] القصص»(3).

(1) التحرير والتنوير ١٦/٢٢٣.
(2) إرشاد العقل السليم ٥/٢٤٠.
(3) التحرير والتنوير ١٦/٢٢٤.

ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم

ورد ذكر (ذو القرنين) عليه السلام في القرآن الكريم (٣) مرات في سورة الكهف.
وأما قصته عليه السلام فقد وردت في سورة الكهف.

السورة	الآيات
الكهف	٨٣-٩٨

خلاصة قصة ذي القرنين [illegible]

أولاً: سياسة القصة:

[illegible] الجامعة بين هذه القصة والقصص التي سبقتها وبين القصة ومحور السورة بخصوصها.

[illegible] الحديث عن رحلة موسى مع الخضر [illegible] عليه من عجائب [illegible] عنه من فوائد ونفحات [illegible] من مع [illegible] الحديث من قصة أخرى عجيبة، قصة ذلك الرجل الصالح الذي مكن الله له، [illegible] الأسباب [illegible] واجتهد في استثمارها [illegible] في الأرض [illegible] وسلطانه [illegible] شكر [illegible]

[illegible] موسى عليه السلام [illegible] العلم [illegible] الله [illegible] الإصلاح والتغيير [illegible] في القرآن [illegible] في ربوع الكون [illegible] [illegible] المظالم [illegible] القيم [illegible]

قال [illegible] في الأرض [illegible] الأرض [illegible] الأولى [illegible]

العلم لأنه أساس كل [illegible] وقوام كل [illegible][1].

[illegible] أمام [illegible] بين صاحب الجنتين الذي اغتر بعلمه وجحد النعمة [illegible] في الضلال وبين صاحب الذي [illegible] بالله [illegible] وبين ذي القرنين الذي [illegible] فضل الله عليه [illegible] بمحمد [illegible] على ما [illegible] من النعم [illegible] للقرآن [illegible] هذه النعم في نشر الحق والفضيلة في أرجاء الأرض.

﴿[illegible]﴾ (الكهف: ٨٣-٩٨).

أما ذو القرنين [illegible] الملك الصالح [illegible] الذي مكنه الله في الأرض [illegible] العدل والإحسان [illegible] سلطان الكفر [illegible] ومصابيح الهدى [illegible] في عهد [illegible] بين [illegible]

[1] [illegible]

الكفر بالسنة، ومهد القرآن لهم سبيل الهداية وأشاد لمرام الضلالة، مسألة كافرة تحمل الكفر لها مسيرًا ومبادئه وذلك عاصية خاطئة، ومسألة مؤمنة تحمل الإسلام لها عقيدة ومهابة وترى رسالة يعتمدها من الأنبياء.

ومن أوجه المناسبة بين قصة أصحاب الكهف والمسلمين في السورة الكريمة أنها حملت لنا طريق النجاة من الفتن، وأرشدت لسبيلها فتية عظيمة عصمهم الله منها حين سعى الملك إلى فتنتهم في دينهم وانتقل سلطانه في مساومتهم على الحق وإغرائهم بكل الملذات، لما استطاع فتنة الترهيب والترغيب فعصمهم الله من كل تلك الفتن، لما أعلنت إيمانهم وصدقت سرائرهم وثبتت عزيمتهم وصدق توجههم إلى الله.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ۝﴾ (الكهف: ٩-١٦).

وبهذا نجد السورة الكريمة تبرز لنا طريق النجاة من جميع الفتن، فتنة السلطان وفتنة الأهل والعشيرة وفتنة المال وفتنة الأولاد وفتنة العلم وفتنة إبليس اللعين وفتنة القوة والتمكين من خلال قصصها عن القرآن، وفتنة بأسلوب يستوعب بقية أنواع الأعراف والاغترار بزخرف الدنيا، مما يتوافق مع عرائس السورة وقصصها من الفتن السوالف.

كما بين الله ما على الأرض من زينة إنما هو الابتلاء والامتحان الذي يبرز معادن الناس ويميز بين الصادقين وحملهم لسبيل الصالح.

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝﴾ (الكهف: ٧-٨).

كما بين الله تعالى كذلك ضرب لنا أمثلة من مواقف الناس من زينة الدنيا فيما بقصة أصحاب الكهف الذين لم يغتروا بزينة الشباب وزينة الأهل والعشيرة

بزينة الآلهة والسلطان، بل تراها كل هذه المشاهد، وأعرضوا من جميع الإغراءات بصحوة الأمل والثبات في سبيل الله جل في علاه.

ثم يقابلنا قصة صاحب الجنتين الذي غره المال والبنون [illegible] وأنكر أن حين تنبح صاحب في الابتلاء [illegible] حقيقة هذه الدنيا الفانية [illegible] وعملا [illegible].

ثم يأتي الخطيب على هذه القصة مبينا حقيقة الدنيا الفانية [illegible] التقرب وآثار الغرور، [illegible] يوم [illegible].

وإذا كان هذا من يغتر بالمال أو بالولد [illegible] الباطلة التي يدعي بها إبليس [illegible] الذي [illegible] من السجود لآدم.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الكهف: ٥٠)

ومن أكد [illegible] إبليس الذين [illegible] [illegible] من [illegible] وكم من [illegible] وكم من [illegible] وكم من [illegible].

مواطها.

ثم يورد لنا السياق [illegible] [illegible] ورسالة [illegible] والرسالة والعلم الآخر [illegible] والجاهلية في الأمم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العلم في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

ثم [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

﴿[illegible]﴾ (الكهف: ٢٤)

﴿[illegible]﴾ (الكهف: ٢٨)

[illegible] بين من [illegible] [illegible] القصة [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] هذه القصة مع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

للتوكل على الله صالح واليقين به صالح مع الأخذ بالأسباب في النجاة من الفتن، كما يتجلى لنا من خلال هذه القصة عبر الحاكم العادل في حماية الأولاد من الرزور الفتن.

ثالثًا: سبب نزول القصة:

ذكر ابن إسحاق: أن قريشًا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم.

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم. فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافًا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟

قال: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبركم بما سألتم عنه غدًا، ولم يستثن، فانصرفوا عنه. فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم -فيما يذكرون- خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدًا، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف(١).

(١) هذه القصة رواها ابن إسحاق عن ابن عباس.

قصة ذي القرنين

أولاً: بلوغه مغرب الشمس:

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أي: يستحق البشارة بهذا فضلًا من [illegible]
[illegible]
فالمؤمن المسلم يجد الكرامة [illegible] والقرب من العالم العادل [illegible]
[illegible]
المنحرف الذي يريد الفساد في الأرض [illegible]
[illegible] الأولى[1].

وحين يجد المحسن في الصناعة جزاء إحسانه [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] وذلك لأنه [illegible]:

1. ألا يستكثر [illegible] عملهم.
2. ألا [illegible] حاجة منهم [illegible].
3. أن يسوي في العطاء بينهم على مقدار [illegible].

[illegible]

[1] [illegible]
[2] [illegible]

ثانياً: بلوغه مطلع الشمس:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٨٩-٩١].

بعد رحلة المغرب بلغ فيها ذو القرنين أقصى الغرب سلك طريقاً إلى أقصى الشرق، مواصلاً مسيرته في حمل رسالة الخير ونشر مشاعل النور.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي: أقصى الشرق، ووجدها تطلع على قوم ليس لهم ما يسترهم؛ لا من البيوت ولا من الثياب، قيل: كانوا حفاة عراة لا يأوون إلى شيء من العمارة، بمعنى: أنهم بأرض لا يمكن أن يستقر عليها البناء، أو أنهم حالة من تخلفهم وبعدهم عن جميع مظاهر التمدن والرقي.

من المقطع في الآية أن ذا القرنين ... بأرض لا ... أحاطت ... حتى ... الشمس ... [illegible]

ولا بد أن رحمه الله وقاد حمل مشاعل النور ورايات الإصلاح إلى هؤلاء البشر ويعلمهم ... ونشر رسالة النور والخير.

[illegible]

إصلاح وتعمير رسالة نور وخير.

﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي: لا يعزب عن علمنا شيء من أحوال ذي القرنين وجيوشه، مهما بلغوا من أصقاع بعيدة ... وأن علم الله واسع محيط بكل شيء، وما كان من أمر ذي القرنين من مراتب ومكانات وسلطان ... عظيم ... [illegible]

فالله تعالى له ومكّنه من الأسباب، وأمده على الأعداء، وهو تعالى مطّلع عليه ومحيط بما لديه خبيرٌ بوسائل الأمور.

وقد شاء الله تعالى الأمر من القصة على وجه التفصيل ... [illegible] ... ما يكفي للعبرة والعظة ...

قال تعالى في البداية: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

قال البقاعي: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ... ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ﴾ ... ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ ...

(١) انظر: [illegible]

من جهة براهين النبوة، فضلاً عن فوائدها؛ إذ لا تستغرب إجابة من الله، ولا من أمر أصحاب الكهف، ولا يظن أن تفصيل أمر [illegible] على حاله [illegible] على خفايا الأمور وظواهرها، شواهدها وغرائبها، [illegible] ثم قصها [illegible] هذه القصة وقصة أهل الكهف، وقصتنا أمر الروح [illegible] من حقائق الأشياء"[1].

﴿[illegible]﴾ ما عنده من عظمة الملك من جند وقوة وثروة، والتمكين [illegible] والإحاطة بالخبر، كناية عن كون المعلوم عظيماً بحيث لا يحيط به علماً إلا علام الغيوب"[2].

قال ابن السعدي: [illegible] من الأسباب والجند والعدد [illegible] ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به إلا علام اللطيف الخبير"[3].

[illegible]

ثم أتبع سبباً ﴿[illegible]﴾ أي: طريقاً آخر غير الطريق الأول، [illegible] من المغرب وسار فيها إلى المشرق.

قال ابن عطية: [illegible] ﴿[illegible]﴾ المعنى: ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية إلى مقصده، وذلك أن [illegible] في كتب التاريخ [illegible] الأرض بالجيوش [illegible] والعدد الجسيمة والإعداد [illegible] الله عز وجل [illegible]"[1].

[illegible]

ثالثاً: بلوغه بين السدين:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

(١) نظم الدرر [illegible]
(٢) التحرير والتنوير [illegible]
(٣) تيسير الكريم الرحمن [illegible]

(١) المحرر الوجيز [illegible]

[illegible]

(الكهف: ٩٣ - ٩٨)

[illegible]

[illegible]

بسوره بالقصم، العمل به. والمرع في القضاء على العمل، ويرمًا أيّ ما أنكرره له على العرع[1].

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: العمل يأجوج ومأجوج ذلك، والرمع من الحاجز، وذلك معنى السد الذي بعد والعمل وعلى تواتقه.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي: جاوزي زبر الحديد وهي جمع زبرة، والزبرة القطعة من الحديد، فمعنا بين الصدفين، أي: حافتي الجبلين، حتى إذا ساوى بينهما بما جعل بينهما من زبر الحديد قال للعمال: انفخوا النار، فنفخوا حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارًا ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أصب عليه القطر، النحاس المذاب.

وقد استخدمت هذه الطريقة حديثًا في تقوية الحديد، فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إلى الحديد تضاعف مقاومته وصلابته، كما أن النحاس أيضًا لا يمكن استقدام [illegible] الله ذا القرنين إلى هذه الوسيلة الحديثة.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزًا بينهم وبين من خلفهم من الناس، ليصيروا فوقه، وينزلوا إلى الناس. ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله، لمسكه وصلابته.

ثم بعد أن أتم البناء، وتمكن منه قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي: هذا البناء رحمة وفضل من الله الذي رحمني بالعلم ورحمني بالمكنات والطاقات، ومنها في الأسباب حتى تم البناء الذي يحجز أولئك المفسدين ويحمي هؤلاء المستضعفين. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: إذا اقترب الوعد الحق ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي: ساواه بالأرض. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: ثابتًا لا محالة، فالأمر إلى حد انتهاء صلاحية هذا الردم، وذلك عند تحقق الوعد الإلهي.

عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: [illegible]

[1] الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٠.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٦/٣)، رقم (٣٣٤٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٤/ ٢٢٠٧) رقم (٢٨٨٠).

ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم"(١).

الدروس من قصة ذي القرنين

من الدروس والعبر التي تؤخذ من قصة ذي القرنين ما يأتي:

- من عوامل التمكين وأسباب الرقي: الأخذ بالأسباب المعينة على ذلك من الإيمان الخالص والعلم النافع والعمل الصالح مع الإخلاص والحكمة والتوكل واليقين [illegible].
- العقيدة الصحيحة والإيمان الراسخ من صفات ذي القرنين، لاحظ كثرة ترديده لكلمة ربي، حتى لا تكاد تمر جملة إلا ويذكرها: [illegible] وفي هذا تعظيم لله وتمجيد له، وترسيخ للعقيدة في نفوس الرعية.
- في هذا ترسيخ لمعاني الخطاب الحاكم والسلطان، وترسيخ المعاني [illegible] والشكر لله [illegible] وتعظيم وخضوع [illegible] لله تعالى، [illegible].
- خطاب العالمين [illegible] في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس

(١) أخرجه أحمد في مسنده ([illegible])، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ([illegible])، وصححه الألباني في صحيح الجامع ([illegible]).

وحتى اليسر لأبواب الأعداء.

● إن الحضارات لا يأتي بين عشية وضحاها، بل يأتي بعد جهد جهيد وسعي حثيث، وإعداد جيد وتخطيط محكم، والأمم [illegible] قوامها القادة والخلفاء.

● الحضارة الإسلامية تمتد في الشرق [illegible] والأمل، [illegible] الإنكار والتطوير، [illegible] نشر روح الحضارة والرقي في كافة بقاع الأرض [illegible].

● ضرورة التخطيط الواعي المقترن بالكفاءة، [illegible] الإصلاح البلاد والنهوض بها.

● حتى تصل رسالة التوحيد إلى الأمم والشعوب التي لم تصلها بعد لا بد وأن تكون أمة مستعدة [illegible] القرآن [illegible] له دينا بلغة [illegible].

● في قصة ذي القرنين نموذج رائع ومثال واقعي للقائد الراشد والحاكم العادل والفاتح الموحد الذي يمكنه الله في الأرض، [illegible] مشارق الأرض ومغاربها ، فلا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للكسب المادي، واستغلال الأفراد [illegible] والشعوب، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه. إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين المستضعفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل، ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق، وهكذا كانت الفتوحات الإسلامية في عهودها الأولى.

● العدل في القضية، [illegible] تطبيق الحاكم حدود الشرع [illegible] والإنصاف في [illegible] ولكن هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

● التدرج في الأمور من مقاصد الفقه والصالحين، [illegible] قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الكهف: ٩٥).

● الأدب مع الله: ﴿ [illegible] ﴾ لما ذكر ما أنعم الله له من الحسنى [illegible] بالفضل، بل القصر على القول أنه من الله تعالى، [illegible].

● في تعبير ذي القرنين رحمه الله بين ألا يظلمهم [illegible] ما يدل على ما كانوا عليه من ظلم

بين وسط من الحق، مما يدعو مخاطبيه إلى هذا ما يرشد إلى وجوب محبة القائمين بالعلم من قلبهم.

- التيسير من مقاصد الشريعة ومظاهره وهو جانب شرعي على الحكام والمسؤولين، ابتغاء مرضاته سيما أن من هو أحد من أهل الصلاح والاستقامة واليسر في القول والعمل.
- من صفات العالم والقائد الرحمة والرأفة من كريم الشمائل، ومن الواجبات والمقاصد الشرعية صفة العالم لتطبيقها ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ ...﴾ (التوبة: ...).
- العالم العامل يحقق الرحمة أكثر مما تطمح إليه، حيث بين لهم سنّة مبيّنة من ... .
- العالم المسلم لا بد وأن يكون متوكلاً بممارسة الرياضة والثقافة الجسمية وفهم بأمور الدين والسواد.
- أهمية تعلم الثقافة للعلماء والقواعد والتعامل مع التدريب عن ابن ... رضي الله عنه في الولد ﴿...﴾ ... لا يعرف قدرًا إلا التعليم.

بالسياسة(1).

- الأخذ بالأسباب وإعداد العدة للأسفار الجهادية والسياسية.
- الهمة العالية والعزيمة القوية لبلوغ الأهداف.
- التأكيد على أهمية طلب العلم والتزود بالمعرفة، والسؤال عما يجهله الإنسان أو السؤال للتعلم من الإجابة، والسؤال عن الشيء الذي يحدد القرار لطالب المعارف والعلوم والاختلاف المحمود.
- حرص العالم القائد على ذكر أحوال الحضارة والحقبة في ... ملكه ومكانها.
- ضرورة إعداد الجيوش وتجهيزها بأحدث الطاقات مع إعداد البحوث والثقافة، فلا سبيل إلى إزاحة الأنظمة الفاسدة وحماية المستضعفين وتمهيد طريق الدعوة، وتأمين المسلمين، ونشر العدالة والرحمة إلا بالجهاد.
- من صفات الإمام العادل أنه حريص على أمة الله ... يخشى أن ... يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ... معًا يتقبل الله ... لا يعيرة البلاء من أي مكروه.

(1) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ...).

● جمع إلى جانب العلم النافع والخبرة الدقيقة والمهارة الفائقة والإمكانات الهائلة، التواضع الرفيع والإيمان العميق والنفس الراضية المطمئنة، والأماني السامية النبيلة، والأريحية والابتهاج ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ لم يحتفل بملكهم في تسخيرهم من المستلذات والزينات، كما الحال في عصرنا الحاضر للأمم الغالبة المتحضرة مع الشعوب المقهورة الفقيرة من نهب ثرواتهم وحصد خيراتهم ومحو تاريخها والأثر على بقائهم تحت وطأة الجهل وذل الاستعباد، ما قص في القرآن كما قضى الله الدول التي ترتع الشعوب الفقيرة بالشهوة المركبة، تطرق بها أعناقهم وتقرب بها شهواتهم ونزاع ولاءهم واحترامهم وترغم أنوفهم.

● في حس ذي القرنين لما خرج ما خرج وراء الردم: دليل على اتخاذ السخرة وحسن أهل الفساد فيها لسلطانهم وجمع خراجهم بقولهم سائرهم. قال القرطبي: في هذه الآية أدلة السنة دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون وما هم عليه بل يوجعون ضربًا ويحبسون، أو يكلفون ويطلقون[1].

● دفع الشر بأيسر ما يندفع به، فلذلك أن ذا القرنين مع حزمه وقوته رأى أن بناء السد كافٍ في دفع أذى يأجوج ومأجوج دون الحاجة لإبادة المعتدي.

● شكر المنعم بإعلاء التواضع لعظمته والإقرار بفضله، قال السعدي: هكذا شأن أهل الفضل الجليل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي: من فضله وإحسانه علي، وهذا حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض، فإن النعم الكبار تزيدهم أشرًا وبطرًا[2].

● ألا ما أحوج البشرية إلى الدعاة والمصلحين والقادة الراشدين، الذين يمحون ظلام الاستعباد، ويطهرون

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (11/ 58).
(2) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص 485).

[illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● السياحة في الأرض [illegible]

● [illegible]

● السياحة في الأرض [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

(١) [illegible]

كلمات جامعة في قصة ذي القرنين

● حسن المطلع: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣] [illegible]

[illegible]

● [illegible]

● [illegible]

[illegible]

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

(١) [illegible] (٢١/٩٤).

(٢) [illegible]

الأمر بحيث لا تزاول ولا تقاس ولا تتقابل ولا تراعى من الأخذ بأسباب العلم والغرض، أما التعبير بكلمة مرتين ﴿[illegible]﴾ فيشير إلى مدة واستمرار على طلب المزيد.

- قدم الخطاب الدنيوي على الأخروي لأن الكافر يرجو ويؤثر بالخطاب الدنيوي، وما قدم ما عند الله على ما عنده لأن أقرب المؤمنين تطمح لما لها عند رب العالمين [illegible] الأدب [illegible] بالأمر.
- بعد التعبير بحرف ﴿[illegible]﴾ للدلالة على [illegible] حتى [illegible] الصحيح، فإذا هم أمروا على كفرهم [illegible] ما أبلغ من السين [illegible] إسلاماً في [illegible] أبو [illegible] قال أبو حيان: فرّق بين حرف التنفيس في ﴿[illegible]﴾ أنما يفصل بين [illegible] [illegible] من [illegible] إلى الإيمان [illegible] بالفعل على [illegible] [illegible] [illegible][1].
- ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

للاعتناء والتخصيص، وتأخير المسند للتشويق مع مراعاة الفاصلة مع فصاحة التراكيب.

- المقابلة بين الظلم والإيمان، والأصل المقابلة بين الإيمان والكفر، لأن الكافر لا يطالب غيره حتى كفره فحسبه في [illegible] على نفسه واعتقاده.
- مع القرآن الكريم في ﴿[illegible]﴾ ﴿[illegible]﴾ [illegible] الإيجاز للدلالة على أن الكافر عليه أصحب من تلبه لا [illegible] وصلاته والصيام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد وتحاس في طور الجبل[2].

[illegible]

[illegible]، [illegible]، [illegible] [illegible]

[1] البحر المحيط (٦/١٢٨).

[2] [illegible] (١/٢٠٩).

الرُّؤْيا

عناصر الموضوع

مفهوم الرؤيا	٢٨٥
الرؤيا في الاستعمال القرآني	٢٨٥
الألفاظ ذات الصلة	٢٨٦
أنواع الرؤيا	٢٨٩
الرؤيا والنبوة	٢٩١
رؤيا ملك مصر وتأويلها	٣١٢
الأصول القرآنية في تعبير الرؤى	٣٢٤

مفهوم الرؤيا

أولاً: المعنى اللغوي:

قال ابن منظور: الرؤيا ما رأيته في منامك... وهي الرؤى، ورأيت عنه رؤى حسنة: حلمتها، وأرأى الرجل إذا كثرت رؤاه بهمز، وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين مثل رعى[1].

وقال الفراهيدي: الرؤيا: مصدر الرؤية، ومن العرب من يقول الهمزة فيقول: رويا، بدون همزة... الهمزة، ... (رؤيا) حسنة والرؤى ... حسنة من ... والقياس[2].

وقال الأزهري: إذا تركت العرب الهمزة من الرؤيا قالوا: الرويا، ... (ما الرؤيا) في الكتاب، وأما في القرآن فلا يجوز، فقال: ﴿لا تقصص رؤياك﴾ ... ﴿الرؤيا﴾ ... ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾[3].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لا يوجد فرق كبير بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، لأنها لا تخرج عن ما يراه المرء في النوم.

(1) لسان العرب، ابن منظور ١٤/ ٢٩١.
(2) العين، الفراهيدي ٨/ ٣٠٧.
(3) تهذيب اللغة، الأزهري ١٥/ ٢٩٨.

الرؤيا في الاستعمال القرآني

وردت مادة (رأى) في القرآن الكريم (٣٢٨) مرة، يخص موضوع البحث منها (٧) مرات(١).

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد الورود	المثال
الفعل المضارع	٤	﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (الصافات: ١٠٢)
الفعل الماضي	١	[illegible]
المصدر	٢	[illegible] (يوسف: ٤٣)

وجاءت الرؤيا في الاستعمال القرآني بمعنى الشيء يراه الإنسان في منامه(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٨٠-٢٨٨.
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٤/٢٩٧.

الألفاظ ذات الصلة

الحلم

الحلم لغة:

الحلم بالضم والحلم بضمتين: الرؤيا، وجمعها الرؤى، وهي أحلام؛ حلم في نومه بالحلم [illegible] بالحلم [illegible] رأى له رؤيا أو رأى في النوم[1].

قال الليث: الحلم: الرؤيا، يقال: حلم يحلم إذا رأى في المنام، والحلم: بضم الحاء واللام أو ضم الحاء وسكون اللام: وهو ما يراه النائم، والحلم: بكسر الحاء وسكون اللام من الأناة والعقل[2].

الحلم اصطلاحًا:

لا يخرج عن معناه اللغوي، إلا أنه غلب في الاستعمال الشرعي على ما يراه النائم من الشر والقبيح.

الصلة بين الرؤيا والحلم:

قال ابن الأثير: الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح، ومنه قوله تعالى: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ [يوسف:44]، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر[3].

ويؤيده الحديث النبوي: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يخافه فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره»[4].

قال ابن حجر: [illegible] لا يقال لها حلم، والتي [illegible] الشيطان لا يقال لها رؤيا، وهو تصرف شرعي، وإلا فالكل يسمى رؤيا[5].

(1) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص [illegible].
(2) تهذيب اللغة، الأزهري [illegible].
(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير [illegible].
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا [illegible].
(5) فتح الباري، ابن حجر [illegible].

الرؤية

الرؤية لغة:

[illegible] إدراك المرئي بالإبصار [illegible]

الرؤية اصطلاحاً:

[illegible]

الصلة بين الرؤيا والرؤية:

[illegible]

[illegible]

قال الراغب: [illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) فتح الباري لابن حجر [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني [illegible]

(٥) فتح الباري لابن حجر [illegible]

الوحي

الوحي لغة:

الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه(1).

الوحي اصطلاحاً:

قال الزرقاني: «الوحي في لسان الشرع أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر»(2).

الصلة بين الرؤيا والوحي:

الرؤيا في حق الأنبياء عليهم السلام وحي، ورؤيا غيرهم ليست بوحي، ولكنها من البشارات، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»(3).

---

(1) انظر: الصحاح للجوهري ٦/ ٢٥٢٠، لسان العرب لابن منظور ١٥/ ٣٧٩.

(2) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٦٣.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ٩/ ٣١ برقم ٦٩٨٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا ٤/ ١٧٧٣ برقم ٢٢٦٣.

أنواع الرؤيا

إن النبي صلى الله عليه وسلم قسم الرؤيا إلى ثلاثة أقسام: منها ما تكون رؤيا صالحة، ومنها ما يكون من قبل إبليس، ومنها ما يكون من حديث النفس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرؤيا ثلاثة: فرؤيا صالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس»(1).

قال ابن القيم: «الرؤيا كالكشف، منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني»(2).

ولم يجعل القرآن الكريم من هذه الأنواع إلا النوع الأول، وجاء ذكر أضغاث الأحلام عرضًا على لسان عامة ملك مصر وعلى لسان المشركين مرة أخرى، كما سيأتي.

أولاً: الرؤيا الصالحة:

الرؤيا الصالحة هي الرؤيا الصادقة وهي الصادقة المطابقة للواقع، وهي الرؤيا الحق، الآتية التي كما هي، وهي الرؤيا الحسنة البشارة باعتبار حسن ظاهرها أو حسن تأويلها، وهذه هي الأسماء والأوصاف التي أطلقت على الرؤيا الصالحة.

وكل الرؤى التي ذكرها القرآن الكريم كانت عبارة عن رؤى صالحة، منها رؤيا إبراهيم ويوسف ومحمد عليهم الصلاة والسلام ورؤى الصالحين، وكذلك رؤيا الفتيان ورؤيا ملك مصر من الرؤى الصادقة كذلك، وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل في المباحث اللاحقة.

قال المهلب: «الرؤيا الصالحة هي تباشير النبوة؛ لأنه لم يقع فيها ضد تصديق لما في ذلك، إلى نبي صلى الله عليه وسلم»(1).

وهي أول ما بدئ به الرسول من الوحي، مدة ستة أشهر من ربيع الأول إلى شهر رمضان المبارك حيث جاءه الوحي الصريح.

ولما قصر الوحي في بدايته على الرؤيا فقط مراعاة لسنة التدرج، وتمهيدًا وإيناسًا له صلى الله عليه وسلم لا يفجأه الملك، قالت عائشة رضي الله عنها: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»(2).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا (4/ 1773، برقم 2263).
(2) مدارج السالكين، ابن القيم (1/ 51).

(1) فتح الباري، ابن حجر (12/ 362).
(2) صحيح البخاري، (1/ 4).

أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)(1).

وفي صحيح البخاري جاء وصفها بالرؤيا الحسنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)(2).

قال المهلب: "المراد غالب رؤيا الصالحين، وإلا فالصالح قد يرى الأضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فإن الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم، فالناس على هذا ثلاث درجات: الأنبياء ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير، والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير، ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والأضغاث، وهي على ثلاثة أقسام: مستورون، فالغالب استواء الحال في حقهم، وفسقة، والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق، وكفار، ويندر في رؤياهم الصدق جدا"(3).

ويكفي (الرؤيا الصالحة) أنها مضافة إلى الله عز وجل إضافة تشريف، كما جاء ذلك في الصحيحين عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره)(4).

ولكونها جزءا من أجزاء النبوة كما تقدم، وإنها من مبشرات النبوة التي يبشر بها المؤمن: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له)(5).

والرؤيا الصالحة من النعم الإلهية التي تستحق الشكر، ولهذا يستحب لمن رأى رؤيا صالحة أن يحمد الله ويذكر الله عليها لأنها نعمة، وأن يحدث بها أحبابه الذين يثق بهم

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (1/ 4) رقم 3، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (1/ 139) رقم 160.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين (6/ 2563) رقم 6582.

(3) فتح الباري، ابن حجر (12/ 362).

(4) سبق تخريجه.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (1/ 348) رقم 479.

... [illegible](3).

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لن تضره»(4).

قال ابن القيم: «والرؤيا الصحيحة أقسام: منها إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام، كما قال عبادة بن الصامت وغيره. ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها. ومنها التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم. ومنها عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له. ومنها دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك. فالتقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات»(5).

ومن علامات الرؤيا الصالحة توافر المسلمين عليها، كما حصل للصحابة رضي الله عنهم في رؤياهم ليلة القدر في السبع الأواخر، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»(1).

قال ابن القيم: «فإذا تواطأت رؤيا المؤمنين على شيء كان كتواطؤ روايتهم له، وكتواطؤ رأيهم على استحسانه واستقباحه، وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح»(2).

ومن علامات الرؤيا الصالحة صدق الحديث، فمن كان أصدق الناس حديثاً كان أصدقهم رؤيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»(3).

قال النووي: «ظاهره أنه على إطلاقه، وحكى القاضي عن بعض العلماء أن هذا

---

(3) [illegible] 279.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، 6/2563، رقم 6584.
(5) الروح، لابن القيم ص 29.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صلاة التراويح، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، 2/709، رقم 1911، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها، 2/823، رقم 1165.
(2) الروح، لابن القيم ص 9.
(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، 4/1773، رقم 2263.

يكون في آخر الزمان عند انقطاع العلم وموت العلماء والصالحين ومن يستضاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وقال ابن القيم: [illegible] [illegible] الرؤيا التي من الشيطان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام بالرؤيا، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إذا كانت رؤيا [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ثالثاً: حديث النفس:

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حديث النفس [illegible] [illegible] [illegible]

عليه الصلاة والسلام بين المقصود من رؤيا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا يحدث بها الناس».

[illegible] [illegible] أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا يحدث بها الناس».

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة[1].

قال القاضي عياض: [illegible] ما يكون من الأخلاط من باب ما يحدث به المرء نفسه [illegible] حيث المرء عليه في يقظته [illegible] حتى [illegible] ويتكلم به [illegible] [illegible] حتى في صحته [illegible] ويتكلم [illegible] الكلمات والأسماء التي يحدث بها المرء نفسه، [illegible] النائم[2].

قال المروزي: فربما كان في اليقظة يكون في منامه [illegible] يشتغل به في النوم[3].

قال القرطبي: فربما كان فيما يلاقيه في يقظته من الأعمال والعلوم والأقوال، وما يقوله الأطباء من أن الرؤيا من خلط غالب على الرائي[4].

والمراد هنا جميع الأحلام [illegible] من أمور [illegible] أن الرؤيا من أن تسافر أو ممن يبدو أو حزم على فعله، أو انشغل فكره بما له كمثل يراجع أو حاجة المستمرة وما إلى ذلك فقد تحدث به نفسه فإذا رأى ذلك الأمر في منامه فإنه يكون من قبيل الأحلام النفسية[5].

وهي كما وصفت في الحديث الشريف: ما يحدث به المرء نفسه، أو ما يهم به في يقظته فيراه في منامه، فهي ما يراه في منامه مما يقع له في مجريات حياته من الخواطر التي تجري من غير قصد وهذا كثير في مرائي الناس، [illegible] أو يأكل ويشرب [illegible] في اليقظة.

وعلامة هذا القسم أنه من الأمور المباحة فلا يسر لحال الرؤيا الصالحة، ولا يحزن كالتي من الشيطان، وهذا الهم والخواطر في اليقظة وهذا القسم لا حكم له ولا دلالة[6].

ثالثاً: أضغاث الأحلام:

قال ابن فارس: الضغث يدل على التباس الشيء بعضه ببعض، يقال للحالم: أضغاث الرؤيا، والأضغاث: الأحلام الملتبسة، والضغث: قبضة من قضبان أو حشيش، والأضغاث جمع ضغثة[7].

[1] أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب تعبير الرؤيا [illegible]
[2] إكمال المعلم، القاضي عياض [illegible]
[3] [illegible]
[4] فهم القبس، القرطبي [illegible]
[5] دراسة المقيد، الرؤيا من المراد [illegible]
[6] الرؤى عند أهل السنة [illegible]
[7] مقاييس اللغة، ابن فارس [illegible]

قال الأزهري: [illegible] أضغاث الرؤيا أخلاطها وأباطيلها، وقال [illegible]: أضغاث الرؤيا [illegible] ما لا تأويل له. قال: [illegible] أحلام لأنها مختلطة تداخل بعضها في بعض [illegible] من الرؤيا[1].

[illegible] أضغاث الأحلام الكاذبة المختلطة من الرؤيا، وقال جرير عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن الرؤيا منها حق ومنها أضغاث أحلام يعني بها الكاذبة. وقال الهروي: قوله تعالى: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي: أخلاط أحلام[2].

وقد جاء هذا الوصف في القرآن الكريم مرتين: مرة في شأن يوسف عليه السلام مع ملك مصر، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ (يوسف: 44).

ومرة في حكاية سخرية كفار قريش بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (الأنبياء: 5).

[illegible]

(1) تهذيب اللغة للأزهري [illegible].
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible].

بأنها الأضغاث [illegible] والهواجس المختلطة، [illegible] حلم من آخر[3].

[illegible] بأنها تحزين من الشيطان، كما [illegible] في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [illegible] الرؤيا تحزين من الشيطان، [illegible][4].

ويروى عنه في رواية عوف بن مالك رضي الله عنه بأنها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الرؤيا ثلاث، منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم[5].

ويرواه ابن أبي شيبة عن عوف بن مالك رضي الله عنه بلفظ: [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرؤيا [illegible] منها تخويف من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها الأمر يحدث به نفسه في اليقظة فيراه في المنام، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة[6].

[illegible] الأحلام في الأحلام

(3) [illegible].
(4) سبق تخريجه.
(5) سبق تخريجه.
(6) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه [illegible].

الشيطانية التي يصورها الشيطان للإنسان في أثناء نومه أشكالاً مختلفة من الأشباح المخيفة، التي تؤذي القلب وتثير في نفسه الآلام والمخاوف، وتسبب له القلق النفسي، فقد يرى أناساً يتربصون به، أو عدواً يطارده، وما هي إلا مجرد خيالات لا تمت إلى الواقع بصلة[1].

وفي كل الروايات نص بأنها من إيزاع من الشيطان الرجيم، وأن الشيطان يصور للإنسان في منامه ما يفزعه ويرهبه ليحزنه، ولمن رأى شيئاً من ذلك أن يستعيذ بالله تعالى من شرها، وذلك كما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لن تضره)[2].

وربما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتعوذ منها مع أنها خيال لا حقيقة له ليتخلص من التأثير النفسي، وما تحدثه من وساوس وأوهام وآلام نفسية قد تؤدي بصاحبها إذا استسلم لها إلى الجنون أو [illegible] المرء المسلم، لأن الرعب يحتل كثيراً [illegible] صاحبه ويقلقه، بعد فالمعرفة من هذه الرؤى يقضي على آثارها النفسية ويخلص المرء من الرعب كما روي عن أبي سلمة رضي الله عنه أنه قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني، حتى سمعت أبا قتادة رضي الله عنه يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الحلم من الشيطان)[3]، [illegible][4].

إذ الرؤيا [illegible] يطلع عليها [illegible] ولا يذكرها [illegible] وعن [illegible] ولا يعلم [illegible] على [illegible] ولا يحدث عن [illegible] لا يحدث [illegible].

ومن الأضغاث ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأعرابي جاءه فقال: إني حلمت أن رأسي قطع فأنا أتبعه، فزجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام)[5].

---

[1] [illegible]
[2] متفق عليه [illegible]
[3] [illegible]
[4] [illegible]
[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا.

قال ابن الجوزي: [illegible]

[illegible]

[illegible] قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible]

الرؤيا والنبوة

لقد كان للرؤيا الصالحة نصيب من النبوة في الفكر الكريم لأنها من الوحي بالنسبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهي من المبشرات بالنسبة لغيرهم [illegible] الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في النقاط الآتية.

أولاً: رؤيا الأنبياء وحي:

الرؤيا الصالحة هي أول مراتب الوحي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولهذا دون الإمام البخاري في أول صحيحه (كتاب بدء الوحي) وبوب له (باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) [illegible] حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)[1].

والمراد بفلق الصبح [illegible]

[illegible]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي [illegible] ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان [illegible]

بالقرآن الكريم في النوم من طريق الرؤيا، أما غير القرآن فهذا هو المقصود بالوحي، لأنه لا خلاف بين أهل العلم في أن رؤيا الأنبياء وحي كما تقدم من حديث البخاري في كتاب بدء الوحي، [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الشورى: ٥١].

[illegible] في المبحث الأول [illegible] بين الرؤيا والوحي.

[illegible] إبراهيم عليه السلام ما كان ليذبح ابنه بسبب رؤيا [illegible] من الوحي.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الصافات: ١٠٢].

[illegible] الأنبياء عليهم السلام [illegible] الله تعالى في رؤيا يوسف عليه السلام: ﴿[illegible]﴾ [يوسف: ١٠٠].

وعن [illegible] رضي الله عنه [illegible]

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه [illegible]

[illegible] الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

وثواب الخير ما جاء الله به من الخير، وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر»(1).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يومًا فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة» قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله» كما قال في الأولى، قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين» فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت»(2).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطيت مفاتيح الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم البارحة إذ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي» قال أبو هريرة: فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتقلونها»(3).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولت الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب»(4).

ثانيًا: رؤيا إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

إن الله سبحانه وتعالى قص علينا قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل عليه السلام [illegible] إبراهيم عليه السلام

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، [illegible].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب الرؤيا بالنهار، [illegible].

ومسلم في صحيحه، كتاب [illegible].

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، [illegible].

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، [illegible].

الله عز وجل أن يرزقه ولدًا من الصالحين، فبشره الله تعالى بذلك ورزقه غلامًا حليمًا [illegible]

[illegible]

قال ابن عاشور: [illegible]

[illegible]

قال الطبري: اختلفت القراء في قراءة [illegible]

قوله: (ماذا ترى) [illegible]

[illegible]

قال القرطبي: [illegible]

[illegible]

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

(٢) التحرير والتنوير [illegible]

[illegible]

أي: بمعنى (البصر) نحو: رأيته، وبمعنى (علم) نحو: رأيت زيدًا عالمًا، وبمعنى (ظن) نحو قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: 6-7].

فالأول بمعنى الظن، والثاني بمعنى العلم، وبمعنى اعتقد، نحو قولك: رأيت هذا الرأي.

أما (الرؤيا في المنام) فمن رؤية البصر، ولا يجوز أن تكون الرؤيا هنا بمعنى البصر؛ لأنه لم ينظر إلى شيء ببصره بالعين، ولا يجوز أن تكون بمعنى (علم) أو (ظن) [illegible] خطوران، وليس هناك إلا خطور واحد مع [illegible] أن يكون من (الرأي) والحس متلازمة[1].

قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات، وقال محمد بن كعب: كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظًا ورقودًا، فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم [illegible] في الخبر المرفوع، قال صلى الله عليه وسلم: إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا[2].

وقال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي، واستدل بهذه الآية، وقال: إن إبراهيم رأى في ليلة التروية كأن قائلًا يقول: إن الله يأمرك بذبح ابنك، فلما أصبح روّى في نفسه أي: فكر أهذا الحلم من الله أم من الشيطان؟ فسمي يوم التروية، فلما كانت الليلة الثانية رأى ذلك أيضًا [illegible]، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمي يوم عرفة، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر[3].

قال ابن كثير: [illegible] ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه. ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: امضِ لما أمرك الله من ذبحي ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل، وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 54][4].

وهذه [illegible] القرآنية في نص (الرؤيا) [illegible] الزمن الماضي [illegible] وأيضًا في الزمن المضارع [illegible] الأمر (افعل) [illegible]

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]
(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

www.modoee.com

عصمة السماء من إبلي: (فحملوا[illegible] الغافلين) جاءت الأفعال خصص الأسماء، لأن الأفعال تصرف بين الانتقاد الله يأمر إبراهيم بتنجيب ويعقوب [illegible] إسماعيل بتنجيب يعقوب.

ويرسم شكل العلاقات القائمة في الآية تجد العلاقة وتجاوز البعيد بين الابن والأب، ويتضح ذلك من خلال البيان التالي:

(الأب الأول):

١. ﴿[illegible]﴾.
٢. ﴿[illegible]﴾.
٣. ﴿[illegible]﴾.

(الابن إسماعيل):

١. ﴿[illegible]﴾.
٢. ﴿[illegible]﴾.
٣. ﴿[illegible]﴾.

وهذا يظهر دلالة السمو والرد والقرب المتحقق بين الأب وابنه، والله يقول إنه كما أنني قبل أن أرى ... وهذه الدلالة هي في مقصد الأب لاستشارة ابنه بما رأى، وكان بإمكانه تنفيذ الرؤيا دون أن يخبر ابنه، ولكن ليكشف الدرس الأخلاقي بأجمل صورة، وتظهر هذه الصورة حالة الذي يكون إن أبي الذرى إلى أن يريد الله الأرض ومن عليها، لاحت [illegible] بها الرؤيا لابنه، وكانت الاستجابة من الابن سريعة وتلقائية لم يحصل أية جولة من

حوارهما، هذه العلاقات جاءت في تبيح الرؤيا كلها[1].

قال ابن عاشور: فالمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه وثبات على ترك ما في طاعة ربه ... [illegible]

من الإنكار وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ [illegible].

وهكذا يبرز هذا الابتلاء في صورة الرؤيا ... [illegible]

قال الرازي: فيه الحكمة في ورود هذا التكليف في الرؤيا في اليقظة، أن هذا التكليف كان في نهاية المشقة على الذابح ...

[1] الرؤيا في القرآن، ص: ٣٧-٢٢.
[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣ / ١٤٠ - ١٥٠.

بالمشروع، فيرده أولاً في اليوم حتى يصير ذلك كالسبب لورود هذا التكليف الشاق [illegible] ثم يأكد ذلك [illegible] بأحوال [illegible] لا يصير هذا التكليف دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً(١).

ونقل القرطبي عن بعض أهل [illegible] أن إبراهيم [illegible] الله ثم نظر إلى الولد [illegible] فلم يرض [illegible] [illegible] فقيل له: يا إبراهيم [illegible] في مرضاتي، فشمر وأخذ السكين وأضجع ولده [illegible] اللهم [illegible] في مرضاتك [illegible] الله إليه: يا إبراهيم لم يكن المراد ذبح الولد، وإنما المراد أن ترد قلبك إلينا فلما [illegible] قلبك بالكلية إلينا [illegible] وذلك [illegible] لما أرى إبراهيم ذبح ولده في منامه قال الشيطان: والله إن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحداً، [illegible] الشيطان لهم في صورة الرجل، ثم أتى أم الغلام وقال: أتدرين أين يذهب إبراهيم [illegible] قالت: لا، قال: إنه يذهب به ليذبحه، قالت: كلا هو أرأف به من ذلك، فقال: إنه يزعم أن ربه أمره بذلك قالت: [illegible] أمره بذلك فقد أحسن [illegible] ثم أتى الغلام فقال: أتدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: لا، قال: فإنه يذهب بك ليذبحك، قال: ولم؟ قال: زعم أن ربه

أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره الله به، سمعاً وطاعة لأمر الله، ثم جاء إبراهيم فقال: أين تريد؟ والله إني لأظن أن الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك، فعرفه إبراهيم فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي، فلم يصب الملعون منهم شيئاً. وقال ابن عباس: لما أمر إبراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الأخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم لأمر الله تعالى(٢).

لقد حملت هذه الرؤيا عزماً للبشرية، جسدت رؤي تلك حكمة إلهية في امتثاله عليه السلام لأمر الله، ولو كان فيها بكره، ومرتبطة الأمر دال على طهارة القلب كل من الأب والابن، فكلاهما على خلق عظيم، ومن صفات الأنبياء، وفيها بشرى بأن إسماعيل [illegible] بأنها إشارة لاستجابة دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٢٨].

---

(١) [illegible] الرازي (٢٦/ ١٥٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/ ١٠٤-١٠٥). [illegible] وقول ابن عباس أخرجه أحمد في مسنده [illegible]، والحاكم في المستدرك [illegible]، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

بإسماعيل المتعلق الأمر فإنه لم يكن [illegible] الله البشرى [illegible] الفداء [illegible] إسماعيل عليه السلام بالكتاب، وهو [illegible] الفداء الذي [illegible] (٢).

[illegible] على أنه من نذر نحر ابنه أن [illegible] يكون، كما فدى به إبراهيم [illegible] الله ابن عباس، وعنه رواية أخرى: [illegible] الإبل [illegible] عبد المطلب [illegible] وروى عن الزهري [illegible] عنه [illegible] ابن [illegible] يجزيه كفارة يمين، وقال مسروق: لا شيء عليه، وقال الشافعي: هو معصية يستغفر الله منها، وقال أبو حنيفة: هي كلمة يلزم بها في ولده ذبح شاة، ولا يلزمه في غير ولده شيء، وقال محمد: عليه في الحلف بنحر عبده مثل الذي عليه في الحلف بنحر ولده إذا حنث.

وذكر ابن عبد الحكم عن مالك فيمن قال: أنا أنحر ولدي عند مقام إبراهيم في يمين، ثم حنث فعليه هدي، قال: ومن نذر أن ينحر ابنه ولم يقل: عند مقام إبراهيم ولا أراد ذلك فلا شيء عليه، قال: ومن جعل ابنه هديًا أهدى عنه.

قال القاضي ابن العربي: يلزمه شاة كما قال أبو حنيفة، لأن الله تعالى جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح الشاة شرعًا، فألزم الله إبراهيم ذبح الولد، وأخرجه عنه بذبح شاة، وكذلك إذا نذر العبد ذبح ولده يلزمه أن يذبح شاة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

والإيمان إلزام أصلي، والنذر إلزام فرعي، فيجب أن يكون محمولًا عليه. فإن قيل: كيف يؤمر إبراهيم بذبح الولد وهو معصية، والأمر بالمعصية لا يجوز؟

قلنا: هذا اعتراض على كتاب الله، ولا يكون ذلك ممن يعتقد الإسلام، فكيف بمن يفتي في الحلال والحرام، وقد قال الله تعالى: ﴿افعل ما تؤمر﴾ والذي يجلو الالتباس عن قلوب الناس في ذلك أن المعاصي والطاعات ليست بأوصاف ذاتية للأعيان، وإنما الطاعة عبارة عما تعلق به الأمر من الأفعال، والمعصية عبارة عما تعلق به النهي من الأفعال، فلما تعلق الأمر بذبح الولد إسماعيل من إبراهيم صار طاعة وابتلاء، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ (الصافات: ١٠٦).

أي الصبر على ذبح الولد والنفس، ولما تعلق النهي بنا في ذبح أبنائنا صار معصية.

فإن قيل: كيف يصير نذرًا وهو معصية؟

قلنا: إنما يكون معصية لو كان يقصد ذبح الولد بنذره، ولا ينوي الفداء.

فإن قيل: فقد وقع ذلك وقصد المعصية ولم ينو الفداء؟

(٢) [illegible] القرآن الكريم [illegible]

فلماذا لم تقصد ذلك لم يخبره في المنام ولا أثر في ترتيبه الآن تقرر الرؤيا صار جائزا من نوع المتشابه[1].

قال الزرقاني: علمت أن من هذا العرض الكريم قصة إبراهيم الخليل ورؤياه الذبيح إسماعيل ما يفيد أن سبحانه لم يأمر إبراهيم بذبح ولده ثم نسخ ذلك قبل أن يتمكن من الفعل، وهذا ما أنا قرب بالذبح في المنام إلخ.

الرد: قول إبراهيم لولده ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ الأنبياء حق من ناحية، وأن مشاورة إبراهيم لولده في هذا الأمر الجلل تدل على أن هذا أمر لا بد منه من ناحية أخرى، ولولا أنها فرضه الله المشاورة المطلوبة الرحيمة التي هي أول مراحل السعي إلى التنفيذ.

ثانيا: أن إسماعيل أجاب أباه بإجابة صحيحة، وفهم الأمر بها: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

ثالثا: أن إبراهيم اتخذ سبيله إلى مباشرة الأسباب القريبة للذبح عندما أسلم ولده واستسلم إسماعيل لقضاء ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (الصافات: ١٠٣).

رابعا: أن الله نادى بأنه قد صدق الرؤيا أي فعل من صدقها وحققها، ولو لم يكن ما رآه إلا من الله وأنه ما استدعى الله على تصديقه رؤياه وسعيه إلى تحقيق ما أمر سواه.

خامسا: أن الله فدى إبراهيم بذبح عظيم، فلو لم يكن ذبح إسماعيل مطلوبا لما كان ثمة داع إلى الفداء.

سادسا: أن الله امتحن إبراهيم بأنه من الموقنين ومن المحسنين المستحقين لإكرام الله إياه بالفرج بعد الشدة، وإن سبحانه أن هذا هو البلاء المبين، ولهذا يكرمه عليه في الآخرين ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: ١٠٩).

وكل ذلك يدل على أن الله أمر بالذبح، وتحقق أنه الابتلاء المستحيل والصالح.

وأما أن الله نسخ هذا الأمر قبل تمكن إبراهيم من الفعل، فيرشد إليه مسارعة إبراهيم للطاعة بالخطوات التي حققت، والمحاولات التي حاولها، وهي مقاومة وكيد حتى يستطيع معه أن يصل إلى إجراء آخر، لم استسلامهما بالفعل لمعاينة الذبح وصرعه للقاء كيف يقاوم عنه على جبينه، كيما يقع السكين بينه وبينه كما أمر رب العالمين، وكان من جاء النداء بالفداء قبل التمكن من الامتثال وحقيقة الذبح[2].

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٥/١٠٢-١٠٣.

(٢) مناهل العرفان الزرقاني ٢/٢٢٨-٢٣٠.

www.mobee.com

ثالثاً: رؤيا يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٤-٥].

سورة يوسف من السور المميزة في باب الرؤيا لوجود أربع رؤى فيها من بين الرؤى المذكورة في القرآن الكريم، وقد ابتدأت قصة يوسف عليه السلام برؤياه التي رآها، قال تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وانتهت القصة بتحقيق رؤياه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

وهذه الأحداث التي في رؤيا يوسف عليه السلام تختلف عن الأحداث التي في رؤيا إبراهيم عليه السلام، ويترتب على ذلك اختلاف في التأويل، وكما أن رؤيا إبراهيم عليه السلام لها مكانة كما أن رؤيا يوسف عليه السلام لها مكانة [illegible] اختيرت قصة يوسف التي ابتدأت بها من أحسن القصص.

وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الأحد عشر كوكبًا عبارة عن إخوته، وكانوا أحد عشر رجلاً سواه والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه، روي هذا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل: ثمانين سنة، وذلك حين رفع أبويه على العرش، وهو سريره، وإخوته بين يديه ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠](١).

قال الطبري: عرفوا ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ بقوله: والشمس والقمر، [illegible] وقال ﴿سَاجِدِينَ﴾ والكواكب والشمس والقمر إنما يخبر عنها بفاعلة وفاعلات لا بالواو والنون؛ لأن الواو والنون إنما هي علامة جمع أسماء ذكور بني آدم أو الجن أو الملائكة، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأن السجود من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون أو الواو والنون، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك كما قيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].

وقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ وقد قيل: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ فكرر الفعل، وذلك على كلام العرب إذا [illegible] توكيدًا للفعل بالتكرار(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٣٧٢).

(٢) جامع البيان، الطبري (١٥/ ٥٥٦).

وقال القرطبي في قوله تعالى: [illegible]

[illegible]

قال القرطبي: [illegible]

[illegible]

قال ابن كثير: [illegible]

[illegible]

قال القرطبي: [illegible]

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

(٢) جامع البيان، الطبري [illegible]

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

[illegible]

www.modoee.com

على من لا يحسن التأويل فهذا [illegible] الآية دليل على أن [illegible] أن يحذر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلًا في معنى الغيبة؛ لأن يعقوب عليه السلام قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته [illegible] ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته [illegible] [illegible]

[illegible] ([illegible] الرؤيا)[1].

وقد أخرج الطبري بسنده عن جابر رضي الله عنه [illegible] رأها يوسف عليه السلام [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] اليهودي [illegible] يا محمد [illegible] من الكواكب التي رآها يوسف [illegible]

الله عليه وسلم [illegible] جبريل [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] والطارق [illegible] والفيلق والمصبح والضروح وذو الفرغ والضياء والنور [illegible] ([illegible])[2].

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

(يوسف: ١٠٠)

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

(يوسف: ٤)

وقد [illegible] في [illegible]

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ١٢٦-١٢٧).

(2) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ [illegible]).

سجدوا على التكبير وسجودهم له، ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم ذلك في هذه الملة وجعل السجود مختصًا بجناب الرب سبحانه وتعالى، والغرض أن هذا كان جائزًا في شريعتهم ولهذا خروا له سجدًا فعندها قال يوسف: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ أي: هذا ما آل إليه الأمر، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا من خير وشر.

وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ أي: صحيحة صدقًا، يذكر نعم الله عليه ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ أي: البادية"(١).

قال الرازي: [illegible]

[illegible]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه لما [illegible]

رأى سجود أبويه وإخوته [illegible] من قبل [illegible] على [illegible] في العلم والدين والرتبة [illegible]

وقد جاء في كتاب ضوابط تعبير الرؤيا [illegible] السلام على [illegible]:

الأولى: مشروعية قص الرؤيا على أهل العلم والفضل [illegible]

الثانية: [illegible]

الثالثة: [illegible]

الرابعة: [illegible]

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

(٢) [illegible]

تكون لكل البشر، فلا تحصل لأهل العلوم الفاسدة والأعمال الخبيثة الذين يتشرون الرتبة في السيئات، بل لا تكون إلا لأهل الاجتباء من الله، فلا تحصل إلا لأهل العلوم النافعة والأعمال الصالحة والأخلاق الجميلة، ولذلك قال يعقوب ليوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

الخامسة: إن من علم أن المكاره والمشقات تفضي إلى الخير والراحة [illegible] وهذا [illegible] ويحصل بذلك من اللطف والروح في [illegible] كما أشار إلى يوسف في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [illegible] يوسف عليه السلام [illegible] لما كانت له [illegible] بعد حصول [illegible] على أنه [illegible] يحصل له [illegible] الإنسان رؤيا [illegible] إلى خير [illegible] بعد حصول مكروه [illegible] الرائي [illegible] الاستعداد [illegible].

السادسة: البشارة العظيمة ليعقوب وآل يوسف بأخوته بحصول الرفعة والصلاح والعز.

السابعة: إنه يحسن على الإنسان أن يحذر بين أولاده [illegible] أنه إذا كان يحب أحدهم أكثر من غيره ألا يظهر ذلك ما أمكنه، وأن لا يخصه بما يطعن الحسد [illegible] من الأكابر، فإنه أقرب إلى صلاح الأولاد [illegible] فيما [illegible] ظهر الأمر [illegible] يوسف [illegible] وعدم صبره [illegible] في [illegible] الطريق [illegible] وبين أبيه.

الثامنة: في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [illegible] فيه الآتي:

١. أنه الأصل أن لا تقص الرؤيا إلا على ناصح أو حبيب ولا تقص إلا على من يحسن تأويلها.

٢. أنه يحذر المسلم أخاه المسلم [illegible] مما يخشى عليه.

٣. جواز ترك إظهار النعمة عند من يخشى [illegible] حسدًا وكيدًا.

٤. [illegible] يعقوب بأويل الرؤيا [illegible] علم من [illegible] عليهم.

٥. أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره، وهذا لقوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

التاسعة: في قول إخوة يوسف: ﴿لَيُوسُفُ﴾

﴿... ﴾ [يوسف: ...]

إن الشدة في حال الشدة يكمل النهاية لا يقبض البداية، فإذا أرادوا يقترب جرى منهم ما جرى في أول الأمر سدا عن كل أسباب النقص والكرب ثم انتهى أمرهم إلى النهاية الصحيح والسماح من يوسف، ومن أبيهم الدعاء لهم بالمغفرة[1].

رابعا: رؤى النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

لا شك أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحي، وقد القرآن الكريم ذكر رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام ورؤيا نبي الله يوسف عليه السلام كما تقدم، وقد ذكر في القرآن الكريم الآخر من رؤيا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا هو متفق عليه عند المفسرين أنها رؤيا في المنام، وهنا ما هو مختلف في تفسيرها: هل هي رؤيا عين أم أنها رؤيا في المنام؟

وإنما بدأ بما هو متفق عليه ورؤيا النبي عليه الصلاة والسلام المنصوص عليها في القرآن الكريم هي:

١- رؤيا دخول مكة.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمدا رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين لا يخافون أهل الشرك، مقصرا بعضهم رأسه ومحلقا بعضهم"[2].

ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا أنه أراه رؤيا صادقة؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي ... ولم يكن في حين نزول الآية لم يحصل الرؤيا ...

(1) ...

(2) جامع البيان للطبري (٢٦/ ...).

(يوسف: ١١٠)[١].

قال ابن الجوزي: إنه حكاية ما قال النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فوجب في حاله بما جرت به العادة، فأمر الله من رسوله أنه قال لقلقه ولهذا استثنى، فأدب بأدب الله تعالى حيث قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الكهف: ٢٣-٢٤).

وقيل: خاطب الله العباد بما يجب أن يقولوه، كما قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾.

وقيل: استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون، قاله ثعلب. وقيل: كان الله علم أنه يموت بعض هؤلاء الذين كانوا معه بالحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى، قاله الحسين بن الفضل.

وقيل: الاستثناء من ﴿آمِنِينَ﴾، وذلك راجع إلى مخاطبة العباد على ما جرت به العادة.

وقيل: معنى ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾: إن أمركم الله بالدخول.

وقيل: أي: إن سهل الله.

وقيل: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: كما شاء الله.

وعقبه بشرط الشرط بذلك علم المخاطبين بأمر أصحاب بذلك [illegible] [illegible] الله في المنام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله في المنام المقبل، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾.

وبينما قيل له في المنام: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ فحكى في التنزيل ما قيل له في المنام فليس هنا شك، كما زعم بعضهم أن الاستثناء يدل على الشك، والله تعالى لا يشك، و﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ تحقيق، فكيف يكون شك. ﴿إِنْ﴾ بمعنى ﴿إِذْ﴾. ﴿آمِنِينَ﴾ أي: من العدو.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أي: من دون رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتح خيبر، قاله ابن زيد والضحاك.

وقيل: فتح مكة. وقال مجاهد: هو صلح الحديبية، وقاله أكثر المفسرين.

قال الزهري: ما فتح الله في الإسلام كان أعظم من صلح الحديبية؛ لأنه إنما كان القتال حين يلتقي الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضًا، فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه، فلقد

دخل [illegible] [illegible] السنتين [illegible] [illegible]

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ١٩٨-١٩٩).

دخل أولئك السنتين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر، ولذلك على ذلك أنهم كانوا سنة ست يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة، وكانوا بعد عام الحديبية سنة ثمان في عشرة آلاف[1].

قال ابن كثير: «فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به. وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضًا حذو القذة بالقذة[2].

ولهذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ ... ذلك ﷺ. وهذا تحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء[3].

وفي الصحيحين أن سهل بن حنيف رضي الله عنه قام يوم صفين فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالًا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: «بلى». فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا». فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدًا. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: «نعم».

قال الزهري: «قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا»[4].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٢٩٠-٢٩١).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، (٢/ ٩٧٤)، رقم (٢٥٨١).

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٦٩).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر، (٣/ ١١٦٢)، رقم (٣٠١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، (٣/ ١٤١١)، رقم (١٧٨٥).

قال الحافظ ابن حجر: «المراد بـ الأعمال الصالحة [illegible] في الأعمال [illegible] حديث الصحيح [illegible] رواية ابن إسحاق [illegible] الصدق والصوم والصلة والعفاف [illegible] به وعده [illegible] من حديث ابن عباس قال: [illegible]»[1].

وقد وقع للصحابة رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع، ودخلوا آمنين غير خائفين كما وعدهم الله عز وجل.

٢. رؤيا ليلة الإسراء والمعراج:

والرؤيا الثانية التي ذكرت في القرآن الكريم وذكر فيها أن الله سبحانه وتعالى أراها النبي صلى الله عليه وسلم هي رؤيا ليلة الإسراء والمعراج، وقد ذكرت بعض التفاسير الخلاف فيها هل هي رؤيا عين أم هي رؤيا منام.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الإسراء: ٦٠).

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس، قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ قال: هي شجرة الزقوم[2].

[illegible]

قال الطبري: حدثني محمد بن سعد قال: [illegible] عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

(١) فتح الباري: ابن حجر ٧/ ٣٦١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ٣/ ١٤١٢، رقم ٣٦٧٥.

بمجمله قائم[1].

قال القرطبي: وعلى هذا التأويل تكون [illegible] السورة مكية، وذلك الرؤيا كانت بالمدينة[2].

بالإضافة إلى ذلك فإن هذا السند ضعيف لا يرقى من أي وجه [illegible] مع سند الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد قال عنه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه: هذا الإسناد من أكثر الأسانيد [illegible] في تفسير الطبري، وهو إسناد [illegible] من أسرة واحدة إن صح [illegible] هذا التعبير[3].

وعليه فإن ابن عباس رضي الله عنهما قد حسم الأمر فيها بأنها رؤيا عين، ولا عبرة بأي قول آخر.

قال ابن كثير: [illegible] الإسراء [illegible] سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرين، والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا، فكانت فتنة للناس[4].

2. رؤيا المشركين في بدر:

والرؤيا الثالثة التي ذكرت في القرآن الكريم، وأراها النبي عليه الصلاة والسلام يتعلق برؤيا المشركين في غزوة بدر، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الأنفال: ٤٣).

قال الطبري: [illegible] يا محمد سميع لما يقول أصحابك، عليم [illegible] [illegible] عدوك في منامك قليلا، حتى [illegible] قليلا وجرأتهم على حرب عدوهم، ولو أراك ربك عدوك [illegible] أصحابك [illegible] على حرب القوم، [illegible] ولكن الله سلمهم من ذلك، بما أراك في منامك من [illegible] إنه عليم بما تخفيه الصدور، لا يخفى عليه شيء مما تضمره القلوب[5].

قال القرطبي: [illegible] على أن الرؤيا [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من [illegible] قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول سعيد بن جبير [illegible]

(1) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٤٨٣.
(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/ ٢٨١.
(3) جامع البيان، الطبري ١/ ٢٦٣.
(4) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٩٢.
(5) جامع البيان، الطبري ١٣/ ٥٧٢.

[illegible]

قال ابن كثير: [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ أي: [illegible]

[illegible]

قال ابن كثير: [illegible]

قال الزمخشري: [illegible]

[illegible]

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه [illegible]

(٢) [illegible]

رؤيا ملك مصر وتأويلها

أولاً: رؤيا ملك مصر:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۝ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

قال القرطبي: هذا الملك الأكبر الريان بن الوليد رأى في نومه كأنما خرج من نهر يابس سبع بقرات سمان في أثرهن سبع عجاف أي: مهازيل، وقد أقبلت العجاف على السمان فأخذن بآذانهن فأكلنهن إلا القرنين، ورأى سبع سنبلات خضر قد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلتهن حتى أتين عليهن فلم يبق منهن شيء وهن يابسات، وكذلك البقر كن عجافاً فلم يزد فيهن شيء من أكلهن السمان، فهالته الرؤيا فأرسل إلى الناس وأهل العلم منهم والبصر بالكهانة والنجامة والعرافة والسحر وأشراف قومه، فقال: يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي، فقص عليهم، فقال القوم: أضغاث أحلام[1].

قال الألوسي: عبر عن ذلك بالأمر، وعن طلب التأويل بالاستفتاء تهويلاً للأمر وتفخيماً لشأنه، إذ الاستفتاء إنما يكون في النوازل المشكلة والحكم المبهمة[2].

قال ابن كثير: هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززاً مكرماً، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة والحزاة وكبراء دولته وأمراءه وقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك، واعتذروا إليه بأن هذه ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي: أخلاط اقتضت رؤياك هذه ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ أي: ولو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها، فعند ذلك تذكر ذلك الذي نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف، وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٩٨).
(٢) روح المعاني للألوسي (١٢/ [illegible]).
(٣) [illegible]

www.modoee.com

يوسف من ذكر أمر الملك بعد ذلك فذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: مدة.

وقال بعضهم: ﴿بَعْدَ أَمَهٍ﴾ أي: بعد نسيان.

فقال للملك والذين جمعهم للفتيا ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: بتأويل هذا المنام ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أي: ابعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن، ومعنى الكلام: فبعثوا فجاء فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ وذكر المنام الذي رآه الملك.

فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى في نسيانه ما وصاه به، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك، بل قال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي: يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ففسر البقر بالسنين؛ لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع، وهن السنبلات الخضر.

ثم أرشدهم إلى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: مهما استغللتم في هذه السبع السنين الخصب فادخروه في سنبله، ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، وليكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفعوا في السبع الشداد، وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع متواليات، وهن البقرات العجاف اللاتي يأكلن السمان؛ لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب، وهن السنبلات اليابسات، وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئا، وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء.

ولهذا قال: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ أي: يأتيهم الغيث، وهو المطر، وتغل البلاد، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت ونحوه، وسكر ونحوه، حتى قال بعضهم: يدخل فيه حلب اللبن أيضا. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يحلبون(1).

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾: هذا خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رؤيا الملك، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقه(2).

قال ابن عاشور: فإن الرؤيا لم تتضمن ما [illegible] في الأرض [illegible] في مراعي الأبقار [illegible] في مراعي غير الأبقار [illegible] رؤيا الملك [illegible] يوسف في السجن [illegible]

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

(2) جامع البيان للطبري [illegible]

"الأولية"(١).

قال القرطبي: "هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تخرج على حسب ما رأى، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن، فكيف إذا كانت آية لنبي ومعجزة لرسول وتصديقًا لمصطفى للتبليغ وحجة للواسطة بين الله جل جلاله وبين عباده"(٢).

ثم قال: "فإن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءًا من النبوة فكيف يكون للكافر والكاذب والمخلط أجزاء لها؟ [illegible] الكافر والفاجر [illegible] صادقات، كرؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات ومنام الفتيين في السجن، ورؤيا بخت نصر التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، ومنام عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره [illegible] ترجم البخاري: باب رؤيا أهل السجن؛ فالجواب أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديثه عن غيب يكون خبره ذلك نبوة، وقد تقدم في (الأنعام) أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على الندور

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، [illegible].
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible].

والقلة، فكذلك رؤيا هؤلاء. قال المهلب: إنما ترجم البخاري بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة كما كانت رؤيا الفتيين صادقة، إلا أنه لا يجوز أن تضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها، إذ ليس كل ما يصح له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءًا من النبوة"(١).

وقد تصدق رؤيا الكافر، ولا تكون جزءًا من النبوة، ولا مبشرات، ولكن [illegible] له أو لغيره وعظة(٢).

وقد ذكر الشيخ عبدالله الغليان بعض الفوائد المستنبطة من رؤيا ملك مصر وقد جمعها جمعة لطيفة من بعض كتب التفسير نذكر منها:

● إن مكانة الرؤيا عظيمة في شرعي السابقين فكان ولا بد من عرضها على أهل التأويل، ولذا أرسل الملك إلى أهل العلم منهم والعبر والكهانة والعرافة والسحر وأشراف القوم وغيرهم ليؤولوها.

● أنه يوسف عليه السلام في تعبير الرؤيا إنما عبر الناس من تفسير رؤيا الملك البقرات والسنبلات، فسرها بالسنين الخصبة والسنين الجدبة، ووجه المناسبة أن الملك ترتبط به

(١) المصدر السابق [illegible].
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم [illegible].

أموال الزكاة ومصالحها ... [illegible]

... [illegible] ... الأرض ... [illegible]

[illegible]

وإضافة إلى ذلك ... [illegible]

[illegible]

يوسف عليه السلام ... [illegible]

[illegible]

وأخيرًا ... [illegible] ... يوسف عليه السلام ... [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ... [illegible]

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ... [illegible]

ثالثا: رؤيا الفتيان:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٣٦ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٣٧ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝٤١﴾ [يوسف: ٣٦-٤١].

ذكر القرآن الكريم قصة هذين الفتيين اللذين دخلا السجن مع يوسف عليه السلام [illegible] كان أحدهما ساقي الملك والآخر خبازه[٣].

وقال [illegible]

الطعام، فلما حضر الطعام قال الساقي: أيها الملك لا تأكل فإن الطعام مسموم، وقال الخباز: أيها الملك لا تشرب فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقي: اشرب، فشرب فلم يضره، وقال للخباز: كل من طعامك، فأبى، فجرب الطعام على حيوان فنفق مكانه، فحبسهما سنة، ورأيا في السجن تلك المنامة [illegible][١].

[illegible]

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [illegible] يوسف عليه السلام [illegible] في السجن [illegible]

[illegible][٢].

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible]
(٢) المصدر السابق [illegible]
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

قال الألوسي: وأما رؤيا صاحبي السجن فقد أبدأ عليه السلام بعد تعبيره رؤيا صاحبي السجن بقوله سجن، وفي تعليق الفؤاد الشاكرين بالمحسنين لاختيار عقلية الإحسان له، ولذلك على أن تعالى إنما أتاه ما أتاه لكونه محسنًا في أعماله متقنًا في حقوق ربه، ومن هنا قال الحسن: من أحسن عبادة الله سبحانه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله(1).

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ أي: الذي ... وقال للآخر: وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه. قال: والله ما رأيت شيئًا. قال: رأيت أو لم تر ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(2).

وقد ذكر أهل التفسير قولين في رؤيا صاحبي السجن: الأول: لابن عباس رضي الله عنهما ومن تابعه بأن رؤيا صاحبي السجن رؤيا صحيحة، والثاني لابن مسعود رضي الله عنه ومن تابعه بأن رؤيا صاحبي السجن رؤيا كذب.

وعند الطبري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما رأى صاحبا يوسف شيئًا، إنما كانا تحالما ليجربا علمه، وقال قوم: إنما سأله الفتيان عن رؤيا كانا رأياها على صحة وحقيقة، وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها(1).

الثاني: قول: والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه وأنهما رأيا ذلك رؤيا ... (2).

قال القرطبي: قال ابن عباس ومجاهد: كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها، ولذلك صدق تأويلها(3).

ونقل القرطبي عن العلماء قولهم: إن قيل: من كذب في رؤياه ففسرها العابر له أيلزمه حكمها؟ قلنا: لا يلزمه، وإنما كان ذلك في يوسف لأنه نبي، وتعبير النبي حكم، وقد قال: إنه يكون كذا وكذا، فأوجد الله تعالى ما أخبر كما قال تحقيقًا لنبوته. فإن قيل: فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني رأيت كأني أعشبت ثم أجدبت ثم أعشبت ثم أجدبت، فقال له عمر: أنت رجل تؤمن ثم تكفر، ثم تؤمن ثم تكفر، ثم تموت كافرًا، فقال الرجل: ما رأيت شيئًا، فقال له عمر: قد قضي لك ما قضي لصاحب يوسف. قلنا: ليست لأحد بعد عمر؛ لأن عمر كان محدَّثًا(4).

---

(1) روح المعاني للألوسي ...
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ... ١٩٣.

(1) جامع البيان للطبري (١٢) ٢١٧.
(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤) ٣٨٨.
(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩) ١٨٩-١٩٠.
(4) المصدر السابق (٩) ١٩٢.

وقد مر بنا في مطلب رؤيا ملك مصر بأن هذه الآيات أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تخرج على حسب ما رأى، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن، فكيف إذا كانت آية لنبي ومعجزة لرسول، وأنها ليست من أضغاث الأحلام.

وقد ظهرت فوائد كثيرة من هذه الرؤيا [illegible].

ذلك الدرس الواعي للدعاة في سبيل الله، وكيف استطاع سيدنا يوسف عليه السلام أن يستثمر سؤالهم عن تعبير الرؤيا إلى دعوتهم إلى عقيدة توحيد الله عز وجل [illegible] عليه السلام [illegible] الإجابة [illegible].

قال الألوسي: [illegible] عليه السلام [illegible] إلى الحق وإرشادهما إلى [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أم الله [illegible] [illegible] الواحد القهار [illegible].

عن وملأ[1].

وقال ابن كثير عن ابن جريج أنه قال: إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا، لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما، فأحب أن يشغلهما بغير ذلك لئلا يعاودوه فيها [illegible] الموعظة.

قال ابن كثير: [illegible] [illegible] الله يعني: ابن جريج: نظره لأنه قد وعدهما أولاً بتعبيرها، ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام، لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه والإنصات إليه، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال[2].

ظهر أدب يوسف عليه السلام في مخاطبتهما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأمر، وذلك التمهيد [illegible] [illegible] الرؤيا[3].

يجوز للعالم أن يخبر الناس بعلمه لا لأجل الفخر والمباهاة بل ليقتدى الناس به [illegible].

لا يلزم طالب العالم حسن [illegible] [illegible].

[1] روح المعاني [illegible].
[2] تفسير القرآن العظيم [illegible].
[3] [illegible].

يخدمه ولقيت صاحبك إذ كان ذلك يكون التعلم والمشاهدة.

وذكر السعدي منها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير الرؤيا داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، وقال الملك: ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾، وقال الفتى ليوسف: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم(1).

الأصول القرآنية في تعبير الرؤى

لم يترك القرآن الكريم شيئًا من مصالح الناس إلا وقد أمر به، ولا شيئًا من مفاسد الناس إلا ونهى عنه سدًا لاختلاف نقله أو حسن ألفاظ الصريح.

ولهذا أجمع أهل العلم على أن مقاصد الشريعة مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن هذه المصالح المتعلقة بالإنسان والتي راعاها القرآن الكريم ورسمها في طريقه في الرؤيا وتعبيرها، والتي وضع لها أصولاً نستمدها من قصة إبراهيم ويوسف ونبينا محمد عليهم الصلاة والسلام، فضلاً من باقي الرؤى الثلاث التي ذكرت في سورة يوسف.

قال ابن خلدون: هذا العلم من العلوم الشرعية، وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها، وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجودًا في السلف كما هو في الخلف، وربما كان في الملوك والأمم من قبل، إلا أنه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام، وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها، فلقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن، وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٠٢.

ومن أبي بكر رضي الله عنه بالرؤيا حرك من شارك النبي(١).

ومن أهم أصول وقواعد تعبير الرؤيا:

١- السؤال عن الرؤيا:

الرؤى التي جاءت في القرآن الكريم محفوظة بعضها للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم إبراهيم ويوسف ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهي لم يقتها [illegible] لاستغنائهم عنه بالوحي، وكذلك رؤى أخرى غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في سورة يوسف وهي رؤيا ملك مصر، ورؤيا الفتيين صاحبي السجن، وهؤلاء طلبوا من نبي الله يوسف عليه السلام [illegible] تأويل لصاحبهم لها وعلمهم بتعبيره [illegible] ﴿[illegible]﴾ [يوسف: ٣٦].

ومن هنا نستحب لمن يحصل لتعبير رؤياه أن يسأل عنها من يكون أهلًا للتعبير [illegible].

وقد جاء النبي عليه الصلاة والسلام على التعبير للرؤى حينما كان يسأل أصحابه صباح كل يوم.

فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص)(١).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يقول لأصحابه: من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له)(٢).

قال النووي: قوله في هذا الحديث الحث على علم الرؤيا والسؤال عنها وتأويلها. قال العلماء: وسؤالهم محمول على أنه صلى الله عليه وسلم يعلمهم تأويلها وفضيلتها واشتمالها على ما شاء الله تعالى من الإخبار بالغيب(٣).

قال ابن عبد البر: «وهذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها لأنه لم يكن صلى الله عليه وسلم يسأل إلا [illegible] إلا ليقصها عليه ويعبرها ليتعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها، وذلك دليل على فضل عبارة الرؤيا وشرف علمها، وحسبك يوسف صلى الله عليه وسلم وما أعطاه الله

(١) [illegible]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح [illegible] رقم [illegible].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا [illegible].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم [illegible].

حياة ولي أنبياء الله أسوة حسنة صلوات الله عليهم[1].

٢. الرؤى الصالحة تقع كما ترى، وتقع على غير ما ترى.

قال الكرماني: رؤيا الأنبياء تنقسم قسمين: رؤيا تقع كما ترى، وذلك مثل ما رأى النبي عليه السلام أنه يدخل المسجد الحرام [illegible] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية، ورؤيا تقع على غير ما يرى، كرؤيا يوسف عليه السلام بدليل قوله ﴿[illegible]﴾ [يوسف: ٤] الآية، فكانت أخوة يوسف [illegible] ﴿[illegible]﴾ [يوسف: ١٠٠] الآية [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] رؤيا إبراهيم من القبيل الثاني [illegible] من القبيل الأول [illegible] ﴿[illegible]﴾ [الصافات: ١٠٢][2].

[illegible] الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل هو كذلك في [illegible] من الصالحين [illegible] رؤيا [illegible] من تقع رؤياه على غير ما رأى، وأما قول الكرماني بأن رؤيا إبراهيم عليه السلام من القبيل الثاني فلا تسلم به بل الأرجح أن رؤيا إبراهيم عليه السلام من النوع الأول، ولكن الله عز وجل صرف [illegible] على سيدنا إبراهيم أن [illegible] عليهم الصلاة والسلام [illegible] الأنبياء [illegible] القبيل الثاني [illegible] الاجتهاد [illegible] إسماعيل عليه السلام ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الله عليه وسلم [illegible] في المنام [illegible] [illegible][3].

والله أعلم، [illegible] على [illegible] والسلام.

ومن القبيل الثاني: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في السنة [illegible]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] رقم ٣٦٩٤ [illegible] ومسلم في صحيحه، كتاب [illegible] رقم ٢٣٩٨.

(٢) [illegible] ابن عبد البر [illegible].

(٣) [illegible] الكرماني [illegible].

الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بمهيعة، فتأولتها أن وباء المدينة نُقل إلى مهيعة، وهي الجحفة»(1).

3. تعبير الرؤيا علم عظيم:

إن تعبير الرؤيا علم من العلوم بنص الآيات القرآنية، ولهذا نجد أن الإمام البخاري أفرد كتابًا في صحيحه سماه كتاب التعبير، وضمنه أحاديث كثيرة، وروى فيه عن الأحاديث في الرؤى، وكذلك فعل مسلم في صحيحه في كتاب الرؤيا، وكذلك أصحاب السنن والمصنفات الحديثية.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21]: «والآية تعبير معاني الأمور المنامية، وأصله من جهة النبي، أي: مكناه ربه بيعه في العرش، قال الحسن: وعدها الله من الله تعالى على يوسف عليه السلام، وتعليمه فيما عده عليه من النعم التي آتاه الله تعالى من التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث، وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا. قال عبد الله بن شداد بن الهاد: كان تفسير رؤيا يوسف صلى الله عليه وسلم بعد أربعين سنة، وذلك منتهى الرؤيا، وعني بالأحاديث ما يراه الناس في المنام، وهي معجزة له، فإنه لم يلحقه فيها خطأ»(1).

قال الطبري: «وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يقول: ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس عما يرونه في منامهم، وذلك تعبير الرؤيا»(2).

قال ابن عبد البر: «فإن الله عز وجل على يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما، وعده عليه فيما عدد من النعم التي آتاه: التمكين في الأرض وتعليم تأويل الأحاديث، وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا، وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأويلها»(3).

قال البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف: 44] أي: العالمين بعبارة الرؤيا(4).

4. لا ينبني على الرؤيا حكم شرعي:

من المعلوم أن الرؤيا الصالحة بالنسبة للأنبياء وحي، وبالنسبة لغيرهم من المؤمنين الصالحين جزء من أجزاء النبوة، إلا أنه لا

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب المرأة السوداء (9/ 42) برقم (7039).

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (9/ 128).
(2) جامع البيان، الطبري (12/ 170).
(3) التمهيد، ابن عبد البر (1/ 313).
(4) معالم التنزيل، البغوي (4/ 241).

www.modoee.com

[illegible] عليها حكم شرعي.

قال النووي: [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الحمام [illegible] الصحابة [illegible] الإجماع [illegible] الرؤيا [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الشيطان لا يتمثل بي [illegible].

ويفرع عن هذا رؤيا الصحابة رضي الله عنهم [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] رضي الله عنه [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

٥- طرق تعبير الرؤى.

قال ابن القيم: [illegible] القرآن [illegible] الرؤيا [illegible]

قال السيوطي: [illegible] الرؤيا [illegible] يوسف [illegible] الشمس والقمر [illegible] القرآن [illegible]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ومسلم في صحيحه [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible]

قال ابن عاشور: «عبر [illegible] يوسف عليه السلام- الرؤيا بجميع ما دلت عليه فالبقرات السمان [illegible] لأن البقرة تتخذ للإثارة، والسمن رمز الخصب والعجاف رمز للقحط، والسنبلات رمز للأقوات فالسنبلات الخضر رمز لطعام ينتفع به وتركها سبعًا رمز للادخار [illegible] في السبع السنين [illegible] رمز لطعام [illegible] [illegible] السنين [illegible] والسنبلات اليابسات رمز [illegible] وكونها سبعًا رمز [illegible] في سبع سنين؛ لأن البقرات العجاف أكلت البقرات السمان، والأكل [illegible] أن السنين المجدبة أتت على ما ادخرته سنو الخصب»[1].

إن الرؤيا تختلف باختلاف حال الرائي [illegible] الشيطان [illegible] [illegible] صالحة، [illegible] الشيطان [illegible] [illegible] الله [illegible] على الشيطان [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الزخرف: ٣٦)

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (النحل: ٩٩-١٠٠).

قال البغوي: «وقد يختلف التأويل من أصله باختلاف حال الرائي [illegible] في الرؤيا مكروه، وهو في حق الرجل الصالح [illegible] [illegible] وكان ابن سيرين يقول في الرجل يخطب على المنبر [illegible] فإن لم يكن من أهله [illegible] وسأل رجل ابن سيرين: قال: رأيت في المنام [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ (التين: ٢)».

وقد [illegible] قوله عز وجل: ﴿[illegible]﴾ (يوسف: ٤).

وقد يرى الرجل في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

---

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، [illegible].

[2] [illegible] تفسير الرؤى والأحلام في القرآن الكريم والسنة المطهرة، [illegible]

سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال الراغب الأصفهاني: [illegible]

[illegible]

قال [illegible]

[illegible]

قال الشيخ [illegible]

[illegible]

قلت: والعجب أن الإمام القرطبي [illegible]

[illegible]

قال الإمام القرطبي [illegible]

[illegible]

الأولى أصل في ألا تقص الرؤيا على غير عليم ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها، وروى أبو رزين العقيلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرؤيا جزء من أربعين جزءا من النبوة، و (الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها صاحبها، فإذا حدث بها سقطت، فلا تحدثوا بها إلا عاقلا أو محبا أو ناصحا) أخرجه الترمذي وقال فيه: حديث حسن صحيح، وأبو رزين اسمه لقيط بن عامر(1).

قال ابن كثير: [illegible] الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر(2).

قال ابن قتيبة: [illegible] الرؤيا على رجل طائر [illegible]

قال أبو محمد: [illegible]

ولم يرد أنها كل من عبرها من الناس وقعت كما عبر، وإنما أراد بذلك العالم بها، المصيب الموفق.

وكيف يكون العاقل المخطئ في عبارتها لها طائرا، وهو لم يصب ولم يقارب؟ وإنما يكون طائرا إذا أصاب.

يقول الله عز وجل: ﴿[illegible]﴾ [يوسف: ٤٣] يريد: إذا كنتم للرؤيا عابرين.

ولا أراد أن كل رؤيا تعبر وتقارب لأن أكثرها أضغاث أحلام، فمنها ما يكون من غلبة الطبيعة، ومنها ما يكون من حديث النفس، ومنها ما يكون من الشيطان.

وإنما تكون الصحيحة التي يأتي بها الملك ملك الرؤيا من نسخة أم الكتاب في الحين بعد الحين(3).

قال البغوي: والصحيح أن تأويل الرؤيا ينقسم أقساما، فقد يكون بدلالة من جهة الكتاب أو من جهة السنة، أو من الأمثال السائرة بين الناس، وقد يقع التأويل على الأسماء والمعاني، وقد يقع على الضد والقلب(4).

(1) الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible].
(2) تفسير القرآن العظيم ابن كثير [illegible].
(3) تأويل مختلف الحديث ابن قتيبة [illegible].
(4) شرح السنة البغوي [illegible].

ويتحول الملك سمكة أو يشتد أو يقل عمل من الحرب ويكثر دخول مال عليه يمر بالصحبة والقتال وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

● التعبير بدلالة الحديث النبوي الشريف

قال [illegible]: قراءة التأويل بدلالة الحديث كالغراب يعبر بالرجل الفاسق لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقاً.

والفأرة يعبر بالمرأة الفاسقة لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها فويسقة.

والضلع يعبر بالمرأة لقوله صلى الله عليه وسلم: إن المرأة خلقت من ضلع أعوج[2].

والقوارير تعبر بالنساء لقوله صلى الله عليه وسلم: يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير[3].

● التعبير بدلالة القرآن الكريم

قال [illegible]: فالتأويل بدلالة القرآن كالحبل يعبر بالعهد لقوله سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والسفينة تعبر بالنجاة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والخشب يعبر بالنفاق لقوله عز وجل: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والحجارة تعبر بالقسوة لقوله جل ذكره: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والمريض يعبر بالنفاق لقوله تبارك وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والبيض يعبر بالنساء لقوله سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

واللباس [illegible] لقوله سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

واستفتاح الباب يعبر بالدعاء لقوله سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والماء يعبر بالفتنة في بعض الأحوال لقوله عز وجل: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وأكل اللحم [illegible] يعبر بالغيبة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

● التعبير بالأداة النسائية:

قال البغوي: من التأويل بالمعنى كالأترج يعبر بالنفاق، لمخالفة باطنه ظاهره، إن لم يكن في الرؤيا ما يدل على الصلاح.

وكالورد والنرجس يعبر بقلة البقاء، إذ عطل به صاحبه، ويؤول إلى سرعة ذهابه.

ويعبر الآس بالبقاء لأنه يبقى.

حكي أن امرأة سألت سيرين: إني رأيت في المنام أنه زوجي ... وتناول شيئًا أمه.

قال: يطلقك ويتزوج بغيرك، أما سمعت قول الشاعر:

ليس الدار من عهد

إنه المعهود الأمر[1].

قال السعدي: فإن أعقب ما بني عليه، أي: الرؤيا، المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى فيها الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا له ساجدين، وجه المناسبة فيها أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها ومنافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء زينة الأرض وجمالها، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار.

ولأن الأصل أبوه وأمه وإخوته هم الفرع، فمن المناسب الأصل أكبر نورًا وجرمًا لما هو فرع عنه، فلذلك كانت الشمس أمه والقمر أبته والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات فكانت لأبيه وإخوته.

ومن المناسبة أن الساجد معظم مسجود له والمسجود معظم ساجد، فلذلك دلّ ذلك على أن يوسف يكون معظمًا ومسجودًا عند أبويه وإخوته، ومن لازم ذلك أن يكون معنى مفضلًا في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال أبوه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6].

ومن المناسبة في رؤيا الفتيين، أن الرؤيا الأولى، التي رأى صاحبها أنه يعصر خمرًا، أن الذي يعصر خمرًا في العادة يكون خادمًا لغيره، والعصر يقصد لغيره، فلذلك أوّله بما يؤول إليه أنه يسقي ربه، وذلك متضمن لخروجه من السجن.

وأوّل رؤيا الآخر: أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه، بأن يقتل رأسه ويصلب، وما في ذلك من الدواب أنه هو الذي يحمل، وأنه سيبرز للطيور بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل.

وأوّل رؤيا الملك للبقرات والسنبلات

(1) المصدر السابق (1) ٢٢٢.

بالدين الصحيحة والدنيا الصحيحة، والمناسبة أن السالك به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها، ويصلاحه تصلح، ويفساده الفساد.

وكذلك السوق يدل على صلاح أحوال الرعية، وباستقامة أمر المسلمين.

وأما البقر، فإنها تثير الأرض ويسقى عليها.

وكذلك السفيل في المنصب.

ومن هذا القبيل ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب». قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم»(2).

قال الحافظ ابن حجر: «وتفسير اللبن بالعلم لاشتراكهما في كثرة النفع بهما»(3).

وأخرجا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره». قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدين»(1).

قال ابن القيم: «ألا ترى أن الثياب في التأويل كالقميص تدل على الدين، فما كان فيها من طول أو قصر أو نظافة أو دنس فهو في الدين، كما أول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين والعلم بالقدر المشترك بينهما أن كلا منهما يستر صاحبه ويجمله بين الناس، فالقميص يستر بدنه والعلم والدين يستر روحه وقلبه ويجمله بين الناس»(4).

● التعبير بدلالة الأسماء.

قال ابن القيم: «وأما التأويل بالأسماء فمحمول على ظاهر اللفظ، كرجل يسمى الفضل، فأوله بإفضال، ورجل يسمى راشدًا، فأوله برشد، أو سالمًا فأوله بسلامة، وأشباه

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible].
(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل العلم، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه [illegible].
(3) فتح الباري، ابن حجر [illegible].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه [illegible].
(4) إعلام الموقعين، ابن القيم [illegible].

هذا الخبر.

ثم روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع، فأُتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة وأن ديننا قد طاب"(1).

قال ابن قتيبة: فأخذ من رافع الرفعة، وأخذ طيب الدين من رطب ابن طاب.

ثم روى عن الأصمعي قال: قال رجل لابن سيرين: رأيت رجلاً على حمار [illegible] ثم رأيته [illegible] قال: ما اسمه؟ قال: [illegible] قال: أصب الرجل(2).

قال ابن سيرين: [illegible] السفر [illegible] في الرؤيا [illegible] على المرض [illegible] بالموت [illegible] به [illegible] في التأويل(2).

● التعبير بدلالة الأمثال.

قال الهروي: عرفنا التأويل بالأمثال، كالصائغ يعبر بالكذاب، القرآن: أكذب الناس الصناع(3).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (4/1779) رقم (2270).
(2) تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص (32، 33).
(3) شرح السنة للبغوي (12/ 223).

ويعبر السفر ويعبر بالمكر، القرآن: من مكر مكرة وقع فيها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: 43).

والصاحب يعبر بالصاحب، القرآن: [illegible] إنه يخطب عليه [illegible] سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

ويعبر طول اليد بصنائع المعروف، القرآن: [illegible].

ويعبر الرمي بالحجارة بالرمي بالقذف، القرآن: [illegible] قال الله عز وجل: ﴿[illegible] الْمُحْصَنَاتِ﴾ (النور: 4).

ويعبر غسل اليد باليأس مما يأمل، القرآن: غسلت يدي منك(4).

● التعبير بدلالة الضد والقلب.

قال ابن قتيبة: عرفنا التأويل بالضد والمقلوب، فالقرآن في البكاء إنه فرح ما لم يكن معه رنة أو صوت، وفي الفرح والضحك إنه حزن.

[illegible] في الوالي يرى [illegible] إنه [illegible] ومن رأى ذلك ممن ليس بوالٍ: إنه [illegible](5).

قال الهروي: عرفنا التأويل بالضد والقلب، فقلما أن الخوف في النوم يعبر بالأمن، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾

(4) شرح السنة للبغوي (12/ 222).
(5) تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص (34).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ دليس [illegible]
والآخر إنه يصبر بالخوف،
ويصبر البكاء بالفرح إلا لم يكن معه ذلك،
ويصبر الضحك بالسوء إلا أنه يكره
ذلك[1].

[illegible]

البصر الرؤيا: يوسف عليه السلام

(١) شرح السنة للبغوي (٦/ ٢٧٣).

الرُّؤيَة

عناصر الموضوع

مفهوم الرؤية	٢٣٨
الرؤية في الاستعمال القرآني	٢٣٩
الألفاظ ذات الصلة	٢٤٠
رؤية الله تعالى	٢٤٢
أنواع الرؤية في القرآن	٢٤٨
العالم غير المرئي	٢٥٣
الرؤية الوهمية	٢٥٩
رؤية النعم	٢٦٠
رؤية الآيات الكونية والجمالية	٢٦٥
الرؤية والاعتبار	٢٧١
رؤية ثواب الأعمال	٢٧٨
رؤية النعيم والعذاب	٢٨٢
أثر الرؤية على النفس	٢٨٦

مفهوم الرؤية

أولاً: المعنى اللغوي:

الرؤية لغة: مأخوذة من الفعل رأى، قال ابن فارس: «الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة»[1]، أي: أن الرؤية لغة هي: إدراك المرئي، وذلك أضرب بحسب قوى النفس:

الأول: إدراك المرئي بالحاسة وما يجري مجراها، نحو قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والثاني: إدراك المرئي بالوهم والتخيل، نحو قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والثالث: إدراك المرئي بالتفكر، نحو قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والرابع: إدراك المرئي بالعقل، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النجم: 11][2].

ورأى إذا عدي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم نحو قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [سبأ: 6][3].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

هي المشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة[4].

ويمكن تعريف الرؤية اصطلاحاً بأنها عبارة عن الإدراك بالبصر للأشياء الظاهرة والمحسوسة، أو بالبصيرة وهي نور في القلب يدرك به الحقائق والمعقولات والأمور المعنوية حين يكون القلب متصلاً باليقين والإيمان[5].

(1) مقاييس اللغة 2/472.
(2) المفردات للراغب الأصفهاني ص374.
(3) المفردات للراغب الأصفهاني ص375.
(4) التعريفات للجرجاني ص109.
(5) انظر: [illegible]

الرؤية في الاستعمال القرآني

ورد الجذر (رأى) في القرآن الكريم ([illegible]) مرة يخص موضوع (الرؤية) ([illegible]) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد الورود	المثال
الفعل الماضي	92	[illegible]
الفعل المضارع	220	[illegible]
صفة مشبهة	1	[illegible]
مصدر سماعي	1	[illegible]

وجاءت (الرؤية) في القرآن على [illegible] أوجه[2]:

الأول: النظر بالمشاهدة ومنه قوله تعالى: [illegible]

الثاني: [illegible] ومنه قوله تعالى: [illegible]

الثالث: الاعتبار ومنه قوله تعالى: [illegible]

يعني: [illegible]

---

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible].

(2) انظر: [illegible]، ص [illegible].

الألفاظ ذات الصلة

النظر:

النظر لغة:

هو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته[1]، والنظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني[2].

النظر اصطلاحًا:

لا يختلف معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي.

الصلة بين الرؤية والنظر:

يشتركان في أنهما عبارة عن الإدراك بالبصر للأشياء الظاهرة والمحسوسات أو بالبصيرة في الأمور المعنوية، ولكن يكون بينهما فرق في أن الرؤية هي إدراك الأشياء، أما النظر فالتأمل والتحري.

البصر:

البصر لغة:

الإدراك بالعين التي هي حاسة الرؤية[3]، ويطلق على العلم فيقال: بصرت بالشيء إذا صرت به بصيرًا عالمًا[4].

البصر اصطلاحًا:

لا يختلف معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي.

الصلة بين الرؤية والبصر:

أن الرؤية تتم بواسطة حاسة البصر، ومتى تم سلامة البصر تمت الرؤية.

---

(1) المفردات للراغب الأصفهاني ص٨١٢.
(2) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/٧٧.
(3) انظر: تاج العروس للزبيدي ١٠/٢٢١.
(4) مقاييس اللغة ١/٢٥٣.

التأمل

التأمل لغة:

التثبت والنظر: أي: نظرته في مستمهلا (1).

التأمل اصطلاحا:

التدبر: وإعادة النظر في مرة بعد أخرى ليتحققه (2). التأمل: هو استعمال الفكر، والتدبر: تصرف القلب بالنظر في العواقب (3).

الصلة بين الرؤية والتأمل:

أن الرؤية والتأمل يشترك كل منهما في إدراك الأشياء بالبصيرة إلا أن الرؤية قد تكون مجردة من التأمل كما في الإدراك بالبصر.

الرؤيا

الرؤيا لغة:

ما يرى في المنام، أي: ما رأيته في منامك، وهي الرؤيى، ورأيت حلمًا رؤيا حسنة: حلمتها، وأرأى الرجل: إذا كثرت رؤاه، وهي أحلامه، جمع الرؤيا (4)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43] (5).

الرؤيا اصطلاحا:

ما يراه النائم في المنام (6).

الصلة بين الرؤية والرؤيا:

أن الرؤية هي إدراك الأشياء في اليقظة والرؤيا إدراك الأشياء في المنام.

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (11/27).
(2) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 98.
(3) انظر: الكليات للكفوي ص 307.
(4) انظر: لسان العرب لابن منظور (14/297).
(5) المفردات للراغب الأصفهاني ص 375.
(6) انظر: الكليات للكفوي ص ...، معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي ص 221.

رؤية الله تعالى

تحدث القرآن الكريم عن جانبين يتعلقان برؤية الله تعالى، أحدهما رؤية الله تعالى للعباد، والثاني رؤية العباد لله تعالى، ونبينهما في النقاط الآتية:

أولاً: رؤية الله تعالى للعباد:

إن رؤية الله تعالى للعباد تكون لأعمالهم في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

قال أبو جعفر الطبري: يقول تعالى ذكره: ثم جعلناكم أيها الناس خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا، تخلفونهم في الأرض، وتكونون فيها بعدهم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: لننظر كيف تعملون، أتتبعون آثار من قبلكم من الأمم فتهلكوا كما هلكوا، أم تعتبرون بهم فتنجوا، وأن الله يرى ما تعملون بعد أن أنعم عليكم بالنعم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[1].

وهذا الأمر صالح لكل من كان مستخلفاً في الأرض، وأن الرسل فيما جاءهم به من البينات والمعجزات ...

استخلف الله هؤلاء القرون بعدهم وأرسل إليهم رسولاً لينظر طاعتهم له واتباعهم رسوله. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[2].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

والمعنى: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فيرى الله ما يكون منكم، ولا يجازيهم على ما يعلمه منهم من أفعالهم التي يعلم أنهم عاملوها، إنما يجازيهم على ما يقع منهم[3].

وفي قول موسى عليه السلام لقومه أمران: أحدهما الوعد بالنصر والاستخلاف في الأرض، والثاني: التحذير من الفساد فيها، لأن الله تعالى ينظر كيف يعملون[4].

---

(١) جامع البيان ١٥/٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم (٢٧٤٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٤٦٦.

(٤) ينظر: روح المعاني ...

وقال تعالى في المنافقين: ﴿[illegible] قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

قال ابن عباس رضي الله عنه [illegible] في المنافقين: [illegible]

[illegible]

وقال تعالى في المنافقين من الجهاد من المؤمنين: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

والمعنى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

قلوبكم وأعمالكم»[1].

والمعنى: إن الله لا ينظر إلى [illegible] إلى صوركم [illegible] وأموالكم [illegible] ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [illegible] والإخلاص [illegible] ([illegible] وأعمالكم) [illegible].

[illegible]

ثانيًا: رؤية العباد لله تعالى:

ثبت رؤية العباد لله تعالى في الآخرة بالكتاب والسنة والإجماع.

أولًا: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

[illegible]

---

1. [illegible]
2. [illegible]
3. [illegible]

بيكم مرتين"(١). وقد أثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها"(٢).

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

قال الماوردي: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ يعني [illegible] ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، وهذا قول أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري.

والثاني: أن الحسنى واحدة من الحسنات، والزيادة مضاعفتها إلى تمام عشر أمثالها قاله ابن عباس.

الثالث: أن الحسنى حسنة مثل حسنة، والزيادة مغفرة ورضوان قاله مجاهد.

والرابع: أن الحسنى الجزاء في الآخرة، والزيادة ما أعطوا في الدنيا قاله ابن زيد.

والخامس: أن الحسنى الثواب والزيادة الدوام قاله ابن بحر.

ويحتمل سادسًا: أن الحسنى ما يتمنونه، والزيادة ما يشتهونه"(٣).

قال أبو جعفر الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [illegible] ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ لا يغشى وجوههم كآبة ولا كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ ولا هوان ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ يقول: هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أهل الجنة وسكانها ومن هم فيها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يقول: هم فيها ماكثون أبدًا، لا يبيد فيخافوا زوال نعيمهم، ولا هم بمخرجين فتنغص عليهم لذتهم"(٤).

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦].

قال ابن عباس: للذين قالوا لا إله إلا الله الجنة، والزيادة وهي النظر إلى وجه الله، وهو قول أبي بكر الصديق، وأبي موسى الأشعري، وحذيفة بن اليمان، [illegible]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ رقم (٧٤٣٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.
(٢) تفسير القرآن العظيم [illegible].
(٣) النكت والعيون [illegible].
(٤) انظر: جامع البيان للطبري [illegible].

www.mobee.com

بالضحاك والسدي، ويفسر ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦](١).

وقال ابن كثير: يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسنى في الدار الآخرة كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضاً، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته

وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف(٢).

ثانياً: من السنة النبوية الشريفة:

وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، نذكر منها:

ما رواه صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم»(٣).

وما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة -يعني: البدر-

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (ح ١٨١/ ٢٩٧، ٢٩٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٤١٤.

(٣) سبق تخريجه.

قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39](1).

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم، فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل»(2).

ثالثًا: الإجماع:

نقل ابن كثير بعد أن ساق تلك الأحاديث السابقة: فهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام، ومن تأول ذلك بأن المراد بـ(إلى) مفرد الآلاء، وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب من ربها، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضًا، فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15].

قال الشافعي: ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة(3).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (554) (1/115).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل السجود، رقم (806) (1/160)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (182) (1/163).

(3) تفسير القرآن العظيم.

أنواع الرؤية في القرآن

إن أنواع الرؤية في القرآن ثلاثة هي: الرؤية البصرية، والرؤية العقلية، والرؤية المنامية، وسيتم توضيح ذلك في المطالب الآتية:

أولاً: الرؤية البصرية:

وردت الرؤية البصرية في القرآن الكريم بعدة ألفاظ، وهي:

١. لفظ (رأى) ومشتقاتها.

وقد وردت هذه الرؤية بمعنى الرؤية البصرية للتأمل والاعتبار، ومنها:

● النظر في ملكوت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

أي: ألم يعلموا ويبصروا أن الذي خلق السماء والأرض قادر على أن يذهبهم ويأتي [illegible] يخسف بهم الأرض أو يسقط السماء عليهم كسفاً[1]، لأن رؤية مخلوقات الله في السماء والأرض من شأنها أن تهديهم لو تأملوا حق التأمل، ولاستطاعوا الإنكار على الله، [illegible]

من السماء والأرض، أي: من المخلوقات العظيمة الدالة على أن الذي قدر على خلق تلك المخلوقات من عدم هو قادر على إعادة خلق الإنسان بعد الموت[2].

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

والمراد من الرؤية في الآيات الرؤية البصرية بالعين، [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] على [illegible] الله عز وجل في [illegible] ولا [illegible] سورة القرآن تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

● النظر في إحياء الأرض الميتة، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

---

(1) انظر: تفسير القرآن وإعرابه، [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

٢. لفظ (بصر) ومشتقاتها

[illegible]

٣. لفظ (نظر) ومشتقاتها

[illegible]

البَصَرُ والبَصِيرَةُ(١).

والمعنى: أي ولقد خلقنا في السماء نجوماً كباراً ثوابت وسيارات وصنعناها وكواكب بهيجة لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من عجائبها الظاهرة، وآياتها الباهرة التي يحار الفكر في دقائق صنعتها وغريب بدعتها(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

والمراد الرؤية البصرية(٣).

والمعنى: أخرج يده من جيبه بعد ما أدخلها فيه فإذا هي بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض، كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢].

قال ابن عباس: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يعني: من غير برص، ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول، وهكذا قال مجاهد وغير واحد(٤).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠].

(١) انظر: جامع البيان، الطبري.
(٢) انظر: تفسير المراغي.
(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري.
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

أي: أن المنافقين يشخصون نحوك بأبصارهم وينظرون نظراً شديداً كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، وإنما ذلك لأنهم منافقون يكرهون القتال(١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥].

ومعنى: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي: لا يرفعون أبصارهم للنظر رفعاً تاماً لأنهم ناكسو الرؤوس، والعرب تصف الذليل بغض الطرف، كما يستعملون في ضده حديد النظر إذا لم يتهم بريبة فيكون عليه منها غضاضة، وقال قتادة والسدي والقرظي وسعيد بن جبير: يسارقون النظر من شدة الخوف، وقيل: المعنى ينظرون من عين ضعيفة النظر، وقال يونس: ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء أي: ينظرون بطرف خفي أي ضعيف من الذل والخوف، ونحوه عن الأخفش، وقال ابن عباس رضي الله عنه: بطرف ذليل، وقيل: أنهم يغمضون أبصارهم لما يرونه من أصناف العذاب(٢).

(١) انظر: الوسيط، الواحدي.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

ثانيًا: الرؤية العلمية:

إن الرؤية العلمية في القرآن وردت في العديد من الآيات منها:

قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

(ترى) أي: علمنا وبصرنا [illegible] أي: [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] الله، وسمى ذلك العلم بالرؤية لأن العلم اليقيني [illegible] مجرى الرؤية في القوة والظهور[1].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وهذه الإراءة في الآيتين المراد بها الإراءة العلمية[2].

قال ابن جرير: [illegible] الله عز وجل [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] المشركين الذين كانوا [illegible] في الآفاق [illegible] الله [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] النجوم والشمس والقمر [illegible] به [illegible].

وقوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] أيها هؤلاء المشركين [illegible] ما جاءه به من الدين [illegible] تعالى ذكره: أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء [illegible] على [illegible] بالإحسان والحسنى [illegible][3].

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[illegible] غير العربي

[illegible] القرآن الكريم [illegible] في الوجوه [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] بأنها [illegible].

أولاً: [illegible]:

إن [illegible] على [illegible] [illegible] لا [illegible] ما [illegible] [illegible] [1].

[illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] ما لم [illegible] [illegible] [2].

ومن الأمور [illegible] في القرآن [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والقرآن [illegible] على [illegible] على سبيل الإجمال [illegible] على طريق التفصيل [illegible] [illegible] على [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[1] [illegible]
[2] [illegible]

ومنها: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومنها: [illegible] قال: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومنها: [illegible] قال: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومنها: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومنها: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومنها: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] [3].

[illegible] على [illegible] قال [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[3] [illegible]

[illegible]

في صورة [illegible] الملائكة [illegible]

[illegible] جبريل عليه السلام [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] جبريل عليه السلام [illegible]

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible] جبريل عليه السلام في صورة رجلين [illegible]

[illegible]

عليهم أجمعين ﴿...﴾ (الأنبياء: ١٨).

وأما في الآخرة فإن المؤمنين يرون الملائكة، قال سبحانه: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: ٧٥).

والمعنى: أن الرائي يرى هذه الصفة في ذلك اليوم، حال كونهم مسبحين لله متلبسين بحمده، وقيل: معنى يسبحون: يصلون حول العرش شكرًا لربهم. والحافين: أي: محدقين حول العرش، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ ... أي: ترى أيها الرائي الملائكة محيطين بجوانب العرش، ... شكرًا لربهم وتلذذًا لا تعبدًا(٢).

وقد قال الله سبحانه: ﴿...

ثم يقول للملائكة ... ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ... وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٣-٢٤).

كما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٣).

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢).

وأما عن رؤية المجرمين للملائكة، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقان: ٢٢).

قال الطبري: ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ بتصديق محمد الملائكة فلا بشرى لهم يومئذ بخير ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ يعني: أن الملائكة يقولون للمجرمين: حجرا محجورا، حراما محرما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ... ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ...

(٢) انظر: ...

(٣) انظر: تفسير ...

(١) جامع البيان للطبري (١٩/٢٦٣).

من أعلم الله عز وجل أن الزلازل التي ستكون في الدنيا عند قيام الساعة أو يوم القيامة، وأن هذه الزلازل التي [illegible] هي من أشراط الساعة [illegible] من موضع [illegible] في ذلك الزلزلة[1].

النسفي في هذه الآية أن الظاهر أن هذا [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أخبر الله تعالى أنهم يرون الملائكة إنما هو يوم القيامة، وكذلك قال أول الآية يحتمل أن يراد يوم الموت أو وجهين لكن الأمر لا يقتضي أن الإشارة إلى يوم القيامة ومن هذه الآية أن هؤلاء الذين استبعدوا نزول الملائكة لا يعرفون ما قدر الله في ذلك اليوم يوم رؤية الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ولا ينالون إلا الخسار والهلاك المكروه عليهم[2].

ثانيًا: الجن:

الجن مخلوقات غيبية لا نراها أصل خلقهم من النار[3]، من شكلها التشكل بأشكال مختلفة[4].

وقد بين الله تعالى أن الجن لا نراهم

في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] الجن والشياطين [illegible] (قبيله): نسله، وقيل: جيله، من حيث لا ترونهم، قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يرون لقوله: ﴿[illegible]﴾، وقيل: جائز أن يروا، لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى ترى[5].

قال الثعالبي: في قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي ليكون ذلك دلالة على نبوته لأن الله خلقهم خلقًا لا يرون فيه وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلى الله عليهم وسلم[6] لأن الله تعالى خلق في عيون الجن إدراكًا يرون الإنس ولا يرونهم[7].

[1] [illegible]
[2] [illegible]
[3] [illegible]
[4] [illegible]
[5] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]
[6] [illegible]
[7] [illegible]

www.mobee.com

كما دل الأثر على أن الإنس لا يرون الجن على الصور التي خلقوا عليها: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [illegible] التخصيص.

ويؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عفريتًا من الجن جعل يتفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة وإن الله أمكنني منه [illegible] فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظروا إليه أجمعون، ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فرده الله خاسئًا".

[illegible] الأجسام الكثيفة [illegible] الشياطين [illegible] أبو هريرة رضي الله عنه حين جعل يحفظ تمر الصدقة [illegible]

التي رآه الرسول وقال فيه: "لولا دعوة أخي سليمان لربطته إلى سارية من سواري المسجد" [illegible] الأرض [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: ٢٧].

[illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة [illegible]
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [illegible]

لرئي بالعين المجردة [illegible] وقلنا بأعيننا [illegible] أن يرى الشيطان [illegible] المؤمنين [illegible] الإنسان [illegible] كما يقول سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible] (١).

[illegible] ليس علينا أن نبحث عن كنه الشيطان، ولا عن ماهية الطاقة [illegible] ولا عن [illegible] وإنما [illegible] عن [illegible] [illegible] إلى [illegible] الضلال [illegible] والشيطان [illegible] [illegible] العالم الإنساني. [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] (٢).

الرؤية الوهمية

أشار القرآن الكريم إلى عدة رؤية موهومة يرى الرائي الشيء والحقيقة تخالف ما يراه.

ومن تلك النماذج التي أشار إليها القرآن الكريم:

أولاً: رؤية الجبال:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النمل: ٨٨].

وقد اختلف المفسرون في الرؤية الواردة في الآية هل هي في الدنيا أم في الآخرة؟ على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور المفسرين: إن الآية تحكي حدثاً يحصل يوم ينفخ في الصور [illegible] ﴿[illegible]﴾ عطفاً على ﴿[illegible]﴾ [النمل: ٨٧].

أي: ويوم ترى الجبال تحسبها جامدة [illegible] [illegible] السحاب [illegible] (٣).

قال ابن كثير: [illegible] تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النمل: ٨٨] أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب، أي:

(١) [illegible]

(٢) [illegible] القرآني للقرآن [illegible]

(٣) التفسير [illegible] ابن عاشور (٢٠/ ٤٧).

www.modoee.com

ونزل من أماكنها كما قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء(١).

القول الثاني: إن هذه الآية في الدنيا.

قال ابن جرير: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ يا محمد ﴿تَحْسَبُهَا﴾ قائمة ﴿جَامِدَةً﴾ قاله ابن عباس، وقوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ يقول: تمضي... ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ... ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: ...(٢).

وقال الزمخشري: ﴿جَامِدَةً﴾ من جمد في مكانه إذا لم يبرح، تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرًا حثيثًا كما يمر السحاب، وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها(١).

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وما تسيير لهذا النظام العجيب إلا لحركة الأجسام العظيمة مسافات شاسعة والناس يحسبونها ثابتة لا يطرأ عليها تحرك...(٢).

ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

فليس في الآية ما يدل على أن الجبال متحركة، ولكن لما لم ترها لأنها ثابتة بالنسبة لموقعك منها، ... حركة سريعة كما ترى صاحبك في مركب ... حركة ... بنفس حركته.

وقد شبه الله حركة الجبال بمر السحاب، فالسحاب لا يمر بحركة ذاتية فيه، إنما يمر بدفع الرياح، كذلك الجبال لا تمر بحركة ذاتية إنما بحركة الأرض، فهذا دليل واضح على حركة الأرض(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٢٥٢)، وانظر: معالم التنزيل، البغوي (٦/ ١٨٠)، التسهيل، ابن جزي (٢/ ...)، مفاتيح الغيب، الرازي (٢٤/ ٢٢١).

(٢) جامع البيان (١٩/ ...).

(١) الكشاف (٣/ ...).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٠/ ٤٨).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ...).

فالجبال حركة مرتبطة بحركة الأرض، وهذه الحركة لا نراها لأنه لا يمكن لمن على الأرض أن يشعر بحركتها، الأمر مهما دامت الجبال أوتادًا في الأرض وهي "تمر مر السحاب" فلا بد أن الأرض كذلك تمر، والحركة يقيني الحركة، وحركة الجبال ليست ذاتية إنما هي تابعة لحركة الأرض، والحق سبحانه شبه حركة الجبال بحركة السحاب والسحاب حركته غير ذاتية إنما هي تابعة لحركة الرياح(1).

ثالثًا: رؤية السراب:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: 39).

وقال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (النبأ: 20)(2).

السراب: ما يرى في نصف النهار من اشتداد الحر كالماء في الخلاء يلصق بالأرض، ويجري غير الآل(3) الذي يرى في طرفي النهار مرتفع عن الأرض حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء(1).

وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها (كسراب) يقول: مثل سراب، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب.

والمعنى: حتى إذا جاء الظمآن السراب ملتمسًا ماء يستغيث به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ يقول: لم يجد السراب شيئًا، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من خلوده، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيئًا، لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه(2).

والسراب: هي ظاهرة ضوئية تلاحظ في ظروف مناخية وجغرافية مختلفة، وأكثرها شيوعًا ما يلاحظه المسافر في المناطق الصحراوية خلال فترة الظهيرة من وجود

(1) التحرير والتنوير ([illegible]).
(2) المفردات للراغب الأصفهاني ص [illegible].
(3) الآل والسراب واحد، وقيل: الآل من الضحى إلى زوال الشمس، والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر. انظر: تهذيب اللغة للأزهري ([illegible])، تاج العروس للزبيدي ([illegible]).

(1) الكليات للكفوي ص 51.
(2) جامع البيان للطبري ([illegible]).

ربانية خالية أبداً، وكلما انغمس فيها [illegible] الرغبة البشرية [illegible] في الحظيرة [illegible]

[illegible]

[illegible]

رؤية النعم

النعم من الله عز وجل على بني آدم بعدد الثرى لا تعد ولا تحصى، ورؤيتها في جميع التفاصيل [illegible]

[illegible]

أولاً: رؤية الشاكر

[illegible]

[illegible]

كما أن الشاكر يرى أن الله سخر له ما في السماوات والأرض وأتم الله النعم على الشاكر باطنة وظاهرة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

يقول تعالى منبهاً خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد وجعله إياها لهم سقفاً محفوظاً وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب وإزاحة الشبه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل في الله أي: في توحيده وإرسال الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠] أي: مبين مضيء(١).

وبالشكر يرى الشاكر أثر شكر النعم(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٣٤٠.
(٢) وانظر ...

يحمدك بها مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا(١).

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

أي: انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر(٢).

والتحدث بنعمة الله والإخبار بها وقول الحمد لله على كذا وكذا شكر، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»(٣).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده»(٤).

(١) ...
(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٠/١٠٢.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم ١٨٤٤٩ ٣٠/٣٩٠. وحسنه الألباني في الجامع الصغير ...
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ... والترمذي في سننه ... وحسنه الألباني في صحيح الجامع ...

www.modoee.com

يعني: ولكن بما أنعم الله تعالى عليه ويستحسنه ليظهر حتى كف أثر النعمة(١).

وفي حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، ومن لم يجد فليثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم يعطه كان كلابس ثوبي زور» ومعنى قوله: «ومن كتم فقد كفر» يعني: أنه قد كفر تلك النعمة(٢).

فالشاكر أقسام الشكر الثلاثة: ذكر النعمة والتحدث بها، والحمد لله، والإقرار لها والشكر لمن أسداها (ليس من أخلاقهم جحود بما أنعم به)(٣).

والشكر على أنواع:

الأول: شكر النعمة بمعنى استحضارها في الخاطر بحيث يتميز عنده أنها نعمة، فرب جاهل يحسن إليه وينعم عليه وهو لا يدري، فلا جرم أنه لا يصح منه الشكر.

والثاني: قبول النعمة بتلقيها من المنعم بإظهار الفقر والفاقة إليه، فإن ذلك شاهد بقبولها

حقيقة.

والثالث: الثناء بها بأن تصف المنعم بالجود والكرم ونحوه مما يدل على حسن تلقيك لها واعترافك بوصول نعمائه في الرتبة من مقامه، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى(١).

والشكر لله تعالى مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره، هذه الخمسة هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل قاعدة من قواعد الشكر(٢).

والشاكر في الحقيقة: من يرى عجزه عن شكره ويرى شكره من الله عز وجل، لمطلقه أنه هو الذي تفضل، وهو الذي وفقه لشكره، وهو الذي يزيده الشكر، وهو الذي أعطيه على كلا كالكلمات سبحانه(٣).

والملاحظة أن رؤية الشاكر للنعم هو القيام بالشكر لمعطاها وفرحه بما أعطاه كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨].

وبهذا يتبين أن رؤية الشاكر للنعم تتمثل في الاعتراف بها والإقرار بوجوب الشكر لمعطيها، لأن النعم من الله وحده لا شريك له.

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٦٧٩/١).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٥٨٤/٨).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم (١٤٤٠٣/٢٢)، والترمذي في سننه أبواب البر والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه رقم (٢٠٣٤)، (٣٧٩/٤). وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٥٦)، (١٠٢/٢).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٦/٨).

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (١٨٤/١).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٢٤٤/٢).
(٣) انظر: لطائف الإشارات للقشيري (٢٢٧/١).

ويلزماً بالصحبة بالعلم وبالطاعات ونحواً يبتليها الله بحاجة لما رواه ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله عباداً اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم»(١).

ثالثاً: رؤية الجاحد:

إن الله تعالى إذا أنعم على الجاحد فإنه يرى أن هذه النعم هي بسبب نفسه وعلمه ومكانته بين الناس، كما قال تعالى عن قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ... قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٦-٧٨].

قال عطاء: فظن قارون لما رأى أن المال حصل له بعلمه ولم يحصل من عطاء الله، فكأنه أراد بعلمه في التصرف وأنواع المكاسب. وقال آخرون: معناه: إنما أوتيته على علم من الله عندي بأنني أهل لما أعطانيه لفضل علمي. وقال الألوسي: على علم مني بصحة النسب(٢).

وقال ابن زيد: أي: إنما أوتيته لعلمه بفضلي ورضاه عني. أي: أن الله تعالى أتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاقي إياها لفضل فيّ. وقيل: أوتيته على علم من حيث وجوه المكاسب(٣).

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

فيقول تعالى مكذباً هذا الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى فأكرمه بالمال، وأفضل عليه ونعمه بما أوسع عليه من فضله فيقول: ربي أكرمني، فيفرح بذلك ويسر به ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة.

وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر فقدر عليه رزقه فيقول: ضيق عليه رزقه وقتره فلم يكثر ماله ولم يوسع عليه فيقول: ربي أهانني، يقول: فذلك الإنسان ربي أهانني، يقول: أذلني بالفقر، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه ورزقه.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٥١٦٢)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (١١٠٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢١٦٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/٢٩٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

من العقوبة في جسده(١).

والمعنى: إذا ما اقتضى ربه وأربع على ظهوه، يبين الرحمن بيانا بجعل وزنه مقدارا، فهو أن ليس الأمر كما يظن الإنسان، وما يحس به الكافر الذي لا يؤمن بالبعث، وإنما الكرامة عنده بالتوفيق والكرامة في الحظ في الدنيا، ورحمة المؤمن أن الإكرام عند توفيق الله إياه، أي: ما يؤديه إلى حظ الآخرة(٢).

ويتضح ويبين أن المعاصي لا يرى أن النعمة من الله تعالى، بل ينسبها لغير الله تعالى، ومن هذا يقع في الشرك والكفر، النسب ينهال على الكذب، ويدل له ما رواه زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»(٣).

قال النووي: «اختلف العلماء في كفر من قال: مطرنا بنوء كذا على قولين: أحدهما: هو كفر بالله سبحانه وتعالى، سالب لأصل الإيمان، مخرج من ملة الإسلام، قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم، وهو ظاهر الحديث. قالوا: وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقداً أنه من الله تعالى وبرحمته، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتباراً بالعادة، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر، واختلفوا في كراهته، والأظهر كراهته، لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها، ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم. والقول الثاني: في أصل تأويل الحديث أن المراد: كفر نعمة الله تعالى؛ لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب»(٤).

والمقصود هو الذي لا يعرف نعمة الله تعالى، ولا يقوم بشكرها، وهذا يقابل المقصود به قال تعالى: ﴿...﴾

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢/٢٤).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/٣٢٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، رقم (٨٤٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، رقم (٧١).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٦١).

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

والمعنى: [illegible].[1]

رؤية الآيات الحسية والعقلية

سيكون هذا المبحث في بيان رؤية الآيات الحسية والعقلية في القرآن الكريم، وذلك في النقاط الآتية:

أولاً: رؤية الآيات الحسية:

تتمثل رؤية الآيات الحسية في المعجزات التي أيد الله الأنبياء عليهم السلام على صدق نبوتهم، وكذلك في الآيات الحسية المشاهدة الدالة على القرآن الكريم في العصر الحاضر، وسيتم بيان ذلك في النقاط الآتية:

١. رؤية معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد رأى الصحابة الكرام رضي الله عنهم المعجزات التي آتاها الرسول صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته، ومن ذلك رؤيتهم انشقاق القمر المذكورة في القرآن.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾ [القمر: ١-٢].

قال مجاهد: انفلق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصار فرقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: اشهد يا أبا بكر، فقال المشركون: سحر القمر حتى

(١) انظر: جامع البيان للطبري [illegible].

قوي(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا»(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً﴾ أي: دليلا وحجة وبرهانا ﴿يُعْرِضُوا﴾ أي: لا ينقادون له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ويقولون: هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به، أي: ذاهب باطل مضمحل لا دوام له ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: كذبوا بالحق إذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم(٣).

٢. رؤية معجزات موسى عليه السلام.

لقد ذكر القرآن الكريم رؤية فرعون وقومه لمعجزات سيدنا موسى عليه السلام في كثير من الآيات.

منها قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦-١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٢-٣٣].

والمعنى: أنه أخرج يده من جيبه أو من تحت جناحه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره: أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني: من غير برص، وقيل: إن موسى عليه السلام كان أسمر شديد السمرة ثم أدخل يده في جيبه، وقيل: أخرج يده من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع يغلب نور الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم اللون فأخرج يده من جيبه فأخرجها بيضاء، فإذا هي لها لمعان كان البياض الشديد حيثما في الجسد، وهو قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: ٢٢].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/٤٧٢)، وانظر: جامع البيان، الطبري (٢٢/٥٦٩)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ رقم (٤٨٦٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/٤٧٢)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/٨٥).

[illegible]

٣- رواية آية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

أمر الله تعالى بالنظر في السموات والأرض لرؤية آيات الإعجاز العلمية.

قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

[illegible]

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

والمعنى: هو الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته، وينزل لكم من أرزاقكم من السماء بإنزال الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض، [illegible]

[illegible]

الله التي جعلها أدلة على صدقهم [illegible] [1].

وآيات الله: هي آيات القرآن، وآيات الكون، والمعجزات الظاهرة على أيدي رسله [2].

قال ابن كثير: [illegible] آيات الله [illegible] في الآفاق [illegible] وفي أنفسهم [illegible] ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [illegible]

[illegible] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [illegible] الله تبارك وتعالى [3].

وروية آيات الله الإعجاز العلمي [illegible] قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

يعلم أنه حق وأن الله على كل شيء قدير ﴿...﴾ [illegible]

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ يعني: أقطار الأرض والسماء من الشمس والقمر والنجوم [illegible] ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [illegible]

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [illegible] يعني: الإسلام، وقيل: محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: القرآن [4].

[illegible]

﴿...﴾ [illegible] (الإسراء: ...)

﴿...﴾ [illegible] القاطعة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]

---

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible]
(4) [illegible]

﴿وَنُكَلِّمُكُم﴾، كما أنزلها من الظلم من الأمر التي أمكنكم بالقيها الرسل، إذا أتيها الآيات ﴿لَا تَسْتَطِيبُ﴾ بقوله: إذا استحضارا بكم فإذا سألكم بها وزيكم منها.

وكبها رؤية الأدلة العلمية في الإيمان والتصديق بالنسبة للمؤمنين، أما الكافرين فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿...﴾ (الصافات: ١٤).

أي: إذا رأوا حجة من حجج الله عليهم ودلالة على نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسخرية وحجة بها[١].

٤. رؤية الأدلة العلمية على إثبات الوقائع.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿...﴾ (يوسف: ٢٧).

والمعنى: علم العزيز وأهل مشورته أنه وعلامات براءة يوسف عليه السلام من قد القميص من دبر، والشهادة الشاهد وحسن الأدلة، ولذا صبر من قد يوسف عليه السلاح أن يستوي لحجة للقصة ألا تنزع في الشاهد والتجارة به ويهاء القميص من الأدلة، بشهادة الشاهد من الأدلة، وقطع الأيدي من الآيات، وإعظام النسوة

إياه من الأيات[٢]، والأدلة على صدقه في عقده وإبراهمه[٣].

ومما جعل في رؤية الأدلة العلمية ما يهيه الله تعالى العلماء من ملكة فقهية لرؤية الأدلة العلمية في الكتاب والسنة على الأحكام ومن ثم رؤية الأحكام الفقهية عليها.

ثالثا: رؤية الأدلة الجنائية:

ورد في القرآن ما يخص رؤية الأدلة الجنائية، وهي قوله تعالى: ﴿...﴾ (يوسف: ٢٦).

استدل العلماء بهذه الآية في إعمال الأمارات في مسائل من الفقه كالقسامة وغيرها، كما استدل يعقوب عليه عليه السلام على كذبهم بصحة القميص، فيجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت، فما ترجح منها قضى بجانب الترجيح، وهي قوة التهمة، ولا خلاف بين العلماء في الحكم بها[٤].

فيحتج بالأدلة من ثبوت الحكم بالأمارات والعلامات فيما لا تحضره البينات كالنفقة والسرقة والرجمة ومعاقد الحيطان

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ٢١/ ٢٣.
(٢) انظر: المصدر السابق، ١٦/ ٥٤.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ١٧٤.
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٣٧١.
(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٢١/ ٤١.

بالقرائن بينهما [1].

فمن ذلك قول المالكية [illegible] إن القرينة المجاورة ربما قدمت على البينة مستدلين على ذلك بجعل شاهد يوسف شق قميصه من دبر قرينة على صدقه وكذب المرأة [2].

ومما [illegible] في إثبات اتهام يوسف عليه السلام على سيده [illegible] بالقرينة [illegible] لأجل [illegible] جعل تمزيق قميصه من قبل، والعكس إن تم إمساكه في حال فرار وإعراض، ولا شك أن الاستدلال بكيفية تمزيق القميص [illegible] وفرع تمزيق القميص [illegible] الشاهد أن [illegible] تمزيق القميص بالظاهر أن الشاهد كان يظن صدقها، فأراد أن يقيم دليلاً على صدقها فوقع عكس ذلك كرامة ليوسف عليه السلام [3].

ويفهم من هذه الآية لزوم الحاكم بالقرينة الواضحة الدالة على صدق أحد الخصمين وكذب الآخر؛ لأن ذكر الله لهذه القصة في معرض تسليم الاستدلال بتلك القرينة على براءة يوسف عليه السلام يدل على أن الحكم بمثل ذلك حق وصواب؛ لأن كون القميص مشقوقاً من جهة دبره دليل واضح على أنه هارب عنها وهي تنوشه من خلفه، ولكنه تعالى بين في موضع آخر أن محل العمل بالقرينة ما لم تعارضها قرينة أقوى منها، فإن عارضتها قرينة أقوى منها أبطلتها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18].

وهذه الآيات المذكورة أصل في الحكم بالقرائن [1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:28].

قال بعض العلماء: [illegible] الدم علامة على صدقهم [illegible] العلامة علامة لمعارضتها، وهي سلامة القميص من التخريق، إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف، وهو لابس القميص، ويسلم القميص من التخريق، ولما تأمل يعقوب عليه السلام القميص لم يجد فيه

(1) انظر: [illegible]
(2) انظر: [illegible]
(3) انظر: [illegible]

(1) انظر: أضواء البيان للشنقيطي [illegible]

عمرك، ولا آثار تستدل بها على القضيب، وللآثار لهم: لا يعرف أن تلتمس الله دار آثاره الفهم الشعبية[1].

وبهذا يكون النظر في الآية المتعلقة بالأفراد المطوية مما يساعد في كشف العقيدة وعلاقتها بمعرفة المعاني.

الرؤية والاعتبار

إن الرؤية والاعتبار في القرآن الكريم يكرة في الفكر والاعتبار في الآيات الكونية، وفي الاعتبار والعظة بهلاك الأمم السابقة، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: الآيات الكونية:

الآيات الكونية هي: الآيات الحسية التي تكون من الخلق الذي خلقه الله تعالى، مثل: خلق السماوات والأرض والجبال والسهول والأنهار والشمس والقمر والنبات والحيوان والبحار، وخلق الإنسان، وآيات الله عز وجل في الآفاق، وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات[1].

جاء الأمر الصريح في القرآن على الحث على التفكر في الكون، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101].

قال أبو جعفر الطبري: "يقول تعالى ذكره: قل، يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا، أيها القوم، ماذا في السماوات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله

(1) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل.

(1) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري.

والشجر، باختلاف ألوانها [illegible] ونزول الغيث بأرزاق العباد من سمائها، [illegible] الأرض من جبالها [illegible] [illegible] في ذلكم [illegible] [illegible] لا يجوز أن يكون [illegible] [illegible] من الآيات[1].

[illegible] الآية أمر بالتفكر بالاعتبار بالنظر في المصنوعات الدالة على الصانع [illegible] [illegible] والأرض [illegible] [illegible].

أي: تفكروا بالفكر والاعتبار ما في السماوات والأرض من الآيات والعبر [illegible] [illegible] والنجوم والجبال والشجر، وكل ما يقتضي خلاقاً مدبراً سبحانه[2].

قال الإمام الرازي: [illegible] أن الإنسان [illegible] [illegible] سبحانه [illegible] [illegible] ولا شك أن الله سبحانه أكثر من ذكر هذه الدلائل في القرآن [illegible].

[illegible] قوله: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] [illegible] الآيات لا ينفع في حق من حكم الله تعالى عليه في الأزل بالشقاء والضلالة[3].

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

[illegible] في الآفاق من الآيات [illegible] [illegible] وأنهارها وزروعها وثمارها، وأشجار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] سيروا في الأرض [illegible] [illegible] [illegible].

[1] جامع البيان ١٢/ ٢١٥.
[2] انظر: [illegible].
[3] انظر: [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] بعد حسمها (١).

قال محمد إسماعيل إبراهيم: [illegible]

[illegible]

(١) انظر تفسير المراغي [illegible]

(٢) [illegible]

السماوات والأرض، [illegible] من غير شيء، وأتقنها بقدرته، [illegible] على أن يخلق [illegible] والعالم من [illegible] بعد [illegible] على ذلك فلا يصح عليه [illegible] [1].

وقد أمر الله تعالى بالنظر إلى آية النظر للاستدلال على قدرة سبحانه.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [illegible].

والمعنى: [illegible] النظر [illegible] والاستدلال [illegible] على أن من قدر على ذلك قادر على إعادة [illegible] [2].

وقد نص الله [illegible] على [illegible] التفكر في الآيات الكونية [illegible] متكررة في ما [illegible] الفكر [3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا [illegible]﴾ (آل عمران: [illegible]).

والمعنى: [illegible] التفكر في الكتب أي: في [illegible] [illegible] في مخلوقات الله [illegible] [illegible] [illegible] الكون [illegible] [illegible] تعالى [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] من غرائب الحكمة الدالة على التدبير من الحكيم القدير [illegible] لا بد لها من الانتهاء إلى [illegible] على الإحسان [illegible] وعلى الإساءة [illegible] حتى يظهر [illegible] ذلك أن سائر الخلائق [illegible] لا بد لهم من الانتهاء إلى تلك الوقت، [illegible] ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى أي: ما خلقها بالعشرة من غير حكمة ولا [illegible] وإنما خلقها [illegible] بالحق [illegible] بالحكمة البالغة [illegible] إلى أجل مسمى وهو قيام الساعة، ووقت الحساب

---

(١) جامع البيان للطبري (٢١/ ٢٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٩).

(٣) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري (٥/ [illegible]).

بالأبواب والعقاب، فيغرب هذا الباقي ويقرع عقلهم أمر لا انتهاء لرجوعه(١).

وقد وصف الله تعالى الرائي الغافل عن الاعتبار بالآيات، ويمرون عليها معرضين، فقال سبحانه: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنبياء: ١-٣).

وبعد الآية الكريمة قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: ١٠٥).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في ذلك: وكم من آية في السماوات والأرض لله وعبرة وحجة، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السماوات، والجبال والبحار والنبات والأشجار وغير ذلك من آيات الأرض ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يعاينونها فيمرون بها معرضين عنها، لا يعتبرون بها ولا يفكرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربها، وأن الألوهة لا تنبغي إلا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل

في مسيرتهم(٢).

ثانيا: الآيات الكونية: مجالات استدلال القرآن بالآيات الكونية

أولا: مصارع الأمم السابقة:

أمر الله تعالى بالسير في الأرض للاعتبار بهلاك الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١١).

والمعنى: سيروا في الأرض فانظروا آثار أولئك الأمم، وتفكروا في أنهم كيف أهلكوا لما كذبوا الرسل وعاندوا، فتعرفوا صدقها وعظة، وبه يراعي السير في الأرض، والنظر في الهالك ومشاهدة تلك الآثار الخفية على عبرتها وحكمة للاعتبار، وكيفية الاستبصار(٣).

كما حض الله سبحانه على رؤية ما حل بالأمم السابقة وأخذ العبرة من ذلك، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (الفيل: ١-٥).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى ذكره

---

(١) انظر: البحر المحيط [illegible].
(٢) انظر: تفسير المراغي [illegible].
(٣) [illegible]
(٤) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٤/٢٢١).
(٥) انظر: [illegible].

بعضهم(١).

وفي الآيات الأمر بالسير في البلاد والنظر في آثار المعذبين من عاد وثمود وفرعون من الأمم الخالية [illegible]

[illegible]

ومع السير في الأرض للاعتبار بهلاك الأمم السابقة بين تعالى أن الآخرة خير للمتقين.

قال تعالى: [illegible]

والمعنى: أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات [illegible]

[illegible]

الهلاك الذي حل بالأمم السابقة [illegible]

[illegible]

والمعنى: فينظروا كيف كان عاقبة الكافرين الذين من قبلهم [illegible]

[illegible]

ومن الاعتبار في هلاك الأمم السابقة [illegible]

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

(١) انظر: جامع البيان للطبري [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

(٣) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي [illegible]

www.modoee.com

الصحيح، فكلٌّ يعمل عمله، ويحكم بعد عرضه بين يديه تعالى، ليحكم بينهم بحكمه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة[1].

وبعد أن ذكر الله الظالمين وبين طريق ظلمهم أعقب ذلك بأنهم يصدرون أشتاتًا، فقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: يرد جميع الأمم ... يوم القيامة بين يدي الله ليحاسبهم بأعمالهم خيرها وشرها ... إلى الناس بصورة الحساب والجزاء ويوفى كل عامل جزاء عمله من خير أو شر[2].

رؤية ثواب الأعمال

في الآخرة يرى العباد مصيرهم ويرون ثواب أعمالهم إذ خرجوا من القبور.

وسيكون حديثنا في هذا المبحث في النقاط الآتية:

أولًا: رؤية ثواب الأعمال الصالحة.

بين الله تعالى رؤية ثواب الأعمال الصالحة في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة:٦].

يومئذ يصدر الناس أشتاتًا متفرقين: عن اليمين وعن الشمال ليروا أعمالهم، فيرى المحسن في الدنيا المطيع لله جزاء عمله وما أعده الله له يومئذ من الكرامة على طاعته إياه كانت في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله وما أعد الله له من الهوان والخزي في جهنم على معصيته إياه كانت في الدنيا وكفره به[3].

وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧].

يقول: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير يرى ثوابه هنالك[4].

قال ابن عباس رضي الله عنه: ليس مؤمن ولا كافر عمل وزن ذرة خيرًا في الدنيا ولا

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٩٣٨.
(2) انظر: تفسير المراغي ٣٠/٢١١.
(3) انظر: جامع البيان للطبري ٢٤/٥٤٩.
(4) المصدر السابق ٢٤/٥٥٠.

يعاقب عليه في الآخرة، ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الشرك، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات [illegible] عنه، وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويضاعف له في الآخرة[1].

وبعد الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

والمعنى: ﴿[illegible]﴾ في الدنيا من خير ﴿[illegible]﴾ يعني: تجده [illegible] ﴿[illegible]﴾ يعني: [illegible] في الدنيا ﴿[illegible]﴾ يعني: [illegible] ذلك [illegible] والمغرب، ولم تعمل تلك [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] ابن عباس: يعني: بالمؤمنين [illegible] رحيم بهم[2].

والظلم: اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة صغيرها وكبيرها، كما أن السوء اسم جامع لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها وكبيرها ﴿[illegible]﴾ أي: مسافة بعيدة [illegible] [3].

وأسند الإحضار إلى النفس لأنها الفاعلة للأعمال التي يظهر جزاؤها [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] النفس [illegible] الشروط التي ذكرت في [illegible] الأعمال [illegible] وهي الأعمال السيئة [illegible] الأعمال السيئة [illegible] [4].

ثانيًا: رؤية جزاء الأعمال السيئة:

إن ثواب الأعمال السيئة في الجحيم [illegible]

(1) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٠/٤٥٠).
(2) انظر: تفسير السمرقندي [illegible].
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي [illegible].
(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الناظر [illegible] والحكمة في إظهار الجحيم [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible] إلى الدين الإسلامي [illegible] أحكام القرآن [illegible]

قال الرازي: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الوعد والغاية المنشودة، وحسبها أن يكون المراد ﴿[illegible]﴾ في [illegible]

[illegible]

رؤية ثواب الأعمال في الآخرة [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

رؤية ثواب الأعمال الصالحة [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب [illegible]

ووجبة ثواب الأعمال يكون على ميزان العدل الإلهي، وقد أوضح هذا المعنى في قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والآيات بمثل ذلك كثيرة[1].

[1] أضواء البيان، الشنقيطي [illegible].

رؤية النعيم والعذاب

يترتب على السعي في الحياة الدنيا رؤية العمل وجزاءه، كما يترتب على ذلك رؤية النعيم، ورؤية العذاب، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: رؤية النعيم:

ذكر الله تعالى رؤية النعيم في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الإنسان: ١٩-٢٠).

والنعيم: [illegible][1]، والملك الكبير [illegible] كما قال ابن كثير: أي وإذا رأيت يا محمد الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور رأيت نعيماً وملكاً كبيراً، أي: [illegible] مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً. وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها[2].

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً، رقم [illegible]، عن عبد الله بن مسعود.

لها لكان حقه [illegible] تعالى الأمن من يكون في الجنة [illegible] من أعلى منزلة وأعلى عند تعالى(١).

وقال المراغي: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] في الجنة رأيت نعيماً عظيماً وملكاً كبيراً لا يحيط به الوصف.

وقد اختلفوا في المراد من هذا الملك الكبير، فقيل: [illegible] ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وقيل: [illegible] الملائكة [illegible] إلا بإذنهم، وقيل: [illegible] لا زوال له [illegible] في الأخبار الصحيحة [illegible] هذا الملك الكبير [illegible] وبالجملة [illegible] في ملاح النعيم(٢).

ومن [illegible] في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الإنسان: ٢١].

والمعنى: [illegible] رأيت يا محمد هؤلاء [illegible] أو [illegible] بذلك [illegible] سندساً وإستبرقاً(٣).

ثانياً: رؤية العذاب:

أخبر تعالى أن الظالمين يرون العذاب يوم القيامة في آيات من كتاب الكريم منها قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٦].

تتميز [illegible] في الآية أن هؤلاء الظالمين [illegible] أن القوة لله جميعاً، أي: إن الحكم له وحده لا شريك له، وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه(١).

والمعنى: [illegible] الذين ظلموا أنفسهم [illegible] بالشرك [illegible] [illegible] [illegible] حين يرون العذاب في الآخرة [illegible] الأسباب ولا تغني عنهم الأنداد والأرباب، أن القوة لله جميعاً [illegible] في كل من يزعم [illegible] القوة التي [illegible] الأخرة في حين القوة التي [illegible] الدنيا [illegible] [illegible] [illegible] وأشركوا معها [illegible](٢).

كما أخبر تعالى أن الظالمين يسرون الندامة حين يرون العذاب، قال تعالى:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٢١).
(٢) تفسير المراغي (٢/٤٠).

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٩٩).
(٢) تفسير المراغي (٢٩/٢٠٠).
(٣) جامع البيان للطبري (٢٤/١١١).

www.mobtes.com

﴿[illegible] لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (يونس ٤٥)

قال أبو جعفر الطبري: [illegible]

[illegible]

(١) جامع البيان [illegible]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا [illegible] إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان ٤١-٤٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ [illegible]

[illegible] (القصص [illegible])

[illegible]

(٢) انظر: [illegible]
(٣) انظر: جامع البيان [illegible]

وقوله: ﴿...﴾ [الزمر]، ... أن العذاب لم يكن ... في الدنيا ... (١).

وحين يرى الظالمون العذاب يوم القيامة يطلبون الرجوع إلى الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤] (٢).

أي: وترى الكافرين بالله حين يعاينون العذاب يوم القيامة يتمنون الرجعة إلى الدنيا ويقولون: هل من رجعة لنا إليها؟

ونظير الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨] (٣).

والمراد: أنهم يطلبون الرجوع إلى الدنيا لعظم ما يشاهدونه من العذاب، ثم ذكر حالهم عند عرض النار عليهم فقال: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

أي: حال كونهم خاشعين خاضعين

مهانين بسبب ما ... (٤).

وقد أخبر تعالى بأن الكافرين لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

ومعناه: فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقروا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع (٥).

قيل: هذا دعاء ... فلا آمنوا حتى يروا العذاب الأليم ... (٦).

---

(١) انظر: المصدر السابق [illegible].
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].
(٣) انظر: تفسير المراغي [illegible].
(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي [illegible].
(٥) انظر: جامع البيان للطبري [illegible].
(٦) انظر: تفسير القرآن للسمعاني [illegible].

أثر الرؤية على النفس

في القرآن الكريم آثار للرؤية كثيرة على النفس أهمها ما يلي:

أولاً: الإيمان والتقوى:

وهذا الأثر ناتج عن النظر فيما يقدم الإنسان لليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

[illegible]

ثانياً: الخوف من اليوم الآخر:

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثالثاً: العظة والعبرة:

وهذا الأثر يحصل لصاحب النظر الذي يسير في الأرض فينظر كيف كان عاقبة المكذبين.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

أي: سرعة هلاك الأمم السابقة [illegible] من [illegible] المكذبين بالرسل والآيات [illegible]

[illegible]

قال تعالى: [illegible]

أي: حدثت من قبلكم سنن، أي: وقائع من أنواع [illegible] [illegible] في الأرض [illegible] [illegible] عاقبة المكذبين [illegible]

والسير في الأرض والبحث عن أحوال الماضين [illegible]

[illegible]

يوصل إلى معرفة تلك السنن والأخبار بما [illegible] كما أن النظر في التاريخ [illegible] في الأرض [illegible] [illegible]

رابعًا: الإحسان والإخلاص في القول والعمل:

من أكثر مواضيع الرؤية في القرآن: الإحسان والإخلاص في القول والعمل، [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الإسلام [illegible] الإحسان [illegible]

[illegible]

قال الإمام النووي في شرح الحديث: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك): هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم؛ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به، فقال صلى الله عليه وسلم: اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان، فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه، فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك(١).

عاشراً: النظر في الدين:

وهذا الأثر يحصل من خلال أن النظر والرؤية هي وسيلة الحصول على العلم، فقد أمر تعالى [illegible]

الآفاق المشاهدة، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [illegible]

والمعنى: [illegible] حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته(١).

[illegible] والمعجزات الظاهرة على أيدي رسله(٢).

[illegible] تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

فرؤية الآيات هي [illegible](٣).

ومن الرؤية والنظر بين الفقهاء والعلماء الكثير من الأحكام والاجتهادات الفقهية، وعلى الرؤية والاختلاف فيها ظهرت المدارس والمذاهب الفقهية.

[illegible]

الآيات الكونية، البصر، التفكر، الرؤية، السمع، البصيرة، العقل، العين

(١) جامع البيان، الطبري [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) جامع البيان، الطبري [illegible]

[illegible]
(١) شرح النووي على صحيح مسلم [illegible]

الربا

عناصر الموضوع

مفهوم الربا	٣٩٠
الربا في الاستعمال القرآني	٣٩١
الألفاظ ذات الصلة	٣٩٢
أنواع الربا	٣٩٥
حكم الربا	٣٩٦
التوبة من الربا	٤١٢
عقوبة أكل الربا	٤١٣

مفهوم الربا

أولًا: المعنى اللغوي:

الربا مصدر من الفعل ربا يربو، اسم مقصور، يقال: ربا الشيء يربو ربوًا: إذا زاد ونما، والربا: الزيادة، يقال: ربا المال أي: زاد وارتفع، وربت الأرض أي: انتفخت وعظمت بزراعتها، قال تعالى: ﴿اهتزت وربت﴾ (1).

والربوة والربوة والرابية: كل ما ارتفع من الأرض، وأربى الرجل: إذا قام على رابية، ويريد الرابية طرقها (2).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

الربا: هو فضل خال عن عوض مشروط في معاوضة مال بمال في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما (3).

وقيل: بأنه تفاضل في أشياء ونسأ في أشياء مختص بأشياء ورد الشرع بتحريمها - أي تحريم الربا فيها - نصًّا في البعض وقياسًا في الباقي منها (4).

فالربا: هو الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع (5)، والربا يطلق على شيئين: يطلق على ربا الفضل وربا النسيئة (6).

وربا الفضل هو: البيع الذي فيه زيادة أحد العوضين على الآخر، البيع مع التماثل بين جنسين متحدين، ويطلق في الربا وهو مقابل.

وربا النسيئة هو: الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل (7).

والمعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي إذ إنه يدل على الزيادة والنماء.

(1) انظر: لسان العرب (14/304)، المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية (1/326).
(2) انظر: لسان العرب (14/305).
(3) انظر: أسنى المطالب: زكريا الأنصاري (2/21)، مغني المحتاج: الشربيني (2/22).
(4) انظر: شرح منتهى الإرادات: البهوتي (2/55).
(5) المغرب: المطرزي (1/181).
(6) فتح القدير: الكمال بن الهمام (7/3).
(7) القاموس الفقهي: سعدي أبو جيب (ص 143).

الربا في الاستعمال القرآني

وردت مادة الربا في القرآن الكريم ([illegible]) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	[illegible]	﴿[illegible]﴾ [illegible]
الفعل المضارع	[illegible]	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [illegible]
اسم فاعل	[illegible]	﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ [illegible]
مصدر	٨	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ [illegible]
أفعل التفضيل	١	﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ (النحل [illegible])
اسم مكان	[illegible]	﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون [illegible])

وجاء الربا في القرآن على ثلاثة أوجه[2]:

أحدها: الزيادة والكثرة ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ (النحل [illegible]) يعني: أكثر وأكثر عددا.

والثاني: المكان المرتفع ومنه قوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون [illegible]) يعني: موضع مرتفع ومكان مرتفع.

والثالث: الشدة ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ ([illegible]) يعني: شديدة.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٣٠٣.
(٢) انظر الوجوه والنظائر، [illegible]، ص [illegible].

الألفاظ ذات الصلة

1 الزكاة:

الزكاة لغة:

النماء يقال: زكى الزرع يزكو أي: نما، وهي الطهارة والبركة والمدح[1].

الزكاة اصطلاحا:

إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص، مقدرًا في الحول والنصاب[2].

الصلة بين الزكاة والربا:

كلا اللفظين يحمل معنى الزيادة والنماء إلا أن لفظ الزكاة في زيادة ونماء يمتد أيضا على الطهارة والبركات، وإنه سبحانه أنه يزكي ما يخرجه الإنسان من ماله إلى الفقراء والمستحقين زكاة لماله من معاني النمو والبركة والتزكية للنفس وللمال.

2 البركة:

البركة لغة:

مشتقة من الفعل: برك، قال ابن فارس: الباء والراء والكاف أصلٌ واحدٌ وهو ثبات الشيء[3]، ومن ذلك اشتقت البركة، والتي هي بمعنى الزيادة والنماء، سميت بذلك لاثباتها على ثبات الخير[4].

البركة اصطلاحا:

هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء[5].

الصلة بين البركة والربا:

كلا اللفظين يدل على الزيادة إلا أن الزيادة التي يدل عليها لفظ الربا زيادة محسوسة مشاهدة أما الزيادة التي يقصدها لفظ البركة فهي زيادة غير محسوسة.

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر ...
[2] التعريفات ص ...
[3] مقاييس اللغة ...
[4] انظر: لسان العرب، ابن منظور ...
[5] انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ...

محق

المحق لغة:

مشتق من الفعل (محق)، قال ابن فارس: «الميم والحاء والقاف أصلٌ صحيح يدل على نقصان [illegible]»[1]، والمحق: النقصان وذهاب البركة، [illegible] آخر الشهر إذا [illegible] الهلال[2].

المحق اصطلاحًا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للمحق عن المعنى اللغوي، إذ هو في الاصطلاح يعني: النقص والمحو، قال ابن الأثير: «المحق: النقص والمحو والإبطال»[3].

الصلة بين المحق والربا:

المحق ضد الربا، فإذا كانت الربا تعني الزيادة والنماء، فإن المحق يعني النقصان [illegible] [illegible]

(1) مقاييس اللغة [illegible].
(2) انظر: لسان العرب [illegible].
(3) النهاية في غريب الحديث والأثر [illegible].

أنواع الربا

أولاً: ربا النسيئة.

هو الربا الذي كان معروفاً قبل الإسلام من النَّسأ الذي يعني التأخير، وسُمِّي بالاسم النسيئة والنسيء وربا الجاهلية؛ لأنه يأتي [illegible] ذلك البيع [illegible] ويسمّونه يسمى [illegible].

والنسيء: [illegible] كانت العرب تؤخره في الجاهلية [illegible].

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [التوبة: ٣٧].

وربا النسيئة هو البيع بشرط أجل، بأن يصير أحد العوضين، ومن ثم في النسيئة ما فيه من النسأ، وهو التأخير، وهو نوعان:

الأول: قلب الدين على المعسر، وهذا هو ربا الجاهلية، بأن يكون للرجل على الرجل مالٌ مؤجل، فإذا حلَّ موعد قضاء الدين، قال له صاحب الدين: إما أن تقضي وإما أن تربي، فإن قضاه وإلا زاد المدين في الأجل، وزاد في الدين مقابل التأجيل، فيتضاعف الدين في مدة السنين.

الثاني: ما كان في بيع جنسين اتفقا في علة ربا الفضل، مع تأخير القبض أو أحدهما كبيع الذهب بالذهب أو بالفضة،

أو الفضة بالذهب مؤجلاً، أو بدون تقابض في مجلس العقد.

ويسمى ربا النسيئة لأن الزيادة فيه مقابل الأجل، أو لأن سبب الدين يكمن فيه، وكذلك تسمى ربا القرآن لأنه حرم بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

ثانياً: ربا الفضل.

ويكون بالتفاضل في الجنس الواحد من أموال الربا، إذا بيع بعضه ببعض، كبيع درهم بدرهمين نقداً، أو بيع صاع قمح بصاعين من القمح، ونحو ذلك.

ويسمى ربا الفضل لفضل أحد العوضين على الآخر، وإطلاق التفاضل على الفضل إسناد من باب المجاز، فإن الفضل في أحد العوضين دون الآخر.

ويسمى ربا النقد في مقابلة ربا النسيئة، ويسمى الربا الخفي، قال ابن القيم: «الربا نوعان: جلي وخفي، فالجلي حرم لما فيه من الضرر العظيم، والخفي حرم لأنه ذريعة إلى الجلي، فتحريم الأول قصداً، وتحريم الثاني لأنه وسيلة، فأما الجلي فربا النسيئة، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية».

ويرجع تحريم ربا الفضل من باب سد الذرائع، كما صرح به في حديث ابن عمر

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ١١٣).

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإني أخاف عليكم الرماء، والرماء هو الربا»[1].

فسميع من ربا الفضل لما يفضي إليه من ربا النسيئة، وذلك أنهم إذا باعوا درهمًا بدرهمين، ولا يفعل هذا إلا للتفاوت الذي بين النوعين، إما في الجودة وإما في السكة، وإما في الثقل والخفة وغير ذلك، تدرجوا بالربح المعجل فيها إلى الربح المؤخر، وهو عين ربا النسيئة، وهذه ذريعة قريبة جدًا، فمن حكمة الشارع أن سد عليهم هذه الذريعة، وهي تسد عليهم باب المفسدة.

فإذا باع رجل كيلو من التمر من النوع الجيد بكيلين من التمر من النوع الرديء فإن هذا غير جائز، ومن ثم يعد من ربا الفضل الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والأفضل أن يبيع الأمر الذي يريد بيعه ثم يأخذ ثمنه ويشتري به ما يريد، وذلك لأن البيع في الحقيقة يكون للمال، وأن يكون نقدًا من الذهب والفضة أو الأوراق النقدية، وعليه فكل من البائع والمشتري بهذا الاعتبار لا يكون خاسرًا، ولا يقبض الآخر حتى أن يقبضه على يديه.

تسليم العرض غير المقبوض، ومن هنا الاسم الثاني أي أحد المتبايعين مما يحصل من العرض، أو علم بهما ذلك.

وفي الحديث: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلًا بمثل، يدًا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التمر بالتمر، والحنطة بالحنطة، والشعير بالشعير، والملح بالملح، مثلًا بمثل، يدًا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، إلا ما اختلفت ألوانه»[3].

والمشروع من مثل هذه الحالة أن يبيع المرء ما معه من التمر أو الشعير بالمال، ثم يشتري بالمال ما شاء من النوع الآخر من التمر أو الشعير، حتى يسلم من الربا.

ولكن إذا اختلفت هذه الأجناس بين الناس فيجوز كيف شاؤوا إذا كان يدًا بيد، وإلا فلا يجوز أن يباع صاع من أصناف التمر الجيد بصاعين من ...

[1] أخرجه أحمد في مسنده (٦٠/١٠٩٠)، رقم (....).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الصرف (١٢١١/٣) رقم (١٥٨٧).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الصرف (١٢١١/٣) رقم (١٥٨٨).

www.mobee.com

الربوية لأنّ ما حُرّم [illegible] ربا الفضل [illegible] لباب ربا النسيئة، وقد أكّدت السنة النبوية الحكم القطعي الشامل لتحريم الربا.

ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (جاء بلالٌ رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بتمر برني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من أين هذا؟ قال بلال: كان عندنا تمرٌ رديءٌ، فبعت منه صاعين بصاعٍ لنطعم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك: أوّه أوّه عين الربا عين الربا، لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيعٍ آخر ثم اشتره)(1).

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلًا على خيبر، فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكلّ تمر خيبر هكذا؟) قال: لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تفعل، بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبًا)(2).

وأكدت السنة النبوية تحريمه في حجة الوداع وفي أحاديث أخرى، ومن ثم انعقد إجماع المسلمين على تحريمه.

والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله، إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل، ويزاد على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به، [illegible]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب [illegible] رقم [illegible].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب [illegible] رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلًا بمثل، [illegible]

(3) [illegible]

حكم الربا

إن هذا القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه، وكلما أنعم العلماء النظر في آياته وأسراره [illegible] يفتح الله عليهم من فيض علمه سبحانه [illegible] [illegible] العلماء يهتدون من كتاب الله تعالى [illegible] [illegible] من عجائب ... [illegible]

ومن الأسرار التشريعية في الشريعة أن الله تعالى لا يأمر بشيء إلا وما يحقق مصلحة عباده، ولا ينهاهم إلا عما يفسد حياتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

[illegible] في هذه الآية الكريمة [illegible] يحقق الله [illegible] على الخلق في معاملاتهم وأمورهم [illegible] [illegible] في هذه النواهي من الشر والضرر [illegible] المعاصي جميعها [illegible] من خالف أمر بالعقاب.

أولاً: تحريم الربا في الإسلام:

لقد حرم الله الربا ووصفه من أكبر الكبائر، كما بين أنه سبب لمحق البركة في الدنيا والآخرة، ومنع الإسلام من تقديم مساعدة للمتعامل بالربا، ومن ثم فرضت [illegible] الله تحريمه في الكتاب والسنة، وأجمع علماء المسلمين على تحريمه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وفي الحديث في خطبة الوداع: عن سليمان بن عمرو عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول: «ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون»[1].

[illegible] [illegible] [illegible]

(1) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] رقم [illegible].

www.[illegible].com

ولا أن يظلم أحدًا.

إذًا فإن الإسلام حكم ببطلان الربا، وكل ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا وضع هو ربا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أجمع المسلمون على تحريم الربا.

ومن ثم فليس ثمة اختلاف في الرأي بين علماء المسلمين بشأن حظر التعامل بالربا في الشريعة الإسلامية؛ لأن القرآن والسنة لم يدعا مجالًا للشك في تحريمه.

وقد جاء في الحديث عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شفع لأخيه بشفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا»(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء»(٢).

ومن ثم فإنه لا يجوز لرجل ما أن يقصد صاحبه التحصيل على الربح من أحد المصارف خلال حصول التصرف على

فقه ...

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الربا سبعون حوبًا أيسرها أن ينكح الرجل أمه»(٣).

إن الربا يدل على المحسنات بالمال التي لا تحرمه إذ يتحرر الفساد تلك [illegible] الكاملة لأن الله سبحانه عد الربا من الموبقات وحرمه في القرآن وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم تحريمًا أكيدًا.

ولما كانت الربا من المحرمات في الشريعة في هذه الآيات بأسلوب الذي [illegible] حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في هذه المعاملة المحرمة.

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

إذ أخذنا من خلاله المال بغير [illegible] أخذنا من الساعة [illegible] من العناصر [illegible] [illegible] خلالها [illegible] ربا.

[illegible]

ثانياً: التدرج في تحريم الربا:

لقد سلك القرآن الكريم أسلوب الرفق والتدرج في نقل المخاطبين من حياة الجاهلية إلى سماحة الإسلام [illegible] التشريع [illegible] القرآن الكريم [illegible]

[illegible]

الاجتماعي والاقتصادي لهذا التدرج.

وقد ذكر بعض الباحثين أن الربا في القرآن الكريم قد تدرجت الآيات في تحريمه كما تدرجت في تحريم الخمر(1).

وسبب هذا التدرج في تحريم بعض الأحكام الشرعية إنما هو [illegible] المخاطبين بهذه العقائد والأخلاق حتى [illegible] مهيئاً [illegible] لهذا التدرج.

ومن ثم نجد هذا التدرج في تحريم الربا في أربع آيات قرآنية [illegible] تحريم الربا [illegible] ويمكن ترتيب هذا التدرج على هذه مراحل.

المرحلة الأولى: هي ما جاء في سورة الروم وهي مكية نزلت قبل الهجرة ببضع سنين، حيث جاء الأمر [illegible] ومدح الزكاة [illegible]

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

---

(1) انظر: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية [illegible]

وقد جاء في السور المكية أصول الواجبات والمحرمات بشكل إجمالي، كما في هذه الآية الكريمة، [illegible]

[illegible]

قال أبو إسحاق: [illegible]

[illegible]

وقال القرطبي: [illegible]

المرحلة الثالثة: وهي في سورة النساء [illegible]

قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١].

تبين الآيات أن الله تعالى قد نهى اليهود عن الربا فخالفوا، وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه، [illegible] بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حرم عليهم طيبات كانت أحلت لهم.

وهذا تلميح بالتحريم؛ لأنه جاء على سبيل الحكاية عن بني إسرائيل، [illegible]

[illegible]

المرحلة الرابعة: هي ما جاء في سورة آل عمران [illegible]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

[illegible]

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

﴿[illegible]﴾ (البقرة [illegible])

وبعد الآيات آخر ما نزل من القرآن الكريم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] على النبي صلى الله عليه وسلم[illegible].

ويستمر تحريم الربا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها [illegible]

وقد أباح الإسلام استثمار المال عن طريق التجارة، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

(البقرة: ٢٠٨)

ولقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم حربه على الربا والمرابين، وبين خطره على المجتمع، فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم إنه إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله.

فعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه). قال: وقال: (ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل)[1].

ومن ثم نرى أن الربا من أكبر الكبائر [illegible]

[illegible]

بالنهي عن الربا والوعيد الشديد لمن لم يرد في غيره من الذنوب [illegible]

[illegible]

أحمد الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

موقعًا من قطعه بطلة(١).

ثالثًا: إن هذا الانقطاع الذي ذكر أن موضع له يحصل، وقد لا يحصل، وأخذ الدرهم الزائد أمر متيقن، فتفويت المتيقن لأجل الأمر الموهوم لا ينفك عن نوع ضرر.

رابعًا: قال بعضهم: الله إنما حرم الربا من حيث أنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدًا كان أو نسيئة خف عليه اكتساب وجه المعيشة فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضي إلى انقطاع مصالح الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات(٢).

خامسًا: قيل: السبب في تحريم عقد الربا أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض؛ لأن الربا إذا حرم طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله، ولو حل الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين، فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان.

رابعًا: أن الغالب أن المقرض يكون غنيًا، والمستقرض يكون فقيرًا، فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغني من أن يأخذ

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٧/٩٣.
(٢) المصدر السابق ٧/٩٤.

من الفقير مالاً زائدًا، وذلك غير جائز برحمة الرحيم.

خامسًا: أن حرمة الربا قد ثبتت بالنص، ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومًا للخلق، فوجب القطع بحرمة عقد الربا وإن كنا لا نعلم الوجه فيه(١).

ومن ثم فإن الله تعالى قد حرم الربا، فلا مجال للجدال في هذا التحريم؛ لأنه لا اجتهاد مع النص، ولا يجوز لنا أن نفسر الآيات تبعًا للهوى، ونطمئن إلى مكسب محرم كالربا.

تحريم الربا في التشريع اليهودي:

الله خلق الله الناس لعبادته تعالى، فالناس جميعًا أمة واحدة وربهم واحد لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وبالنظر في حكم الربا في الشرائع السابقة كاليهودية والمسيحية نرى أن في شريعتهم ما يحل الربا تارة ثم يدل على تحريم الربا، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١].

إن اليهود حرم الله الربا عليهم، فقد حرم الله

(١) المصدر السابق.

الربا على اليهود، وهم يعلمون ذلك، ويقرؤونه في كتبهم [illegible] قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «أي: أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه، وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل»[1].

ولقد عرف اليهود النص المحرم للربا، حيث فسروا التحريم أنه على التعامل بين اليهود بعضهم ببعض، أما معاملة اليهودي لغير اليهودي بالربا، فعنده حلال لا بأس به.

لقد حرم الله الربا في التوراة على اليهود، ولكنهم خالفوا أمره، واحتالوا، وحرفوا [illegible] كلام الله، واعتبروا أن التحريم إنما يكون بين اليهود فقط، أما مع غيرهم فلا يكون محرمًا في زعمهم الباطل، ولذلك [illegible] في هذه الآيات [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومن سمات اليهود أنهم أكالون للسحت، وهو المال الحرام الذي [illegible]

أما ما جاء في تحريم الربا عند اليهود[2].

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٦٧.
(2) عرض تحريم الربا عند اليهود، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس، ص ٢٢١.

فقد ذكر الربا في مواضع متعددة من التوراة، ففي سفر الخروج: «إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي، لا تضعوا عليه ربا»[3].

والشريعة اليهودية في كتاب التوراة كانت تنهى الناس في العهد القديم عن أخذ الربا من إخوانهم [illegible] (٢٠) في [illegible] للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها»[4].

ولقد حللت النصوص [illegible] وتمت [illegible] [illegible] الفرض [illegible] لم يكن [illegible].

ويذهب بعض المفسرين من أهل الكتاب[5] إلى أن نصوص سفري الخروج واللاويين التي [illegible] إنما حرمت الربا الفاحش، وأن تحريم [illegible] لم يشرع إلا من بعد ذلك [illegible] إذا [illegible] حرمت

(3) الإصحاح ٢٢ رقم ٢٥.
(4) سفر التثنية ٢٣ رقم ١٩-٢٠.
(5) عرض تحريم الربا عند اليهود، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس، ص ٢٢١.

على اليهود أخذ الربا من الغرباء [illegible] من الأجانب ثم [illegible] التحريم في الربا في اليهود [illegible]

ولم يكن اليهود [illegible] بالتجارة حين [illegible]

[illegible]

تحريم الربا في التشريع المسيحي:

[illegible]

[illegible] على تحريم الربا [illegible]

[illegible]

[illegible]

وجاء التحريم في سفر الخروج: [illegible]

وجاء في سفر اللاويين: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حرصت على أن تجمع الأطراف [illegible] بين الأطراف التي لا تتعامل بالربا حتى لا يدخل في [illegible] حرام.

إذ الربا [illegible] في الشرائع [illegible] العرب في الجاهلية [illegible] المشركين، [illegible] الشرائع [illegible] على تحريم الربا [illegible] كتاب الله تعالى، [illegible] اليهود في قوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ [illegible]

وقيل: جاء رجل إلى مالك بن أنس [illegible] فقال: يا أبا عبد الله [illegible] [illegible] لا أجد [illegible] من الخمر، فقال: ارجع حتى أنظر في مسألتك [illegible] الله تعالى [illegible] بالحرب [illegible].

ومن لم [illegible] أن أكل الربا [illegible] من الكبائر، ولا خلاف في ذلك [illegible].

رابعًا: شبهة حول تحريم الربا:

لقد تناول القرآن الكريم الحديث عن الربا في أربعة مواضع [illegible]

[illegible] إلى مواقف العلماء من مسألة الربا، [illegible] من يحاول التحايل على النص [illegible] بحجج [illegible] من يحرم [illegible]

[illegible] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه [illegible]

إذ النبي صلى الله عليه وسلم قد بين لنا [illegible] الشبهة [illegible] في الحديث [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] من فعل الشبهات.

(1) [illegible] البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب [illegible] ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات [illegible]

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

[illegible]

إن التعامل في [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ويرى بعض الناس [illegible]

ولا شك أن الربا [illegible]

وليس شرعيًا فقط، فالأصل أن القاعدة يحمي الطرفين: المقرض والمقترض، أما عقود الربا فإنها تحمي المقرض فقط؛ لأنها تبيح له أن يأخذ كل الضمانات التي يريدها من المقترض، فيخرج المقترض على حاله... ولا يعطي المقترض في أي حال... ومن ثم فإن عقد الربا يشرع لا يجوز؛ لما رواه الأئمة من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء بلال إلى النبي صلى الله عليه وسلم بتمر برني، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «من أين هذا؟» قال بلال: كان عندنا تمر رديء، فبعت منه صاعين بصاع لنطعم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «أوه أوه، عين الربا، عين الربا، لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتره»[1].

وفي رواية: «هذا الربا، فردوه ثم بيعوا تمرنا واشتروا لنا من هذا».

قال مشهور: فقوله: «أوه عين الربا» أي: هو الربا المحرم نفسه لا ما يشبهه[2].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فردوه» يدل على وجوب فسخ صفقة الربا، وأنها لا تصح بوجه وهو قول الجمهور، خلافًا لأبي حنيفة حيث يقول: إن بيع الربا جائز بأصله من حيث هو بيع، ممنوع بوصفه من حيث هو ربا، فيسقط الربا ويصح البيع، ولو كان على ما ذكر لما فسخ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفقة، ولأمره برد الزيادة على الصاع، ولصحح الصفقة في مقابلة الصاع[3].

ومن الشبهات ما قيل إن تحريم الربا في الإسلام يعيب الاقتصاد العالمي بالشلل التام.

والحقيقة غير ذلك ... أن الربا هو سبب الأزمات الاقتصادية العالمية، وليس أدل على ذلك من ... في الاقتصاد العالمي ... التي ... الربا هو ... والقضاء ... إلى الحرام.

ولذلك فإن البريطاني (كينز) مؤسس علم الاقتصاد العالمي، قال: «حين تصل نسبة الفائدة إلى الصفر، يتم النماء والرخاء في العالم كله»، وسمعنا منذ عدة سنوات تحديدًا في بعض الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة الإقراض بدون فائدة لتشجيع الاستثمار في المجتمع الأمريكي، كما أن المصرف المركزي للاتحاد الأوروبي ...

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا باع الوكيل شيئًا فاسدًا فبيعه مردود.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/ ٣٥٢).

[3] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/ ٣٥٠).

يحصل سعر الفائدة نصف في المئة(١).

ويرى كينز أن من واجب الدولة أن [illegible]

[illegible]

بيد أن الإسلام [illegible]

[illegible]

ومن لم يجنح [illegible] الربح [illegible]

[illegible]

[illegible]

ظلم قال: إن تعاليم الدين لا تناسب العصر، إنه أجهل الناس من الشرع، والصرف عن تحريم الله إلى ما يحسه العصر، إذ الله سبحانه هو أعلم بما يصلح البشرية ويقيم حركة الكون.

من الناس من لا يرى بأسًا في الربا ويرى أن تحريم الربا لم يرد إلا في المضاعفة الفاحشة الربوية أما ما دون الضعف فليس ربًا، يرد أن هذا القول يرد نصًا على النص؛ إذ قال المشروع والفقهاء على أن المراد من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

من بيان الواقع لا اختصاص التحريم بحالة المضاعفة.

قال ابن عطية: «وقوله ﴿ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ إشارة إلى تكرار التضعيف عامًا بعد عام كما كانوا يصنعون، فدلت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه؛ ولذلك ذكرت حال التضعيف خاصة، وقد حرم الله جميع أنواع الربا، فهذا هو مفهوم الخطاب؛ إذ المسكوت عنه من الربا في حكم المذكور، وأيضًا فإن الربا يدخل جميع أنواعه التضعيف والزيادة على وجوه مختلفة من العين أو من التأخير ونحوه»[١].

وقال الشوكاني: «وقوله تعالى: ﴿ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ ليس لتقييد النهي لما هو معلوم من تحريم الربا على كل حال، ولكنه جيء به باعتبار ما كانوا عليه من العادة التي يعتادونها في الربا، فإنهم كانوا يربون إلى أجل، فإذا حل الأجل زادوا في المال مقدارًا يتراضون عليه، ثم يزيدون في أجل الدين، فكانوا يفعلون ذلك مرة بعد مرة حتى يأخذ المربي أضعاف دينه الذي كان له في الابتداء»[٢].

وقال الألوسي في روح المعاني: «وليس هذا الحال لتقييد المنهي عنه ليكون أصل الربا غير منهي، بل لمراعاة الواقع، فقد روي عن [illegible] أنه كان الرجل يربي إلى أجل، فإذا حل قال المدين: زدني في المال حتى أزيدك في الأجل فيفعل، وهكذا عند كل أجل، فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية، فنهوا عن ذلك»[٣].

وقد نرى أن تجد [illegible] أمة الثقافة [illegible] أنها تعتنقًا للنقد الثقافة الغربية والإباحية المتحرفة والشريعة الإسلامية لتجعل الثقافة مقبولة ولكن لا تجعلها في إطار الثقافة والفكر الغربي في [illegible] غير الثقافة التي [illegible] الإسلامي [illegible] في [illegible] سورة آل عمران [illegible].

(١) التحرير والتنوير لابن عطية (١/ ٥٠٩).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٨٤).

(٣) روح المعاني (٤/ ٥٥).

والفقه الإسلامي يقر أن أخذ الكفالة والأجرة أمر مشروع، فمن ذلك أنه يقال أن عمر رضي الله عنه سئل في رجل أسلف طعاما على أن يعطيه إياه في بلد آخر، فكره عمر ذلك، فأين كراء الحمل؟(١).

ومع لا يرون [illegible] ربا في زعمهم الزيادة [illegible] الزيادة المشروطة [illegible] ويعدون أن الربا إنما هو [illegible] المشروطة فقط.

وهذا القول يعني أنه لا ربا في الشريعة الإسلامية مع الزيادة على رأس المال المشروطة، [illegible] وهذا الفرق بين القليل والكثير [illegible] إسلامي [illegible].

ومن لم يطل اعتبار الفائدة أجرة المصرف على أمواله التي يقدمها للعميل، فالأجرة مشروعة، أما الفائدة فمحرمة، ولكن يجوز للمصرف أن يستوفي من عميله المقترض أجرًا مقابل الأعباء الإدارية والكتابية المتعلقة بالقرض، إذ إن الأمر [illegible] ويشترط فيها أن تكون مساوية للكلف إنما [illegible] مثلها.

ومن لم يجب أن يكون الأمر مثلًا [illegible] لا يكون إلا بتكرار الخدمة التي يقدمها المصرف، فاستحقاق المصرف للأجر، إنما يكون نظير قيامه بأعمال [illegible] ذلك يجب أن يكون على أساس [illegible] وليس على أساس [illegible] القرض.

(١) [illegible]

التوبة من الربا

التوبة: الرجوع من الذنب، فالعبد تواب وتائب إلى الله، يتوب ويرجع من المعصية إلى الطاعة، والرب تاب الله عليه: وفقه لها، ومن أسمائه الحسنى التواب، قال تعالى: التواب الله، والله تواب: يتوب على عبده، فالله غافر الذنب وقابل التوب، والله التواب يتوب على عبده إذا تاب إليه من ذنبه.

ومن المعلوم أن رحمة الله واسعة، وأنه يغفر الذنوب جميعًا، ولا يتعاظمه ذنب من عظم ومقترفه، فما جعل الله التوبة إلا للخطاة، وما أرسل الأنبياء إلا للضالين من الناس، وما جعل المغفرة إلا للمذنبين، وما سمى نفسه الغفار التواب الغفور الكريم إلا من أجل أننا نخطئ فيغفر لنا الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر ٥٣).

ولكن للتوبة الصادقة من الربا شروط:

- الرجوع إلى الله، والندم على اقتراف الذنب، والعزم على عدم العودة إلى المعصية والذنب مرة أخرى.
- التخلص من المال الربوي برده لأصحابه إن أمكن، وإلا فيصرفه في وجوه البر والإحسان.

فلا بد لآكل الربا أن يرد المال الذي أخذه زيادة، ولا يأخذ إلا رأس المال، ويدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٧٩).

ولكن إذا طالت المدة، ولم يعرف الرجل الذي أخذ منه الربا، فعلى آكل الربا التائب أن يتحرى ويجتهد في ذلك، فإذا عجز عن معرفته فله أن يتصدق بهذا المال عنه.

عقوبة أكل الربا

إن من فضل الله تعالى علينا أنه سبحانه وتعالى يحاسبنا على أعمالنا حسابًا عادلًا، فمن أحسن [illegible] ومن أساء [illegible] سيئة [illegible] ربك [illegible] قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

فالجزاء من جنس العمل، [illegible] الجزاء [illegible] العمل من جنسه في الخير والشر.

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ومظاهر عدل الله سبحانه وتعالى كثيرة، فمن ستر مسلمًا ستره الله، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن [illegible] الله [illegible] الأصل، [illegible] الجزاء من جنس العمل.

أولًا: جزاء آكل الربا في الدنيا:

لقد بينت السنة النبوية جزاء آكل الربا في الدنيا، فآكل الربا [illegible] من أبواب الفقر في الدنيا [illegible]

من المكروب؛ لأنه محتاج [illegible] المال [illegible] فضل الله عليه [illegible] من حقيقة أن المال مال الله.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه» وقال: «ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل»(٢).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا [illegible]﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦].

هذا وعيد [illegible] الربا والحرب [illegible] قال ابن عباس: [illegible]

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا [illegible] وصححه الألباني في صحيح الجامع [illegible]

(٢) أخرجه أحمد في مسنده [illegible] وحسنه الألباني في صحيح الجامع [illegible]

عليها على الربا لا ينزع منه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن تاب وإلا ضرب عنقه(1).

وذلك بعقوبة التعزير في القتل المترتب على الاستحلال بالربا وشهادة الزور(2).

وعقوبة التعزير: إذا لم يكن هناك حد مقدر.

وقيل: أوعد الله أهل الربا بالقتل فخاطبهم بهم كما أنذر الكفار، وقيل: المعنى: إن لم تنتهوا فأنتم حرب لله ولرسوله أي أعداء.

وقال ابن خويز منداد: فلو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً كانوا مرتدين، والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالاً جاز للإمام محاربتهم(3) ألا ترى أن الله تعالى قد أذن في ذلك فقال تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

والحرب التي يتعرض لها المرابون هي ما نراه في أيامنا التي لا يطرأ فيها استقرار ولا طمأنينة ولا راحة، فالناس مع ما هم فيه من الرقي والتقدم والرخاء المادي تنتشر فيهم الأمراض العصبية والنفسية لفقدهم أسباب السعادة وراحة النفس.

أيما هم من قبل الإهلاك حتى الإنسان الذي يسبب الفقر والشقاء وراحة والطمأنينة النفس.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وهذا التحريم والصراع على مطالب العباد إنما هو ابتلاء من الله لما فسد أبناؤها.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ذكر ابن بكير قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله إني رأيت رجلاً سكراناً يتعاقر يريد أن يأخذ القمر، فقلت: امرأتي طالق إن كان يدخل جوف ابن آدم أشر من الخمر، فقال: ارجع حتى أنظر في مسألتك، فأتاه من الغد فقال له: ارجع حتى أنظر في مسألتك، فأتاه من الغد فقال له: امرأتك طالق، إني تصفحت كتاب الله وسنة نبيه فلم أر شيئاً أشر من الربا لأن الله أذن فيه بالحرب(1).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(1) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٣/ ٣٦٥.
(2) المصدر السابق.
(3) الموسوعة الفقهية الكويتية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية ١٢/ ١٣٧.

(1) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٣/ ٣٦٤.

ليأتي على الناس زمان لا يبقى فيه إلا آكل الربا، قيل: الناس كلهم؟ قال: من لم يأكله منهم ناله من غباره[1].

ويروي الدارقطني عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لدرهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية في الخطيئة»[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الربا سبعون حوبا، أيسرها أن ينكح الرجل أمه»[3].

الرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أنه من الوقوع في عقوبة الربا، [illegible] أنه [illegible] في ضرب المثل من [illegible] من ارتكاب [illegible] الأعمال [illegible] فيها، وذلك حتى يأخذ [illegible] في الربا بطريق من وعيد هذه المعصية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[4].

وعن علي رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء»[5].

وعن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه، وقال: ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل»[6].

ولقد بين الله تعالى من أحوال عباده المؤمنين وقدر [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده [illegible]، وأبو داود في سننه كتاب البيوع [illegible]، وابن ماجه في سننه كتاب التجارات [illegible].

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع [illegible].

(2) الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible].

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب التجارات باب التغليظ في الربا [illegible].

وصححه الألباني في صحيح الجامع [illegible].

(4) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ [illegible]، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الكبائر وأكبرها [illegible].

(5) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب لعن آكل الربا وموكله [illegible].

(6) أخرجه أحمد في مسنده [illegible].

وحسنه الألباني في صحيح الجامع [illegible].

وقال تعالى: ﴿[illegible] وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا [illegible]﴾ (القصص: ٧٧).

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (يونس: [illegible]).

والأحاديث عن إنظار المعسر، أو التجاوز عنه [illegible] على غير القادرين كثيرة:

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه»(٣).

فالرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] التكافل والتراحم بين البشر [illegible]

ثانياً: [illegible] أكل الربا في الآخرة

[illegible]

﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible]).

[illegible]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل [illegible].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء [illegible].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من أنظر معسراً [illegible].

على أن الله تعالى والملائكة يصلي له حتى إلا حتى أحد له أعماله شيئاً يرضاه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ... ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ ... ﴾ [الروم: ٣٩].

إذ جزاء المرابي عند الله شيئاً فقد أنه لا ما يستحقه من العقاب لأنه محارب لله ورسوله. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فالآية تفيد حال القائم بمرابي ويطمع إلى تجارة الذي بإيهام المعاملة لأنه الطامع والرغبة، تسيطر على تصطرب أعصابه وهذا كما قيل تسرع في ماله يختلط في حياة مراكبة إنما من فرح أو خوف أو حزن ملك سيطرت من أبو رحمي على هذه الهيئة حالهم أيهم وكعادة عند أهل المحشر.

وقوله تعالى: ﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصل الله هذه العلامة لأكلة الربا، وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون.

ويقال: إنهم يحشرون يوم القيامة وقد انتفخت بطونهم كالحبالى، وكلما قاموا

مختلطون والناس يمشون عليهم.

وقال بعض العلماء: إنما قال الله تعالى: إنهم يعرفون به يوم القيامة أن الكتاب من بين الله، أكلة الربا بطونهم بما أكل يوم القيامة ... بطونهم بينة لم الكتاب من بين الله.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ المراد بالمس الذي يتخبطه، وإنما عبر الله بالمس لأنه الذي يفقد الإنسان في الحال، ولأنه دال على الجنون، وهو أشد المرض، وقد أتهم هذا البعض من أنواع الكسب، عام الكسب كله: كالبيع والشراء، والاحتكار، والإنفاق على الهلاك، فاسد ليه والسعي: المحرم، فلأنه مس الرجل، فهو مسرور. إلا أنه محترف، وتلك علامة الربا في الآخرة.

وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء»(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الربا سبعون حوباً، أيسرها أن ينكح الرجل أمه»(2).

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله (١٥٩٨)، ...

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا (٢٢٧٤).

www.moswarat.com

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهةٌ فمن ترك ما شُبّه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه»(١).

ووجه دلالة الحديث أنه نص من الإسلام على المشتبهات سدًّا للذرائع في المحرمات [illegible].

من موضوعات ذات صلة

[illegible]

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٤٤) رقم (٣٠١٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب الحلال بيّن والحرام بيّن (٢٠٥١) رقم (٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/١٢١٩) رقم (١٥٩٩).